

أشواق فارس العصر الميراني

(646-869 هـ / 1248-1465 م)

تأليف
أر هالة عبد الرزاق

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
1434 هـ - 2013
حقوق الطبع محفوظة للناسر
الناسر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد - القاهرة
25936277 / فاكس: 25938411-25922620
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عبد الرازق ، هالة
اسواق فاس في العصر المريني (869-646 هـ / 1465-1248م) / تأليف :
هالة عبد الرازق
ط1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ، 2012
300 ص ، 24 سم
تدمك : 7-569-341-977-978
1-المغرب - تاريخ
ا- العنوان

ديوى: 964

رقم الايداع: 2012/11802

شكر وتقدير

اهدي إليهم خالص الشكر على التوجيهات والنصح والإرشاد الذي
قدماه إلى خلال فترة الدراسة جزاهم الله خير الجزاء.
الأستاذ الدكتور / حسين سيد عبد الله مراد
الأستاذ الدكتور / كرم الصاوي باز

كما أتقدم بالشكر إلى أبي و أمي واخواتي
وإلى كل اساتذتي وزملائي في مشوار الدراسة وكل من ساعدني في
انجاز هذا العمل .

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم. هذه دراسة عن أسواق مدينة فاس في عصر الدولة المرينية (٦٤٦-٨٦٩هـ/١٢٤٨-١٤٦٥م) تلك الدولة التي قامت في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . وقد كان للمرينيين دور هام في مدينة فاس حيث اهتموا بكل مظاهر الحياة الاقتصادية بما فيها الاسواق إلى جانب اهتمامهم بكل جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية ، هكذا نقل المرينيون المغرب الأقصى من الفوضى والاضطراب والتدهور الذي أصاب هذه البلاد أواخر عهد الموحدين إلى الأمن والاستقرار .

أسباب اختيار الموضوع :

يرجع اختيار هذا الموضوع إلى أهمية مدينة فاس وأسواقها ، حيث لعبت هذه المدينة وأسواقها دورا كبيرا في تاريخ بلاد المغرب بوجه عام ، وتاريخ المغرب الأقصى بوجه خاص ، عبر تاريخها الطويل وخاصة في العصر المريني ، نظرا لموقعها الجغرافي ومؤهلاتها الاقتصادية ، ومكانتها السياسية . وقد ساهمت هذه الأسواق بشكل كبير في الازدهار الاقتصادي للدولة المرينية ، وأسهمت الحركة التجارية لأسواق هذه المدينة في انفتاحها على كافة أسواق مدن المغرب والأندلس ، بالإضافة إلى أسواق السودان الغربي . وقد أصبحت هذه المدينة بفضل هذا الانفتاح مركزا تجاريا مهما ، ومن هنا جاء التفكير في دراسة أسواق فاس في العصر المريني.

كما أن دراسة الأسواق تعين في التعرف على كافة مظاهر الحياة الاقتصادية التي تؤثر على كافة نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية . فالأسواق في مدينة فاس تعد مرآة لمجتمع مدينة فاس في العصر المريني .

وإذا كانت هناك دراسات عن الحياة الاقتصادية بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني إلا أنها لم تتعرض للمدينة وأسواقها ومدى تأثير هذه المدينة بالحركة التجارية واقتصاد الدولة المرينية وايضا لم تعرض للعاملين بالأسواق وحياتهم الاجتماعية . وتوجد بعض المقالات والدراسات العامة عن تاريخ المغرب العام وعن الدولة المرينية خاصة ولا نجد دراسة بأسواق مدينة فاس.

وقد كان لمدينة فاس في العصر المريني رونقا خاصا بها حيث كانت هذه المدينة مركزا للحكم والإدارة مما أعطى لها مظهرا حضاريا هاما وحظيت باهتمام كل من كان قائما على الحكم المريني خلال فترة حكمهم ، من بداية الدولة حتى نهايتها .

ومن هنا أتى اختياري لموضوع "أسواق فاس في العصر المريني " (٦٤٦-٨٦٩هـ / ١٢٤٨-١٤٦٥م) كأطروحة لنيل الماجستير .

الفترة الزمنية للدراسة:

الجدير بالذكر أن التحديد الزمني لبداية فترة الدراسة هو ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م يختلف عن التحديد الزمني لسقوط دولة الموحدين وقيام دولة المرينيين ، ذلك أن المؤرخين اعتمدوا عام ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م لسقوط دولة الموحدين بعد أن استولى المرينيون على عاصمتهم مدينة مراكش. لكننا اعتمدنا عام ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م بداية للدراسة ففي هذا العام انتقلت تبعية فاس من الموحدين إلى المرينيين ، أما عام ٨٦٩هـ / ١٤٦٥م فتنتهي الفترة الزمنية للدراسة بسقوط الدولة المرينية .

اعتمدت في معالجة الموضوع على جمع المادة التاريخية من مصادرها المعاصرة أو القريبة من فترة الدراسة، والمراجع العربية والمعرية فضلا عن المراجع الأجنبية ، وذلك بهدف رسم رؤية متكاملة عن أسواق مدينة فاس في العصر المريني ، وإبراز أسواق فاس ومدى تأثيرها على اقتصاد الدولة المرينية.

وقد قسمت الباحثة هذه الدراسة إلى فصل تمهيدي وخمسة فصول، وجاء الفصل التمهيدي بعنوان "أحوال أسواق مدينة فاس في فترة الانتقال من الموحدين إلى المرينيين" عرضت فيه الباحثة أحوال أسواق مدينة فاس أواخر عصر الموحدين وقبيل قيام دولة بني مرين ثم تناولت بإيجاز قيام الدولة المرينية وتأسيس فاس الجديد.

وفي الفصل الأول ، والذي جاء بعنوان "المقومات الطبيعية والبشرية لازدهار أسواق فاس" حاولت الباحثة فيه توضيح المقومات الطبيعية لازدهار هذه الأسواق من بيئة جغرافية وبيئة زراعية ورعى وغابات ووفرة المواد الخام .

وكذلك المقومات البشرية كالوضعية السياسية للمدينة ، والنمو السكاني الديموجرافي، وازدهار النشاط الحرفي والصناعي وأخيرا المنشآت التجارية والطرق والمواصلات .

وحمل الفصل الثاني عنوان "أسواق فاس ونشاطها التجاري الداخلي" وفيه استعرضت أنواع الأسواق وتنظيماتها ، وموقع هذه الأسواق وإدارتها ، والعاملين في هذه الأسواق ، وتوضيح السلع التجارية بأسواق مدينة فاس .

أما الفصل الثالث فجاء بعنوان "علاقة أسواق فاس بالأسواق الخارجية " وقد تناولت فيه العلاقات الخارجية لأسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأقصى ومدن المغرب الأوسط ومدن المغرب الأدنى ، وعلاقة أسواق فاس وأسواق مدن مصر والحجاز ، وعلاقة أسواق فاس وأسواق مدن الأندلس والمدن النصرانية وأخيرا علاقة أسواق فاس وأسواق مدن السودان الغربي ، ومدى تأثير هذه العلاقات على أسواق فاس وثراتها التجارية والاقتصادي .

وتناول الفصل الرابع "المعاملات المالية والتجارية في أسواق فاس" والتي اشتملت على المقايضة و النقود والصكوك والحوالات والموازين والمكايل والمقاييس والأسعار ومدى اهتمام الدولة المرينية بالمعاملات المالية ودورها في الحفاظ على العملات من التزييف والنقص ، وتعيين العاملين بدار السكة المرينية لصحة الوزن وجودته وعدم وجود حالات للغش بالأسواق ، ومراقبة اليهود العاملين بالصرافة داخل الأسواق .

وأخيرا جاء الفصل الخامس بعنوان "الحياة الاجتماعية للعاملين في الأسواق" وعرض هذا الفصل للعناصر السكانية للعاملين في الأسواق و الوضع الاجتماعي للعاملين في الأسواق. و اثر المحن والكوارث على العاملين في الأسواق والتي اشتملت على محن الفتن والاضطرابات (السياسية والاجتماعية) ومحن المجاعات والأوبئة ، ومدى تأثير هذه المحن في انهيار الدولة المرينية وزوال ملكها من مدينة فاس خاصة والمغرب والأندلس عامة . وكان هذا الفصل من أصعب فصول الرسالة فبالرغم من العدد الكبير من المصادر التي تناولت تاريخ المغرب الأقصى إلا أن غالبية المصادر اهتمت بالجانب الاقتصادي وأهملت الجانب الاجتماعي لهذا اعتمدت الدراسة بشكل كبير على استنتاج مابين ثنايا المصادر واستنباطها .

وفي الخاتمة تم عرض أهم نتائج البحث.

عرض لأهم المصادر والمراجع :-

المصادر التاريخية:

اعتمدت الدراسة على مجموعة كبيرة من المصادر الأصلية، منها ما هي مخطوطة، ومنها هي مطبوعة ، بالإضافة الى بعض الوثائق والعديد من المراجع الحديثة التي تناولت موضوع البحث من قريب أو بعيد. وبالنسبة للوثائق فقد اطلعت على وثائق التاج الارغوني .

"Los Documents Arabs Dipsomaniacs Del Archivo De Lacorona De Aragon Maximilian, A. AlarconY Santon, and Ramon Carcia De, Linareseds. Madria Imprenta de Estanislao Maesre, 1940".

وهي مجموعة من الوثائق العربية الدبلوماسية ضمن مخطوطات مكتبة أرغون وهي من الوثائق العربية التي جمعها المستشرقان الاسبانيان الاركون وكارسيا ، والتي احتوت على المراسلات التي تمت بين الدولة المرينية ومملكة أرغون والتي تناولت معاهدات تجارية بين الطرفين وقد ساهمت هذه المعاهدات والمراسلات التي أبرمت بين الطرفين ، في إنعاش الحركة التجارية لأسواق مدينة فاس ، ومن اهم الوثائق التي استعنت بها في الدراسة الوثيقة رقم ٥٠ والتي اوضحت المشاكل التي يتعرض لها التجار في البحر من قرصنة ، والاتفاق الذي انعقد بين السلطان المريني عبد الله فارس والسلطان الارغوني لمواجهة هذه الظاهرة .

والى جانب ذلك استعنت بالوثيقة رقم ١٤٦ والتي اظهرت التعاون بين السلطان المريني عبد الله فارس وصاحب ارغون لحماية التجار من مخاطر العبور من والى مدينة فاس.

وبالنسبة للمخطوطات، فقد اطلعت على مخطوطة "خطط مدينة فاس" لمؤلف مجهول، وهي إحدى مخطوطات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحت رقم ٦١ بلدان ، وميكرو فيلم رقم ٢٩٩٨٩ وقد اعانتني هذه المخطوطة في توضيح كيفية تأسيس مدينة فاس .

واطلعت على مخطوطة أخرى وعنوانها "رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس" لمؤلف مجهول، مخطوطة في الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحت رقم ٩٧٣٢ ح ، ميكرو فيلم ١٩٨٨ وتناولت هذه المخطوطة تأسيس المدينة والدول التي عاصرت المدينة منذ تأسيسها إلى قيام الدولة المرينية .

كما استفادت الباحثة من مخطوطة بعنوان " الجمان في أخبار الزمان " تأليف محمد الشطبي المغربي وهي إحدى مخطوطات الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم ١٤١٦ تاريخ ، وقد أسهمت في توضيح المدينة وما بها من انهار وعيون واقسام هذه المدينة .

أولا : مصادر تاريخية مطبوعة

أما المصادر المطبوعة ، وخاصة المعاصرة للأحداث ، فمن حسن حظ الباحث في تاريخ الدولة المرينية أن احتضن البلاط المريني بعض كبار المؤرخين من أمثال ابن خلدون ، وابن الأحمر وابن الخطيب ، وابن مرزوق التلمساني ، وابن الحاج النيمري ، وابن أبي زرع وغيرهم من ثقات المؤرخين ، لهذا جاءت مؤلفاتهم سجلا حافلا بتاريخ تلك الفترة .

ومن المصادر المهمة كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " لمؤلفه ابن أبي زرع (أبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي) والمتوفى بعد عام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م . وهو كتاب عام لتاريخ المغرب الأقصى ويبدأ من قيام دولة الادارسة (١٧٢هـ/٤٨٨م) وينتهي بأحداث عام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م ، دار المنصور للطباعة بالرباط في عام ١٩٧٢ ، وهو من أهم الكتب لاستعراضه تاريخ الدولة المرينية وانجازاتها ، حيث انه كان معاصرا للدولة المرينية . وقد استفدت كثيرا من هذا الكتاب في جميع فصول الرسالة حيث رصد ابن أبي زرع مدينة فاس من حيث عدد الدور والحوانيت الموجودة بها خلال العصر الموحدى والتي أمدتنا بمعلومات عن المدينة والسلع الموجودة إلى جانب رصد المجاعات والأوبئة التي أصابت مدينة فاس خلال العصر المريني والتي كان لها اثر كبير على أسواق مدينة فاس والعاملين بها .

واعتمدت أيضا على مؤلف آخر لابن أبي زرع وهو كتاب " الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية " وقام بتحقيقه عبد الوهاب بن منصور ونشر بدار المنصور للطباعة عام ١٩٧٢م، وتناول فيه الحديث عن بني مرين وقيام دولتهم وقبائلهم .

واطلعت الباحثة على كتاب "زهرة الأس في بناء مدينة فاس " لمؤلفه أبي الحسن علي الجزنائي ، كان على قيد الحياة عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م وهو من تحقيق الدكتور عبد الوهاب بن منصور ، ونشر بالمطبعة الملكية ، الرباط عام ١٩٧٢م وهو من كتب البلدان المهمة حيث استفدت منه في ذكر من أسس مدينة فاس والجوانب الحضارية لمدينة فاس ، وعرض للكثير من مظاهر الحياة الاقتصادية لهذه المدينة في عهد الدولة المرينية .

وتعد مؤلفات المؤرخ الاندلسي والأديب لسان الدين بن الخطيب المتوفى عام ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م ، من المصادر المهمة التي اعتمدنا عليها ، حيث أتاح له مركزه السياسي كوزير فرصة للاطلاع على الوثائق والمراسلات الرسمية المحفوظة بقصر الحمراء ، واستخدام مادتها في مؤلفاته التاريخية ، وبرز هذه المؤلفات كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" وقسم بتحقيقه الدكتور محمد عبد الله عنان ، ونشر بمكتبة الخانجي عام ١٩٧٣م وهو من كتب التراجم المهمة وهو يتسم بالدقة والسلاسة والترتيب لعرض الأحداث وقد افادني في الجوانب الحضارية للدولة .

أما كتاب "كناسة الدكان بعد انتقال السكان" وقد قام بتحقيقه محمد كمال شبانه، ونشر بدار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، وقد استفدت منه في التعرف على الحياة الاجتماعية ونتائج الثورات التي قامت بمدينة فاس .

كما اطلعت الباحثة على كتاب "معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار" قام بتحقيقه محمد كمال شبانه ونشر بصندوق إحياء التراث الاسلامي المشترك بين المملكة المغربية والأمارات، وهو عبارة عن رسالة كتبها ابن الخطيب في وصف البلدان المغربية والأندلسية .

ويعتبر كتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، لأبي عبد الله بن مرزوق الخطيب التلمساني (ت عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م) الذي قام بتحقيقه ماريا خيوس بيغرا ، ونشر بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع ؛ الجزائر عام ١٩٨١م ، من المصادر المهمة أيضا ، حيث أن مؤلفه التحق بخدمة السلطان أبي الحسن المريني الذي ترجم له ، ولعصره وقد أمدنا بمعلومات عن اهتمامات أبي الحسن المريني بمدينة فاس وأسواقها والطرق التجارية ونهيدها للمسافرين ، واهتمامه أيضا بالمظاهر الحضارية بمدينة فاس .

كما اعتمدت الباحثة على كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر. لابن خلدون ، المتوفى عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م . وهو من المصادر الهامة لاحتوائه على تاريخ الدولة المرينية وقد عاصر ابن خلدون الدولة وتحدث فيه عن أحداثها ووقائعها ، ووفر لنا معلومات ثرية عن الدولة المرينية وأصولهم وبيئتهم وخاصة بالجزء السابع والذي تحدث فيه عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية بدقة ووضوح .

لدينا كذلك مؤلفات المؤرخ النسابة أبي الوليد بن الأحمر (المتوفى عام ٨١٠هـ/١٤٠٧م) كتاب "روضة النسرين في دولة بني مرين" والذي قام بتحقيقه الدكتور عبد الوهاب بن منصور، عام ١٩٩١م ، فقد افادني في معرفة نسب بني مرين ، وأخبار العاملين بالإدارة في الدولة المرينية . وكتاب "بيوتات فاس الكبرى" والذي اعانني في توضيح العناصر السكانية وبيوتات فاس التي كونت مجتمع فاس والعناصر العاملة بالأسواق . وكتاب " النفحة النسرينية واللحة المرينية " وقام بتحقيقه عدنان محمد آل طعمه ، ونشر بدار سعد الدين ، بعين الكرش دمشق عام ١٩٩٢م ، وهو عبارة عن أرجوزة مختصرة في تاريخ الدولة المرينية ، وأوضح بها تاريخ الملوك والأمراء وأعمالهم .

وقد استفادت الباحثة من كتاب لمؤلف مجهول اندلسي من أهل القرن الثامن الهجري بعنوان " الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" قام بتحقيقه الدكتور سهيل زكار والاستاذ عبد القادر زمامه ، ونشر بدار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء عام ١٩٧٩م ويعتبر من أهم المصادر التي افدتني في نسب بني مرين ونهاية الدولة الموحدية وتتبع الصراع بين الموحدين وبني مرين حتى استقرارهم في حكم المغرب الأقصى .

ويعتبر كتاب "كشف القناع عن تضمين الصناعات" لأبي الحسن المعداني (المتوفى عام ١١٤٠هـ/١٧٢٨م) تحقيق محمد أبو الأجفان ونشر بالدار التونسية ، تونس عام ١٩٨٦م وقد أمدنا بمعلومات هامة عن الصناعات العاملين بالأسواق كالسماصرة والدالين والحمالين .

ومن المصادر الهامة أيضا كتاب " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ونكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب " لأبي العباس احمد المقرئ التلمساني المتوفى عام (١٠٤١هـ/١٦٣١م) وقام بتحقيقه احسان عباس، ونشر بدار صادر بيروت عام ١٩٦٨م ، ويعتبر من المصادر التي لا غنى عنها في دراسة تاريخ المغرب والأندلس ، وقد استفدت منه في معرفة الكثير من الأندلسيين الذين هاجروا إلى مدينة فاس خلال العصر المريني وكان لهم دور كبير في ازدهار أسواق مدينة فاس.

بجانب ذلك كتاب "فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان" لمؤلفه ابن رزين التجيبي وقد قام بتحقيقه محمد بن شعرون ، الرباط ١٩٨٨م وقد أمدنا هذا الكتاب بمادة كثيرة عن أنواع الأطعمة التي تباع بأسواق مدينة فاس والحياة الاجتماعية للعاملين بالأسواق فقد كان معاصرا لبداية الدولة المرينية .

ثانيا : الموسوعات التاريخية

ومن الموسوعات المهمة كتاب " صبح الأعشى في صناعة الانشا " لأبى العباس احمد القلقشندى (المتوفى ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ونشر بقصور الثقافة بالقاهرة ٢٠٠٥م ، فيعرض في كتابه لمعلومات تاريخية وجغرافية عن بلاد المغرب الأقصى ، ففي الجزء الخامس تحدث عن مدينة فاس من حيث أنهارها وأسواقها وسلعها التجارية الخاصة بها ، والمكايل والموازين والعملة ، والأسعار والمراسلات التي تبادلها سلاطين الدولة المرينية مع سلاطين المماليك بمصر .

ثالثا: كتب خاصة بالتراجم

ومن ابرز هذه المصادر كتاب "جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس" تأليف أبى العباس احمد بن محمد المكناسى بن القاضي ، (المتوفى عام ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م) وقام بتحقيقه عبد الوهاب بن منصور ، ونشر بدار المنصور للطباعة عام ١٩٧٣م ، وهو كتاب تراجم مهم لمدينة فاس وقد تميز بسهولة وحقته في عرض الأحداث ، وقد استفدت منه في معرفة العناصر السكانية المكونة لمجتمع فاس.

رابعا: كتب الجغرافيا والرحلات

من أهم كتب الجغرافيا كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لمؤلفه أبى عبد الله بن محمد بن عبد الله الادريسي (المتوفى عام ٥٦٠هـ / ١١٦٥م) ونشر بمكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٠م وترجع أهمية هذا الكتاب إلى انه قدم لنا معلومات مهمة عن المدن والقرى والأمصار المغربية والأندلسية ومسافاتها وطرقاتها ، وأمدنا أيضا بمعلومات اقتصادية مهمة عن الزراعة والمحاصيل التي بمدينة فاس ومدن المغرب الأقصى ، والتي أوضحت لنا السلع التجارية الهامة بأسواق مدينة فاس وإلى جانب ذلك ابرز العلاقات التجارية بين مدن المغرب بعضها البعض من جهة وبينها وبين مدن الأندلس وبلاد السودان من جهة أخرى .

وترجع أهمية كتاب " الروض المعطار في خبر الأقطار " تأليف أبو عبد الله بن عبد المنعم الحميري الأندلسي المتوفى عام (٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) وقام بتحقيقه ليفي بروفسال ، ونشر بدار الجيل ببيروت ، إلى انه مصدر جغرافي مهم يصف الأقطار والمدن ، وما تتميز به من مميزات جغرافية ، وبجانب ذلك يعد مصدرا تاريخيا يذكر الأخبار والوقائع .

بالإضافة إلى كتب الجغرافيا فقد استفادت الباحثة أيضا من كتب الرحلات ، ومن أبرزها كتاب " تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " المعروف برحلة ابن بطوطة ، ومؤلفها هو محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (المتوفى عام ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) والذي قام بتحقيقه محمد عبد المنعم العريان وراجعه مصطفى القصاص ، ونشر بدار إحياء التراث ببيروت عام ١٩٧٢م ، أما عن المعلومات التي تقدمها الرحلة ، فهي معلومات ليست ذات طابع جغرافي وصفي فقط ، ولكنها تمثل معلومات ذات طابع اجتماعي أيضا، فيصف عادات ومظاهر الاحتفالات الخاصة بالشعوب والقبائل أ ومعلومات ذات طابع ثقافي واقتصادي حيث يصف المدن التي مر بها خلال رحلته .

كما افادتني مؤلفات ابن الحاج النميري إفادة كبيرة حيث عمل في خدمة بني مرين وبني الأحمر وبني حفص ، مما أتاح له معرفة الكثير من مجريات الأمور الخاصة بتلك الدول ، ومن أبرزها كتاب " فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة وبلاد الزاب " وقام بدراسته محمد بن شقرون ، ونشر بدار الغرب الاسلامي ببيروت عام ١٩٩٠م ، واشتمل على عدد كبير من المراسلات والمعاهدات بين سلاطين بني مرين وسلاطين الدول النصرانية .

واستفادت الباحثة من كتاب " وصف أفريقيا " تأليف الحسن بن محمد الزياد الوزان المعروف بليون الإفريقي (ت عام ٩٦٠هـ / ١٥٥٢م) ترجمه محمد حجي وآخرون ، ونشر بدار الغرب الاسلامي ، بيروت عام ١٩٨٠م ، وهو كتاب مهم في الرحلات وهو واضح الأسلوب وقد استفدت منه في الجوانب الحضارية الخاصة بأسواق مدينة فاس، وأماكن تواجدها وأوقاتها والسلع المعروضة بالأسواق وأنواع هذه الأسواق .

خامسا : كتب النوازل والحسبة

هي مصدر مهم لا غنى عنه للباحث في تاريخ المغرب وحضارته . فهي سجل كامل لسائر مناحي الحياة التاريخية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والعمرانية التي قد تتجاهلها كتب التاريخ الأخرى.

وقد استفادت الباحثة من نوازل القاضي احمد بن يحيى الونشريسي (المتوفى عام ٩١٤هـ / ١٥٠٨م) والمعروفة باسم "المنيار ألمعرب والجامع المغرب عن ثنأوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب " وقام بنشره وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، بالرباط عام ١٩٨١م، وتأتى أهمية هذا المصدر في اتساع نطاقه زمانا فيتناول نوازل من أواخر القرن

الثاني الهجري إلى القرن العاشر الهجري ، ومكانا من حيث أنها تتعلق بكل مدن بلاد المغرب من أدناها إلى أقصاها وكذلك الأندلس ، وموضوعا فهي تتناول موضوعات عديدة في شئون الحياة شتى . واستندت منه كثيرا في إعداد البحث حيث وجد به مادة ثرية عن أنواع المعاملات التجارية والمالية بأسواق مدينة فاس ، ووفر لنا مادة عن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمدينة تتميز بالوضوح والصدق ، حيث أورد لنا عدد كبير عن حالات الغش بالعملات ومظاهر الفساد والاحتكار وأنواع الضرائب والمكوس بأسواق مدينة فاس .

بالإضافة إلى كتب النوازل استفادت الباحثة من كتب الحسبة والتي من أهمها كتاب " معالم القرية في احكام الحسبة " لابن الأخوة (المتوفى عام ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) وقسام بتحقيقه محمد شعبان وصديق المطيعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة عام ١٩٧٦م ويعتبر من أهم الكتب التي تحدثت عن الحسبة ودور المحتسب في مراقبة العاملين داخل الاسواق .

وقد استفادت الباحثة ايضا من كتاب " رسالة في القضاء والحسبة " لابن عبدون (كان حيا في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) وقام بتحقيقه ليفي بروفنسال ، بالمعهد الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة عام ١٩٥٥م ، ويعتبر هذا الكتاب من الكتب الهامة حيث امدنا بمعلومات وفيرة عن تنظيم الاسواق ومراقبة دور السكة وكيفية تنظيمها .

بالإضافة إلى كتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة " للشيرازي ، وقد قام بنشره للباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٤٦م ، وقد امدنا بمعلومات قيمة عن الحسبة وتعريفها ودور المحتسب بالأسواق ودور العاملين للحفاظ على الأسواق .

سادسا: كتب العملة والمكاييل والموازين

ومن المصادر الهامة كتاب "الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة" تأليف أبو الحسن الحكيم المتوفى في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وقد حققه حسين مؤنس ، ونشر بدار الشروق ، القاهرة عام ١٩٨٦م . وقد استفدت من هذا الكتاب في توضيح دور السكة بمدينة فاس والعاملين بها واختصاصاتهم ، والعملات المرينية وأوزانها ودور المحتسب في الأسواق، فضم معلومات هامة عن الحياة الاقتصادية بمدينة فاس.

بالإضافة إلى كتاب " إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد" لأبي العباس أحمد السبتي (المتوفى عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م) وقد قام بتحقيقه محمد الشريف ، من منشورات المجمع الثقافي ، الإمارات المتحدة عام ١٩٩٩م ، وهو من الكتب الهامة التي ساعدت في توضيح الموازين والمكاييل الخاصة بعملية البيع والشراء في الأسواق .

المراجع العربية الحديثة والمعربة:

استفادت الباحثة من بعض المراجع الحديثة، والتي اهتمت بشكل خاص بعصر الدولة المرينية، وخاصة مؤلفات العلامة الكبير محمد المنوني وخاصة كتابه المهم "ورقات عن حضارة المرينيين " من أهم الكتب التي تحدثت عن الدولة المرينية ، فقد استفدت من هذا الكتب استفادة كاملة خاصة في أسواق مدينة فاس ، حيث تحدث عن بني مرين وقيام دولتهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، وعن المعاملات المالية والتجارية بمدينة فاس .

واستفادت الباحثة من كتاب " تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس في العصر المريني " لمؤلفه الاستاذ الدكتور محمد عيسى الحريزي الذي يعد أول من افرد مؤلفا عن الدولة المرينية ، فقد زودنا هذا الكتاب بمعلومات اقتصادية واجتماعية كثيرة وكذلك رصد للثورات التي قامت ضد الدولة المرينية خلال فترة حكمهم لمدينة فاس .

كما استفادت الباحثة من كتاب "الحرب والطبيعة في المغرب الأقصى عصر بني مرين " للدكتورة سامية مصطفى مسعد حيث اعطاني معلومات هامة عن الحياة الاجتماعية للدولة المرينية ، والثورات والفن التي حدثت بمدينة فاس والأمراض والأوبئة التي أثرت على أسواق مدينة فاس .

كما استفادت الباحثة أيضا من كتاب "المغرب عبر التاريخ " للدكتور إبراهيم حركات حيث اتمم الكتاب بوفرة المعلومات وبساطته في عرض الأحداث ، واستفدت منه في عرض أصل بني مرين والعناصر السكانية والاضطرابات السياسية والطبيعية التي اعترضت أسواق مدينة فاس .

ولا نستطيع في هذا الصدد أن نتجاهل كتاب عبد الهادي التازي "التاريخ الدبلوماسي للمغرب الأقصى من أقدم العصور إلى اليوم " ويقع في عشرة أجزاء، أهمها الجزء السابع الخاص بالدولة المرينية ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه عرض فيه للعلاقات

الخارجية لدولة بني مرين عرضا تفصيليا دقيقا ، محلا ومستنتجا للعديد من الظواهر ، وقد استفدت منه في علاقة أسواق فاس بالأسواق الخارجية .

كما تميز كتاب "اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية" إلى العصر السعدي" لمؤلفه محمد مقرر ، بأنه من أهم الكتب التي قامت بوصف الملابس الخاصة بالعاملين في الأسواق .

المراجع الأجنبية:

بالإضافة إلى المراجع العربية ، قد استفادت الباحثة من بعض المراجع الأجنبية، وخاصة وإن هناك بعض الموضوعات أهملتها المراجع العربية وتناولتها تلك المراجع بشيء من التفصيل مثل ما يتعلق بموضوع العلاقات بين أسواق فاس وأسواق مصر ، فعن هذا للموضوع استعانت الباحثة بكتاب

Fez City of Islam, translated from German by willam stoddart, the Islamic texts society Cambridge 1992.

لمؤلفه بوركهات Burck hardt . حيث عرض أنواع الأسواق بمدينة فاس في العصر المريني ومواقع الأسواق وأنواع السلع بالأسواق .

بالإضافة إلى دراسة ماس لاتري M.L. Demas Latrie التي عرض فيها عن العلاقات بين أسواق فاس وأسواق الأندلس والدول النصرانية بعنوان

Trates de Paix et de Commerce, Les rolations des chretiens Arabs de L'Afrique SePtentrionale, Paris, 1866. وأخيرًا تمت

الإفادة من مقالة بول باسكون : Paul Pascon وهي بعنوان description des mudd et s A' Maghreb Ins, Hesperis. Tamuda 1975.

وقد أبرزت هذه المقالة المعاملات المالية بأسواق مدينة فاس .

الدوريات والمقالات:

واعتمدت على عدد من المقالات المتنوعة والدوريات وكان أهمها مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية بالمغرب العدد ١٦ لسنة ١٩٩١ بالرباط ، والذي ضم مقالة بعنوان، "الطاعون الأسود بالمغرب في القرن ١٤م" للدكتور محمد الأمين البزاز ، والتي أوضحت

الأوبئة والأمراض التي أصابت مدينة فاس في القرن الرابع عشر الميلادي وتأثيرها على الحياة الاقتصادية بمدينة فاس .

ومن المقالات الهامة مقالة بعنوان " الحياة الاقتصادية في العصر المريني " للدكتور إبراهيم حركات المنشورة بمجلة كلية الاداب الرباط عام ١٩٧٨م ، تضمنت هذه المقالة الحياة الاقتصادية وأظهرت دور سلاطين بني مرين في الاهتمام بالمشروعات الاقتصادية بمدينة فاس والتي ساعدت بدورها في ازدهار الأسواق .

وأيضاً مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية بفاس والتي صدرت عام ١٩٨٦/١٩٨٥م وهو عدد خاص ، ومن أهم مقالاتها والتي حملت عنوان "صناعة النسيج فى المغرب الوسيط " للدكتور عبد العزيز العلوى ، وقد وفرت لنا معلومات هامة عن صناعة النسيج والصناعات التي تعلقة بالنسيج وأنواع المنسوجات سواء الصوفية او القطنية .

وقد وفرت الدوريات المغربية مادة جديدة للبحث ومنها مجلة دعوة الحق ، ومجلة البحث العلمي ، ومجلة المناهل ، إلى جانب عدد من الندوات ومنها ندوة فاس وإفريقيا والتي أعطتنا معلومات هامة عن الأسواق بمدينة فاس وأنواع الأسواق والفنادق التي يقيم بها التجار، ومن أهم هذه المجلات ، مجلة دعوة الحق والتي من أهم أعدادها العدد ١٢، السنة ١٤ ، عام ١٩٧١م والتي من أهم مقالاتها ، مقال حمل عنوان "حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس " للمؤلف عبد السلام بن سوده ، وقد افادتنى في معرفة أنواع الحرف والعاملين بها واهم السلع بأسواق مدينة فاس .

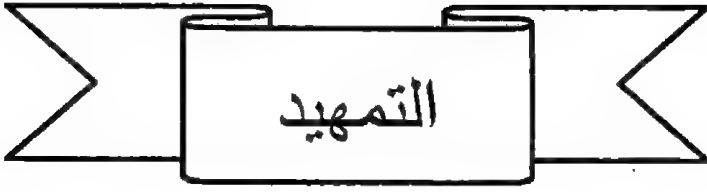
وأخيراً هذه محاولة متواضعة لإبراز أسواق مدينة فاس في العصر المريني . واعلم اننى في بداية الطريق وأتقدم بالاعتذار عن اى هفوات وردت في الرسالة، وحسبى اننى اجتهدت وأنفقت الوقت الكثير لإعداد الدراسة .

وفى النهاية لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر الشكر والعرفان بالجميل لاساتذتى الأجلاء، الأستاذ الدكتور حسين سيد مراد ، والأستاذ الدكتور كرم الصاوي باز، حيث شملوني برعايتهم العلمية فقد كانوا نعم الاساتذة المساعدين لى في توجيه النصح والإرشادات الهامة للبحث ، وامدادى بالكتب لإتمام البحث ، بالإضافة إلى الملاحظات والتعليقات الهامة لانجاز البحث .

وفى الخاتمة أرسل لىم جزيل الشكر على الجهد الذي بذلاه معى لإتمام الدراسة:

كما أقدم شكري وامتناني لاسرتي أُمي وأبى وأخوتي على معاونتهم لي جزاهم الله خير الجزاء.

كما أتقدم بشكري لأمناء مكتبات المركزية بجامعة القاهرة ، مكتبة معهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ،مكتبة دير الدومنيكان ، ودار الكتب والوثائق المصرية ، ومكتبة الإسكندرية .



١- أحوال أسواق مدينة فاس في فترة الانتقال من الموحدين إلى المرينيين

٢- قيام دولة بني مرين

٣- تأسيس فاس الجديد

شهدت مدينة فاس أواخر عهد الدولة الموحدية خاصة بعد وفاة الخليفة الناصر عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م انتكاسات سياسية واقتصادية واجتماعية وطبيعية ، أثرت عليها وجعلتها فريسة سهلة بأيدي القبائل المرينية فاضطربت الأحوال وسابت الفوضى بمدينة فاس . وبفضل الصراع الذي نشب بين الموحدين والمرينيين فقد عانت الأسواق وكافة القطاعات الاقتصادية في المدينة من تبعات هذا الصراع والذي انتهى باستيلاء المرينيين بقيادة أبي يحيى ابن عبد الحق على المدينة عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م بعد حصار طويل استمر لمدة سنة .

كما شهدت أسواق مدينة فاس تغيرات عديدة في فترة الانتقال من الموحدين إلى المرينيين، وقد تأثرت هذه الأسواق في هذه الفترة بالفتن السياسية بالإضافة إلى الأمراض والأوبئة والمجاعات التي مرت بها مدينة فاس بداية عهد المستنصر الموحدي (٦١٠-٦٢٠هـ/ ١٢١٣-١٢٢٣م) إلى نهاية الحكم الموحدي لمدينة فاس وذلك بدخول المرينيين المدينة عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م . وقد صادف دخول المرينيين وقوع حريق امتد إلى قيسارية هذه المدينة وقد قضى هذا الحريق على الكثير من أسواقها وما تضمنه من حوانيت .

١- أحوال أسواق مدينة فاس في فترة الانتقال من الموحدين إلى المرينيين

للمتتبع لتاريخ الدولة الموحدية يمكن تقسيم عهد هذه الدولة إلى فترتين الأولى تمتد من قيام الدولة عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م حتى وفاة الناصر الموحدي عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م ،وقد تميزت هذه الفترة بقوة الدولة وتطورها في كافة المجالات وازدهارها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وتوسعها في الأندلس . أما الفترة الثانية والتي تمتد من ٦١٠هـ/ ١٢١٣م إلى نهاية الدولة الموحدية ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م فقد تميزت باضطراب أحوال الدولة بسبب سوء الأوضاع السياسية وانتشار الفتن والاضطرابات والأوبئة والمجاعات وانحسار النفوذ الموحدي من الأندلس.

عرفت الدولة الموحدية بداية من الفترة الثانية من عمر هذه الدولة أى عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م العديد من الأزمات والشدائد الطبيعية والسياسية التي أصابت البلاد بهزة عنيفة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، بالإضافة إلى ضعف السلطة المركزية مما أدى إلى الفوضى التي أثرت في النشاط الفلاحي وعجز الفلاحين عن القدرة على دفع الضرائب، وامتد تأثير الفوضى إلى الكثير من المؤسسات الصناعية والعمرانية التي أصاب الكثير منها الخراب .

ويرجع ضعف الدولة الموحدية في بداية الفترة الثانية من عمر هذه الدولة إلى ضعف الخلفاء الموحدين الأواخر ، ويرجع هذا إلى أن عددا منهم وصل إلى الحكم صغير أو في سن الشيخوخة.^(١) مما أتاح الفرصة لقيام الثورات التي كان لها دور كبير في انهيار هذه الدولة وقيام دولة بني مرين ، حيث كثرت الثورات والفتن والبغى وقطاع الطرق واضطربت الأحوال السياسية وصاحب ذلك غلاء شديد وعم الخراب البلاد^(٢) وزادت الفوضى وظهرت الرشاوى وعجزت الدولة عن دفع مرتبات الجند ، واختل الأمن بفاس وخربت البساتين واستمر ذلك عشرين عاما منذ هزيمة العقاب ٦١٠هـ/ ١٢١٣م .^(٣) فمع ولاية يوسف بن محمد الناصر^(٤) الملقب بالمستنصر (٦١٠-٦٢٠هـ/ ١٢١٣-١٢٢٣م) ولسوء حظ الامبرطورية الموحدية انه لم يكن زعيما قويا وكان ميلا إلى اللهو وبعيدا عن أمور الإدارة خاصة انه تولى الحكم صغيرا وعمره ستة عشر عاما لا حكمة له ولا تجربة ولا معرفة بالأمور مما سمح بتدخل أشياخ الموحدين في شئون الدولة فترك الأمور لرجال الدولة، وقام هؤلاء الأشياخ باستعادة سلطاتهم واستبدوا بالولايات.^(٥)

(١) حسين مراد : فلاحو فاس في عصر الموحدين ، مركز البحوث والدراسات التاريخية ،كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ص ٧٨ .

(٢) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة ،الرباط ١٩٧٢، ص ٣٦ المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ،تحقيق محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ١٩٨٤، السفر ٨ ، ج١، ص ١٧٦ ، السلاوى : الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق محمد الناصري الدار البيضاء ١٩٥٤، ج٢، ص ٢٠٨، حسين مراد : فلاحو فاس في عصر الموحدين، ص ٧٨.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة الرباط ، سنة ١٩٧٢، ص ٢٣٩، الجزئان: نجني زهرة الأسى في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب منصور، الرباط ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ ١٩٩١ م ، ص ٤٥، المراكشي: مصدر سابق ، ص ١٧٩.

(٤) يوسف بن محمد الناصر : هو يوسف بن محمد الناصر الملقب بالمستنصر بالله ، تولى الحكم فى ذى الحجة سنة ستمائة وعشر ، وكان فى السادسة عشر من عمره ، وكان حسن الوجه مشغوقا براحته ، وكان حكمه أول فترات الضعف التى أصابت الدولة الموحدية . للمزيد الاستقصا ، ج٢ ، ص ٢٠٢، ٢٠٤.

(٥) المراكشي : وثائق المرابطين والموحدين ، تحقيق حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٧م ، ص ١٦٣ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ، ج.ى كولان وليفى بروفنسال ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ١٩٨٣، ج٤ ، ص ٢٤٣، روجيه لوطورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، ترجمة أمين الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ١٩٨٢ ، ص ١٠٢.

كما استبداد الوزراء بالأمور وكان ذلك من أهم الأسباب التي ساعدت على انحلال الدولة الموحدية.^(١)

وقد صاحب الضعف السياسي عام ٦١٠هـ/١٢١٣م الوباء العظيم والذي حصد الكثير من الأرواح.^(٢)

وقد عانت البلاد أيضا في عهد هذا الخليفة من مجاعة جديدة امتدت منذ عام ٦١٤هـ/١٢١٧م إلى عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م أدت إلى اشتداد الغلاء والقحط وارتفاع الأسعار التي ووصلت إلى مالا نهاية ، واستمر القحط وزادت حدته بسبب هجوم الجراد.^(٣)

واستمرت الأحوال الاقتصادية السيئة في عهد الخليفة المستنصر ففي عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م أصابت البلاد مجاعة جديدة عدمت فيها القوات.^(٤) وصاحب المجاعة الجراد المنتشر مما أدى إلى حدوث انهيار في أسواق فاس.^(٥) وبعد وفاة المستنصر تولى الأمر في الدولة الموحدية عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م ، وهو في سن الشيخوخة فشاخت الدولة بشيخوخته^(٦) تولى الخلافة بعد أربع سنوات الخليفة إدريس بن يعقوب المنصور^(٧) الملقب بالمأمون (٦٢٤-٦٣٠هـ/١٢٢٧-١٢٣٢م) واشتد الغلاء وغلت الأسعار لكثرة الفتن وبيع قفيز القمح بخمسة عشر دينار .^(٨)

(١) ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ١٥٨ .

(٢) ابن عذارى: مصدر سابق جـ ٢، ص ٢٦٦.

(٣) ابن عذارى: نفس المصدر والجزء والصفحة ، ابن أبي زرع: الأنيس ، ص ٢٧٢، السلاوي : الاستقصا ج ٢، ص ٢٦٢ . محمد المغراوي : الموحدون وأزمات المجتمع ، جذور للنشر ، الرباط ط ١ ، ٢٠٠٦ ، ص ١٦٩ .

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس ، ص ٤٩ .

(٥) السلاوي: الاستقصا ج ٢، ص ٢٦٤ .

(٦) السلاوي: المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٧) إدريس بن يعقوب: هو أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الملقب بالمأمون ، وكان يتسم بالشهامة والصرامة وأخلاق الحجاج بن يوسف وكان عمره ست عشرة سنة ، وبويع لجامع المنصور من قصبة مراكش عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م . للمزيد الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ .

قفيز : وحدة للمقاييس والموازين ففي المقاييس تساوى من الأرض قدر مائة وأربع وأربعين ذراعا ، أما الموازين تساوى ثمانية أرتال . للمزيد انظر محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية ، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩٣-١٤١٣هـ .

(٨) ابن أبي زرع: الأنيس ص ٢٧٤ .

وفى عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م أصاب مدينة فاس سيل عظيم فهدم مسافتين من سورها القبلي والعديد من فنادق عدوة الأندلس. ^(١) وكان لهدم هذه الفنادق اكبر الأثر في تدهور أسواق مدينة فاس .

وفى ظل هذا التدهور لأسواق مدينة فاس رفض معظم الأسياف ولاية المأمون حيث رأوا في قوة شخصيته عدم قدرتهم على تحقيق طموحاتهم ، فبايعوا يحيى بن الناصر وكان صغيرا ليس له خبرة فأدى ذلك إلى انتشار النزاعات والفتن ، وقلت المجابى واستبد الولاة بولاياتهم فكان لاضطراب الأمن وسيادة الفوضى اكبر الأثر في انهيار معظم كل القطاعات الاقتصادية وساعد على هذا الانهيار انتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات وارتفاع الأسعار وكثرت المارقة للحوانيت والأسواق بمدينة فاس . ^(٢)

وخلال هذه الفترة بدأت قبائل بنو مرين في الظهور بسهولة وسواحل المغرب الأقصى ودار بينهم وبين الموحيدين صراعات عديدة استمرت ثمانية وخمسين عاما. ^(٣) وكان لهذا الصراع تأثير كبير على القطاعات الاقتصادية في مدينة فاس .

ومع بداية حكم الخليفة الموحدى الرشيد ^(٤) (٦٣٠ - ٦٤٠هـ / ١٢٣٣ - ١٢٤٣م) أصاب الجوع والوباء مدينة فاس وبيع وسق القمح بثلاثين دينارا . ^(٥) وأثناء ذلك ظهر عرب الخلط وأعلنوا رفض طاعتهم للموحيدين ، وبجانب ذلك انهارت الأوضاع بمدينة فاس و التي ارتفعت بها الأسعار ، فأكد الطلب على الجابى من البلاد الناصر في أمور الجبابية في المدينة فجلبوا له من قبائل غمارة وفزاز جبابية عظيمة . ^(٦)

(١) ابن أبى زرع : الأتيس ، ص ٢٧٤ . السلاوى : الاستقصا ج ٢، ص ٢٦٤.

(٢) ابن عذارى: مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٢٩ .

(٣) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٣، ص ٤٠٣.

(٤) الرشيد : هو أبى محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون ابن المنصور ، ولقب بالرشيد ببيع بالخلافة بوادي العبيد يوم الأحد فاتح محرم سنة ثلاثين وستمائة ، وكان عمره اربع عشرة سنة للمزيد الاستقصا ، ج ٢، ص ٢١٦.

(٥) ابن عذارى: مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٣٥، ٢٣٦، ابن أبى زرع: الأتيس ، ص ٢٧٧ ، السلاوى : الاستقصا ج ٢، ص ٢٦٤.

(٦) السلاوى: الاستقصا ج ١، ص ٢٠٢، ٢٠٣ .

واشتد الغلاء والوباء في عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م فأكل الناس بعضهم البعض، وكان يدفن في الحفرة الواحدة المائة من الناس. ^(١) وقد أدى هذا الوباء إلى نقص الأيدي العاملة في الزراعة مما ساعد على انهيار الحالة الاقتصادية والأسواق بمدينة فاس . وقد بيع الربع من الدقيق بسبعة وثلاثين درهما . ^(٢)

وكان للحريق الذي وقع بمدينة فاس عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م ، والذي قضى على العديد من أسواقها اثر كبير في ارتفاع الأسعار حيث احترقت أسواق باب السلسلة بأسرها إلى حمام الرحبة ^(٣)

لقد حصدت الأزمات التي مرت بها مدينة فاس خلال مرحلة الانتقال المئات من الضحايا ، وكان تقصير الولاة وإهمالهم سببا مباشر في قلة الأقوات وارتفاع الأسعار. ^(٤) فأثرت هذه المجاعات سلبا على التطور الديمغرافي والإمكانيات المادية للناس بسبب الغلاء الفاحش الذي كان يرافق هذه المجاعات ^(٥) مما اضطر الناس لبيع ممتلكاتهم بأثمان زهيدة للحصول على الطعام. ^(٦)

وكان القشاشين ^(٧) هم نقطة الضعف في النظام الاقتصادي الموحدى حيث أنهم قاموا بتكوين أتباع وعملاء وتواطؤ مع العمال والوزراء والأشياخ وأصحاب الأموال فازداد ضغطهم على الفلاحين وصغار التجار ليحصلون منهم على السلع بثمن بخس ويبيعونها بثلاث أضعافها. ^(٨)

(١) ابن أبي زرع: الأيس ، ص ٢٧٦-٢٧٧ .

(٢) ابن عذاري: مصدر سابق، ص ٣٣٩ .

(٣) السلاوي: الاستقصاج-٢، ص ٢٦٤، محمد المغراوي: مرجع سابق ، ص ١٧٢ .

(٤) حسن على حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، مكتبة

الخانجي ، مصر ، ط ١ ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥٧ .

(٥) محمد المغراوي: مرجع سابق ، ص ١٧٥ .

(٦) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق، الرباط ١٩٨٤ ص ١٣٥ .

(٧) القشاشون : سمسارة استثمروا أموالهم في الزراعة ، حيث كانوا يشترون الغلال في البساتين من زيتون وعنب ورمان وخضراوات وغيرها بأسعار رخيصة ثم يبيعونها بأثمان مرتفعة . للمزيد انظر ماجدة كريمة : مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

(٨) ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، الرباط ، المطبعة الملكية ١٩٦٤ ، ص ٢٤ ، محمد حجاج الطويل : التجارة الداخلية وأثرها على ضعف الدولة الموحدية ، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع و النولة عبر تاريخ المغرب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين الشق ، الدار البيضاء ، جامعة الحسن الثاني ، القسم الثاني ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص ١٤٧، ١٤٦ .

وانتشرت النقود المزيفة وحالات الغش والتزوير.^(١) وقد عمل القشاشون على نشر الاحتكار لبعض المواد الإستراتيجية كالحبوب وزيت الزيتون وانتشر الربا والتهرب من الضرائب، وزادت السرقات لمنع التجار من تزويد الأسواق بالسلع حتى يظل نظام الاحتكار قائما بالأسواق.^(٢)

كل ذلك أدى إلى انهيار أسواق مدينة فاس خلال الفترات الأخيرة من عمر الدولة الموحدية ومع تولى السعيد أبي الحسن المعتضد^(٣) (٦٤٠-٦٤٦هـ/١٢٤٢-١٢٤٨م) بدأ نفوذ القبائل المرينية بالمغرب الأقصى بولاية الأمير أبي يحيى بن عبد الحق عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م، وعظم شأن بني مرين بالمغرب.^(٤) وبوفاة السعيد قام أبو يحيى بالاستيلاء على رباط تازا مما سهل عليه الاستيلاء على مدينة فاس عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م.^(٥)

كان للحصار الذي فرضه المرينيون على مدينة فاس والذي استمر لمدة عام بالإضافة إلى هجمات الجيش المريني على المدينة اثر كبير في تدهور الأسواق بسبب هذين الأمرين.^(٦) وبدخول المرينيين إلى مدينة فاس عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م وقع حريق بقيسارية هذه المدينة حيث احترقت أسواق فاس من قنطرة الصبائين بقرب باب السلسلة، فأحرق سوق السقاطين والغمادين والسبطريين والطوابنيين ووصل الحريق إلى باب الجنائز من جامع القرويين.^(٧)

لقد أثرت الأوبئة والمجاعات التي حاصرت مدينة فاس أواخر الدولة الموحدية سلبيا عليها حيث أدت إلى نقص الايدى العاملة، ونقص السلع الغذائية بالأسواق مما أدى إلى انهيار

(١) ابن الزيات: التشوف، ص ١٠٢، محمد حجاج: مرجع سابق، ص ١٤٩.

(٢) المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول القسم الأول، ص ١٧٦، محمد حجاج مرجع سابق، ص ١٥٠.

(٣) السعيد أبي الحسن المعتضد: هو أبي الحسن السعيد علي بن المأمون بن المنصور، تلقب بالمعتضد بالله، واشتد الضرر على أيامه بالدولة الموحدية، بسبب الأضرار التي سببتها القبائل المرينية بالمغرب. للمزيد السلاوي: الاستقصا، ج٢، ص ٢٢١.

(٤) ابن عذاري: مصدر سابق ج٣، ص ٣٦٦، ابن أبي زرع: الأنيس ص ٢٩٦، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، قصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥ م ج٥، ص ١٩٥.

(٥) ابن عذاري: مصدر سابق ج٣، ص ٣٩١، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩م ج٧، ص ١٧٣. روجيه لوطنو: حركة الموحدين، ص ١٠٥.

(٦) حسين مراد: مرجع سابق، ص ٧٩.

(٧) ابن أبي زرع: النخيرة، ص ٧٣، السلاوي: الاستقصا ج٢، ص ٢٤٦، محمد المنوني: ورقات في التاريخ، ص ١٠٣.

هذه الأسواق . هكذا انتقلت تبعية مدينة فاس من الموحيدين إلى المرينيين ومع هذا الانتقال كانت أسواق مدينة فاس قد تعرضت لضربات موجعة بفضل الفتن والاضطرابات السياسية التي صاحبها أوبئة ومجاعات أدت إلى تدهور أسواق هذه المدينة وارتفاع أسعار السلع ، فكان على المرينيين عبء إعادة الأمن والاستقرار إلى هذه الأسواق .

٢- قيام دولة بني مرين (١)

اختلفت الآراء حول أصل بني مرين ، فمنهم من ذكر إن بني مرين فخذ من قبيلة زناتة (٢) من البربر البتر (٣) أحد فرعى البربر (٤) ومن قبيلة زناتة قبائل كثيرة مغراوة وبنو يفرن وبنو واسين (٥) ومرين وبنو عبد الواد وبنو توجين وغيرهم . (٦) وينتمي بنو مرين إلى الأمير مرين بن ورتاجين (٧) بن الأمير مأخوخ الذي كان يرأس زناتة بعد جده مأخوخ من

(١) مرين : سمووا بهذا الاسم نسبة إلى اسم جدهم مرين ، وهم أعلا قبائل زناتة حسبا وأشرفها نسبا وأكثرها ديناً وأحسنها ظناً وأصلحها يقيناً ، ويميلون للقفاز والصحارى والصيد للمزيد . انظر ابن أبي زرع : النخيرة ص ١٥ الأنيس : ص ٢٧٨ ، أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية ، ج ٤ ، ط ٥ ، النهضة المصرية ، ١٩٧٩ ، ص ١٥٣ ، عثمان عثمان إسماعيل : ص ٦٢ .

(٢) الملزوري : نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ، الرباط ، المطبعة الملكية ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م ، ص ٦٣ ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ٢٧٨ ، ابن الأحمر : تأثير الجمان في نظم فحول الزمان ، دراسة في حياته وأدبه ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨ ، بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ١٩٧٢م ، ص ٥٤ .

(٣) البتر : سموا بالبتر لأنهم من سكان السهول الذين يليسون البرانس من غير غطاء للرأس للتكيف مع طبيعة البيئة التي يعيشون بها ، ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٢١٦ ، عبد الحق : مظاهر الحضارة البربرية ، مجلة دعوة الحق ، العدد ٨ ، السنة ٨ ، الرباط ١٩٦٥ ، ص ٧٦ .

(٤) الاصطخرى : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ، مراجعة محمد شفيق غربال ، دار العلم ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٣٦ .

(٥) بنو واسين : من القبائل المشهورة وقد ملكوا مابين ملوية وأرض الزاب وامتدت عليهم المغريبان ممن ملكها من زناته ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٧ ، ص ٦١ .

(٦) ابن أبي زرع : النخيرة ، ص ١٥ ، ابن الأحمر : روضة النسر في دولة بني مرين ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٦٢ ، ص ١٠ .

(٧) بني ورتاجين : يسكنون بلد الحامة غربي قابس وكانوا أمة عظيمة لها أسواق وتجارة ، للمزيد انظر : ابن خلدون : مصدر سابق ج ٧ ص ٥٩ .

زاب إفريقية^(١) ومن بني مرين بيت بني عبد الحق ملوك الغرب الأقصى المستقرين في مدينة فاس. (٢)

وكانت القبائل المرينية تسكن الصحراء ويرحلون ما بين وادي ملوية وسجلماسة. (٣) وقد كانوا في بداية ظهورهم لا يعرفون فضة أو سكة أو فلاحا أو تجارة إذ كانت الإبل والعبيد كل ثروتهم. (٤)

اندفعت القبائل المرينية التي كانت تعيش على الانتجاع بالهضاب الشرقية من المغرب الأقصى باتجاه الغرب. (٥) فكان لديهم الرغبة في الانتشار طوال تاريخهم. (٦) ومنحت لهم الفرصة نتيجة الخلاف الذي وقع بينهم وبين بني عبد الواد وبني واسين بسبب امرأة وذلك في

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٥٨٠ ، عبد العزيز محمود لعرج: مدينة المنصورة المرينية بتملسان ، دراسة تاريخية في عمرانها وفنونها ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ص ١٠ . محمد شقرون : مظاهر الثقافة المغربية ، ص ٢٠ .

بلاد الزاب : هي منطقة واسعة كانت تشغل المساحة الواقعة في جنوب جبال أوراس وتشمل بسكرة وما حولها ، واقعة في المغرب الأدنى .

(٢) القلقشندي: قلائد الجمال في التعريف بقبائل عرب الزمان ، حققه إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ ، ص ١٧٧ .

(٣) اختلف المؤرخون حول موقع بني مرين في بلاد المغرب فالبعض يقول (أنهم يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقية إلى سجلماسة) ابن أبي زرع : الأنيس ص ٢٨١ . ويرى ابن مرزوق أنهم تملكوا من حد بلاد الجريد إلى ناحية المغرب . المسند الصحيح : ص ١١٠ . وينكر ابن الأحمر أنهم كنوا يسكنون في أحياء منيلة أفريقيا بإزاء جبل أيلجان . النفاة الدرمنية واللمحة المرينية، حققه عدنان محمد آل طعمه دار سعد الدين ، دمشق ١٩٩٢ ، ص ٣١ .

الكتاني : تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهرة الأس في بيوتات فاس ، تحقيق على بن المنتصر الكتاني ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ج ٢ ، ص ١٧٣ ، أبو ألفدا : المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسنية المصرية ، الطبعة الأولى ج ٤ ، ص ٨ ، الفريد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار ليبيا للنشر ١٩٦٩ ، ص ٣٠٨ .

(٤) تاريخ إفريقيا العام: إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر ، اليونسكو، المجلد الرابع، ط ٢ ، ١٩٨٨ ، ص ١٠٢ .

(٥) مصطفى نشاط : جوانب من المسكوت عنه في الكتابة التاريخية المرينية ، نموذج الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دراسات في تاريخ المغرب ، العدد السابع ١٩٩٠ ، حويليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين الشق ، الدار البيضاء ، ص ١٨٤ .

(٦) جورج مارسية : بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ، راجعه مصطفى أبو ضيف أحمد ، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٩٩ ، ص ٣١٩ .

عام ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م^(١) فانتقلوا من تاهرت* وتلمسان إلى الجنوب الشرقي في المغرب الأقصى، وسكنوا منطقة الزاب بجبل يقال له ايكيجان* .^(٢)

بدأت الأحداث بالمغرب تخدم المرينيين على حساب الموحدين حيث بدأت دولة الموحدين في الانهيار بعد هزمتها في موقعة العقاب عام (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م)^(٣)

إذ بدء الوهن والضعف يدب في جسم الدولة ، وبدأ بنو مرين يشنون غاراتهم وهجماتهم على المغرب.^(٤)

فيذكر المقري عن ذلك "فقد كانت العقاب سبب ضعف المغرب والأندلس أما المغرب فبخلاء كثير من قراه وأقطاره ، أما الأندلس فبطلب العدو لها " ^(٥)

وقد كان للإتوات والضرائب التي فرضها الموحدين على المرينيين اثر كبير لقيام المرينيين بمحاولات للاستقلال عن الموحدين ، وتحالفهم مع بعض القبائل ضد الموحدين لضربهم^(٦) مما أدى إلى نشوب صراع مرير مع الموحدين استمر ثمانية وخمسين عاما^(٧)

(١) ابن أبي زرع : النخيرة ، ص ٢٦ .

* تاهرت : مدينة من مدن المغرب الأوسط ، وكانت مدينتين مدينة قديمة ومدينة جديدة . للمزيد انظر الحميري: الروض المعطار في خبر الأمصار، تحقيق إحسان عباس ببيروت ١٩٧٥، ص ١٢٦
(٢) ابن أبي زرع : الأنبس ، ص ١٨٢ .

* جبل ايكيجان : يقع بين سطيف وقسطنطينية ، وفيه حصن ومقل ومنازل بني حماد وقبائل كتامة . للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ٧١ .

(٣) موقعة العقاب : قام الخليفة عبد الله الناصر بتجهيز جيش في ٢٥ ذي القعدة عام ٦٠٧ هـ / أوائل مايو ١٢١٢ م، وجاز به الأندلس ونزل في جزيرة طريف ثم صار بعد ذلك إلى اشبيلية وكانت معركة العقاب بينه وبين جيوش الفونس الثامن ، والتي انتهت بهزيمة الجيوش الموحدية . للمزيد انظر ابن عساري: الروض الهتون ، ص ٣٢ ، احمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ١٩٦٨ م ، ص ١٧٦ ، حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد ، ط ٧ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ص ٢٢٣ ، على الصلابي : إعلام أهل العلم والدين بأحوال الموحدين ، ط ١ ، مكتبة الأيمان ، المنصورة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م ، ص ١٩٨

(٤) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٠ ، ج ٢ ، ص ١٠ ، على الصلابي : مرجع سابق ، ص ١٨٩

(٥) المقري: نفح الطيب، ج ١، ص ٤٢٠

(٦) إبراهيم حركات : المغرب، ج ٢، ص ١١

(٧) عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٦٨ ، ج ١، ص ٢٦٩ ، محمد عيسى الحريري : تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص ١٠ .

فقامت القبائل المرينية بالإغارة على المدن والقرى وأشاعوا بها الفوضى وسلبوا الناس أموالهم (١) فقرر الخليفة الموحدى المستنصر القضاء على القبائل المرينية . (٢)

وصلت الأخبار إلى بني مرين بتقديم جيش الموحدین نحوهم ، فالتقى الجمعان بوادي نكور (٣) عام ٦١٣هـ / ١٢١٦م فالتجلت الحرب عن رجوع جيش الموحدین إلى تازي ومزق الجيش الموحدى وانهزم هزيمة شنيعة واستولى بنو مرين على ما كان بأيديهم من أموال وبالغ المرينيون في تجريدهم من ملابسهم وفر أعداد منهم إلى فاس فقاموا بالتستر بأوراق النبات المعروف بالمغرب بالمشعلة فسميت الموقعة بعام المشعلة (٤)

تعرض المرينيون إلى انقسام داخلي أدى إلى تحرك عوامل في نفوس بني عسكر بن محمد المريني عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م ، فقام الموحدون بتشجيع القبائل من بني رياح وبني عسكر بالتحالف لمحاربة بني مرين ، والتقى الجمعان بواجرهان بالقرب من وادي سبو واستطاعت القبائل المتحالفة من الانتصار في بداية الأمر، وقتل الأمير المريني عبد الحق (٥٩٢-٦١٤هـ / ١١٩٥-١٢١٧م) وولده إدريس ودفنا في تافراطست* (٥) فقام بنو مرين بالمقاومة حتى استولوا على أموال وخيول ودواب القبائل المتحالفة وتولى أبو سعيد عثمان بن

(١) ابن أبي زرع: الذخيرة ، ص ٢٧ ، السلاوى : الاستقصا ج ٣ ، ص ٥٠

(٢) محمد عيسى الحريري : مرجع سابق، ص ١١ .

(٣) وادي نكور: يقع بين رباط تازة ولمرقة وتقع عليه مدينة نكور العامرة بالأمواق . للمزيد انظر الحميري: مصدر سابق ، ص ٥٧٦ .

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٣ ، ص ٢٦٦ ، ابن أبي زرع : الذخيرة ، ص ٢٨ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريّا خيوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م ، ص ١١١ ، ابن الأحمر النفحة للسرنية ، ص ٣٣ ، محمد عيسى الحريري: مرجع سابق ، ص ١١ ، ١٢ .

Bel: A La Religion Muslmane En Berberie, Paris, 1938, P.288.

(٥) ابن أبي زرع: الذخيرة ، ص ٣٣ ، السلاوى: الاستقصا ج ٣ ، ص ٧ ، الكتاني: مصدر سابق ، ص ١٧٣ ، ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ١١١ ، الملزورى: مصدر سابق ، ص ٧٠ ، عيسى الحريري: مرجع سابق ، ص ١٢ .

* تافراطست : لم اعثر على تعريف لها بالمصادر .

عبد الحق^(١) أمر بني مرين بعد أن انتهت الحرب لصالح المرينيين وفرض عليهم إتالة تدفع كل عام.^(٢)

وبوصول الأمير أبي سعيد عثمان (٦١٤-٦٣٧هـ/١٢١٧-١٢٣٩م) رئاسة قبائل بني مرين أصبحت نقطة انطلاق الدولة المرينية ، حيث قام بجمع أشياخ بني مرين ووضع الخطوات الأساسية لقيام دولتهم.^(٣) فقام الأمير أبو سعيد بتحريك جيوشه لإخضاع القبائل العربية والبربرية، وفتح بلاد بني كانون وجبل زرهون وكثير من بلاد غماره .^(٤)

خضعت جميع القبائل المغربية بحلول عام ٦٢٥ هـ/١٢٢٨م لبني مرين حيث ملكوا جميع بوادي المغرب من وادي ملوية إلى رباط الفتح فأصبحت بنو مرين قوة لها كيائها بالمغرب .^(٥) لم تدوم الأمور في مجراها الطبيعي ولكن سرعان ما تغير ذلك حيث قتل الأمير أبي سعيد على يد علج من أعلاجه بتحريض من بني واندين^(٦) عام ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م .^(٧)

(١) أبو سعيد المريني: هو أبو سعيد عثمان بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حماسة الزناتى المرينى ثاني ملوك بني مرين قتل بوادي رداث ، للمزيد انظر ابن أبي زرع : النخيرة ، ص ٣٧، ٣٨.

(٢) ابن أبي زرع : النخيرة ، ص ٣٤ ، ٣٥ السلاوى: الاستقصا جـ ٣، ص ٧٥ ، مجهول الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، حققه سهيل زمامه ، وعبد القادر زمامه ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٧٩ ، ص ١٧٢ ، المازورى: مصدر سابق ، ٧٠.

(٣) ابن أبي زرع : النخيرة ص ٣٦ ، سامية مسعد : الحرب والطبيعة فى المغرب الأقصى عصر بني مرين، دار عين للدراسات الإسلامية والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٣، ص ١٤ .

(٤) ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ٢٨٨ ، السلاوى: الاستقصا جـ ٣ ، ص ٩.

(٥) ابن أبي زرع : النخيرة ص ٣٧، ٣٦، سامية مسعد : الحرب والطبيعة ص ١٥.

(٦) محمد بن واندين : من كبار الموحدين وكان له دور ها في اعتلاء السعيد الموحدي العرش ، وازداد نفوذه في عهد السعيد إلى اعتقاله ، للمزيد انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٧٠ .

(٧) ابن أبي زرع : النخيرة ص ٣٧، ٣٦، سامية مسعد : الحرب والطبيعة ص ١٥.

تولى من بعده أبو معرف محمد بن عبد الحق^(١) (٦٣٧-٦٤٢هـ / ١٢٣٩-١٢٤٤م)
رئاسة بني مرين فقام بجمع الضريبة والمغارم من القبائل^(٢) استطاع هزيمة الموحدين بقيادة
بن واندين خارج مكناسة التي تقهروا إليها.^(٣)

ومن ثم قامت معركة أخرى بأحواز فاس عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م بين المرينيين وقتل
الأمير أبو معرف على يد زعيم من زعماء الروم^(٤)

وقد تولى زمام الأمور من بعده الأمير أبو بكر بن عبد الحق (٦٤٢-٦٥٦هـ /
١٢٤٤-١٢٥٨م)^(٥) فملك الحصون وفتح مكناس في عام ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م^(٦) ودخل الأمير
أبو بكر بن عبد الحق مدينة فاس مع أواخر شهر ربيع الأول من عام (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م)
ودخلها صلحا عن رضا أهلها فبايعوه بالرابطة عند باب الشريعة ، وكان أول من بايعه الشيخ
الفقيه عبد الله القشتالي ثم الفقهاء والأشياخ ، وأخرجوا السيد أبا العباسي من القصبه بعياله
وأولاده . وبدخول الأمير أبي بكر مدينة فاس استقامت له أمور المغرب وتمهد له الملك
وقد تمت عليه الوفود للبيعة ، وتهندت البلاد وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات وتحركت
التجارة.^(٧)

ثم خرج أبو بكر من مدينة فاس سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م إلى معدن العوام^(٨) من بلاد
فازار ، واستخلف عليها مولاه السعود بن خرباش الحشمي ، فأجتمع نفر من أشياخ فاس إلى

(١) أبو معرف : هو الأمير أبو معرف محمد بن عبد الحق بن محبو بن أبي بكر بن حماسة بن محمد الزناتى
المريني، فكان حسن الإدارة ذو عقل ودهاء ، وفتح كثيرا من جبال المغرب وبواديه . للمزيد انظر ابن أبي
زرع : الذخيرة ص ٥٩ ، الأكنيس : ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(٢) ابن أبي زرع : الأكنيس ، ص ٢٨٩ ، السلاوى : الاستقصا جـ ٣ ، ص ١٠ .

(٣) السلاوى : الاستقصا جـ ٣ ، ص ١٠ .

(٤) ابن أبي زرع : الأكنيس ، ص ٢٨٩ ، الذخيرة : ص ٥٩ ، سامية مسعد : للحرب والطبيعة ، ص ١٦ .

(٥) أبو بكر بن عبد الحق : أول ملك من بني مرين ملك البلاد ، وتوفى بقصره من قصبة مدينة فاس ملك
الحصون والبلاد فكان سعد بني مرين . للمزيد انظر ، ابن أبي زرع : الأكنيس ، ص ٢٩١ ، ابن الأحمر : النفحة
النسرينية ، ص ٣٥ .

(٦) ابن الأحمر : النفحة النسرينية ، ص ١٥ .

(٧) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، السلاوى : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ١٤ ، ١٦ .

(٨) معدن العوام : تقع المدينة على بعد ثلاثة فراسخ من الأطلس الكبير على ضفة نهر أبي الرقاق من جهة
الشمال ، أسسها عبد المؤمن الموحدي ، ومرت على يد المرينيين وانتقل سكنها إلى سلا . للمزيد انظر ،
مارمول : إفريقيا ترجمة محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة الرباط ، ١٤٠٨-١٤٠٩هـ / ١٩٨٨
١٩٨٩ ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ .

قاضيها أبي عبد الرحمن المغيلي ، وتأمروا على خلع الأمير أبي بكر وقتل مولاه السعود، وأن يبعثوا بيعتهم إلى المرتضى ، ولما وصل الخبر إلى الأمير أبي بكر شدد الحصار على مدينة فاس عام (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) فبعث أهلها للأمير يطلبون منه الأمان والعفو مقابل مائة ألف دينار.^(١)

وبوفاة الأمير أبي بكر بن عبد الحق كان بداية الانقسام المريني والصراع على الحكم حيث بايع العامة من بني مرين ابنه عمر بن أبي يحيى بينما بايع المشيخة وأهل الحل والعقد أخاه أبي يحيى بتازي.^(٢)

ونتيجة لهذه الأحداث ظلت مدينة فاس مضطربة وانتهى هذا الصراع بتنازل عمر عن إمارة بني مرين إلى عمه يعقوب بن عبد الحق عام (٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م).^(٣)

وما إن وصل يعقوب إلى الحكم حتى قام بتوحيد المرينيين ، وقام بالوصول إلى سلا والاستيلاء عليها من الموحدون وفي هذه الأثناء قام الأسبان بمهاجمة المدينة عام ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م وقتلوا الرجال وسبوا النساء ونهبوا الأموال ، فقام يعقوب بن عبد الحق بمحاصرة المدينة وقتل ما كان بها من نصارى الأندلس.^(٤)

قام الموحدون بإرسال وفد للصلح بينهم وبين بني مرين ، وقام الأمير المريني بقبول الصلح بشرط أن يكون الحد الفاصل بين الطرفين هو وادي الربيع^(٥) ولم يدوم الصلح بينهم طويلا حيث كان الهدف الاساسي لبني مرين هو الاستيلاء على مراكش وإنهاء الدولة الموحدية^(٦)

(١) ابن أبي زرع :مصدر سابق ، ص ٢٩٤ ابن الأحمر : روضة النسرين ، ص ١٧ ، ابن خلدون: مصدر سابق، ص ٢٣٠ ، ٢٣١.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس ص ٢٩٩ ، ابن القاضي : جذوة الاكتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٣ ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

(٣) ابن الأحمر: النفحة النسرينية، ص ٣٦ ، السلوى : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٠ .

(٤) ابن أبي زرع : الذخيرة، ص ٩٣ ، ٩٤ ، الأنيس، ص ٣٠١ ، السلوى: نفس المصدر والجزء، ص ٢٢ : ٢٠ ، سامية مسعد: الحرب والطبيعة ، ص ١٨ .

(٥) ابن أبي زرع : الذخيرة ، ص ٩٤ .

(٦) ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ٣٠٩ ، الملزوري : مصدر سابق ، ص ٨١

وأُتيحت لهم الفرصة عام (٦٦٠هـ / ١٢٦١م) حيث توجه الأمير يعقوب بن عبد الحق إلى مراكش فقامت قوات الخليفة المرتضى الموحدى بالتصدي لهم بقيادة أبي دبوس (٦٦٥-٦٦٧ هـ / ١٢٦٦-١٢٦٨م)^(١) وانسحبت القوات المرينية على اثر مقتل عبد الله بن يعقوب فأدرك الخليفة المرتضى الموحدى خطورة الموقف ، فأرسل للأمير يعقوب لدفع ضريبة لكن الأمير رفض وقام أبو دبوس بالهروب إلى الأمير المريني لطلب المساعدة مقابل اقتسام نصف الأرض التي يسيطر عليها فوافق الأمير يعقوب ، وتمكن أبو دبوس بهزيمة الخليفة الموحدى ودخل أبو دبوس مراكش وتخلّى عن وعده للأمير يعقوب^(٢) فاضطر الأمير لمواجهة في وادي غفو عام ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م وأثناء المعركة قتل أبي دبوس عام ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م ، ودخل الأمير يعقوب مراكش في شهر محرم عام ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م^(٣)

وانتهت بذلك دولة الموحدين بالمغرب على يد المرينيين وانقسم المغرب إلى دول ، فقامت الدولة المرينية بالمغرب الأقصى والدولة الحفصية بالمغرب الأدنى ، وبنو عبد الواد بالمغرب الأوسط.^(٤)

ويعتبر السلطان يعقوب المؤسس الحقيقي للدولة المرينية واتخذ من مدينة فاس عاصمة لهم.^(٥) وعزم أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني (٦٥٦-٦٨٥هـ / ١٢٥٨-١٢٨٦م) بعد أن تمهدا ملكه في المغرب أن يختط بلدا ينسب إليه ويتخذ داراً لملكه ، ومركزا لسلطانه يسكنه هو وحاشيته وأولياؤه ، وسمح للناس باختطاط الدور والمنازل به وأجري فيها المياه إلى القصور وأقام القناطر بطرقاتها وأطلق عليها المدينة البيضاء المعروفة بفاس الجديد.^(٦)

(١) مجهول :الحلل الموشية في ذكر الأخيار المراكشية ، حققه سهيل زمامه ، وعبد القادر زمامه ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٧٩ ، ص ١٧١، ١٦٩ ، ابن أبي زرع : الأئیس ، ص ٣٠٥ .
(٢) ابن أبي زرع : النخيرة ، ص ١٠٩ ، ١١١ ، الأئیس ، ص ٣٠٤ .
(٣) ابن أبي زرع : للنخيرة ١١٧ ، المقرئ : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٨٨م ج٤ ، ص ٣٨٤ ، السلاوي : مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٢٧ .
(٤) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية ، ط٢ ، مكتبة المنار ، تونس ، ق١ ص ٤٥٤ .

Burckhardt (t); Fez City of Islam the Islamic texts society Cambridge 1992, P.42

(٥) ابن الوردي: تنمه المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٣١٧ .

ابن غازي : الروض الهمتون ، ص ٧٥ ، عثمان إسماعيل : الفنون التطبيقية ، ص ٦٤ .

(٦) العمري: مصدر سابق ، ص ١٧٧ .

٣- تأسيس فاس الجديد

مع انتقال الملك من الموحدين إلى المرينيين اتخذوا مدينة فاس دار ملك لهم ، وبنو بها ثلاث ضواحي موازية لها على ضفة الوادي المعروف بوادي الجواهر^(١) فالمدينة البيضاء والتي تعرف بالبلد الجديد ، أمر السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق ببنائها ثالث شوال عام ٦٧٤ هـ/١٢٧٥م ، وجمع لبنائها الإيدى العاملة وحشد الصناع والفعلة واختطوا بها الدور والمنازل وأجرى فيها المياه إلى قصورها^(٢).

وتزيد فاس الجديد على فاس العتيقة في الحصانة والمنعة فأسوارها دائرية محصنة ذوات بروج وبدنات وجميع أبنيتها من الحجر الأحمر والكلس موثقة البناء، مشيدة الأركان ، ولها سورين من الطين المفرغ بالقالب من التراب والرمل والكلس المضروب وهو اشد من الحجر^(٣).

والجدير بالذكر أن عملية بناء مدينة فاس الجديد تمت بعد يوما واحدا فقط من الثورة التي قام بها العامة على اليهود بمدينة فاس العتيقة عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م حيث قتل منهم أربعة عشر يهوديا^(٤).

فقد عزم المنصور بالله أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ، بعد أن تمهدا ملكه في المغرب أن يخطط بلدا ينسب إليه ويتخذة داراً لملكه ، ومركزا لسلطانه يسكنه هو وحاشيته وأولياؤه فانشأ مدينة فاس الجديد^(٥).

وتتكون المدينة الجديدة من ثلاثة أحياء ، حي القصر ويضم الجامع الكبير ومنازل الأمراء والأثرياء وهي المدينة البيضاء ، وحي ربض النصارى وهو يقع بعيدا عن النهر أمام

(١) ابن أبي زرع : الأئیس ، ص ٣٣٢ ، محمد المنوني: ورقات ، ص ٥٤٩

(٢) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٣٣٢ ، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٧، ص ١٩٥، روجيه لوطورنو: فاس عصر بني مرين ، ص ٣٣ ، قبل الحماية ، ص ٩٦ ، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، ج٢، ص ٢٤

(٣) العمري: مصدر سابق، ص ١٧٩

(٤) Maya shatzmiller: un Facteur Ethnique Social medievale le role de ans Juifs les merinides, p.297.

(٥) العمري : مصدر سابق ، ص ١٧٧.

فاس القديم ، ويضم الميليشيا النصرانية التي اتخذها المرينيون لخدمتهم ، وحتى حمص أو حي الملاح ويضم اليهود وبني الملاح على ضفة النهر.^(١)

كانت فاس الجديد مدينة عسكرية وإدارية ، إلى جانب ذلك ضمت المدينة العديد من الجوامع والمساجد منها الجامع الكبير والذي تم بناؤه في رمضان عام ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م حيث أقيمت فيه الصلاة ، وضمت هذه المدينة عددا من المآذن والحمامات والأسواق.^(٢)

واهتم سلاطين بنو مرين بالنهضة العلمية بفاس الجديد حيث كان للسلطان أبى سعيد المريني فضل كبير في بناء المدارس. فأمر ببناء مدرسة فاس الجديد عام (٧٢٠ هـ / ١٣٢٠م) ورتب للطلبة المرتبات ، وحبس عليها الرباع والمجاشر.^(٣)

واهتم أيضا بالجامع فأنشأ جامع الحمراء بفاس الجديد ، وجامع الزهر عام (٧٥٩هـ / ١٣٥٨ م) ويعد من أجمل آثار مدينة فاس.^(٤)

وانتشرت بمدينة فاس الجديد الكثير من الفنادق ، منها فندق الشماعين ، وفندق الملبوم، وفندق الغرباء، وفندق الحدودي وفندق التجار، وفندق الزيت ، وفندق الرضاع وفندق خنوسة وابن حيون، ويوجد فندق كبير للأسري المسيحيين يصنعوا فيه أدوات من الحديد.^(٥)

بالإضافة إلى أسواق مدينة فاس القديمة نشأت أسواق أخرى في فاس الجديد التي بناها السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (٦٥٦ - ٦٨٥هـ / ١٢٥٨ - ١٢٨٦م) الذي قام بإقامة أسواق بالمدينة البيضاء سنة ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠. حيث وجدت أسواق عديدة انتشرت في

(١) العمري : مصدر سابق ، ص ١٧٨ ، القلقشندي: مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ١٤٩ ، محمد المنوني : ورقات، ص ٥٠١ ، روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية ، ص ١٠١ .

(٢) محمد المنوني : ورقات ، ص ٥٠٣ . روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية ، ص ٩٨ ، روجيه لوطورنو: فاس عصر بني مرين، ص ٣٤ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، الإسكندرية ص ٤٤٠ .

(٣) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٤١٢ ، الوزان: مصدر سابق، ص ٢٢٥

(٤) حسين مراد : الأوقاف مصدرا لدراسة مجتمع فاس، ص ٥٧، ٥٨ .

(٥) مارمول : مصدر سابق ، ص ١٥٧ ، روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ١٩٩ عبد الوهاب الدببشي: توزيع المرافق الاقتصادية بفاس المرينية ، كلية الآداب ، الدار البيضاء ، القسم الثاني ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م أعمال ندوة التجارة وعلاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ص ٤٥ .

الأزقة الضيقة وكانت تغطى بالخيزران الواقى من الشمس وأحيانا بالكروم حيث يتجول الفرد بها وكأنه داخل بناية واحدة (١)

لقد انتشرت أسواق الصاغة في فاس الجديد وكانت سوق الصاغة تضم عدد كبير من نكاكين الصائغين ، وعمل بها عدد كبير من اليهود ، وكانت تحمل من فاس الجديد إلى المدينة القديمة لبيعها في سوق معد لها بالقرب من سوق العطارين ، فوجدت هناك سوقة الذهبان المجاورة للصاغة (٢)

خلال العصر المريني أصبحت فاس الجديد بما ضمت من أسواق وفنادق مركزا هاما للتجارة الداخلية والخارجية ، فقد عمل سلاطين بنو مرين على ازدهارها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

(١) عبد القادر زمامة : مرجع سابق ، ص ٩١.

(٢) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٥٩.

الفصل الأول

المقومات الطبيعية والبشرية لازدهار أسواق فاس

أولاً: المقومات الطبيعية

١- البيئة الجغرافية

٢- البيئة الزراعية

٣- الرعى والغابات

٤- وفرة المواد الخام

ثانياً: المقومات البشرية

١ - الوضعية السياسية للمدينة

٢ - النمو السكاني > الديموجرافي<

٣ - ازدهار النشاط الحرفي و الصناعي

٤ - المنشآت التجارية

٥ - الطرق والمواصلات

أولاً: المقومات الطبيعية

تتمثل المقومات الطبيعية لمدينة فاس في موقعها الجغرافي المتميز وسط المغرب الأقصى وبيئة المدينة الزراعية ، وأخيرا النشاط التعدين لهذه المدينة.

أ- البيئة الجغرافية :

يرجع تأسيس الدولة الإدريسية إلى عام ١٧٢ هـ / ٧٩١ م على يد إدريس بن عبد الله الذي دخل المغرب الأقصى في شهر رمضان من تلك السنة هربا من الخليفة العباسي موسى الهادي (١٦٩-١٧٠ هـ/ ٧٨٥-٧٨٦ م) بعد أن أوقع بالعلويين في موقعة فخ^(١) عام (١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م) فهرب إدريس وحث ورجاله في بقعة تدعى "وليلي"^(٢) قرب وادي الزيتون ، حيث اجتمعت حوله قبائل البربر خاصة قبيلة أوربة^(٣) واتخذته زعيما لها. وبعد أن توفي إدريس بن عبد الله (١٧٥ هـ / ٧٩٤ م) خلفه على الملك ابنه إدريس الثاني.

(١) موقعة فخ: كانت يوم التروية عام ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م عندما خرج العلويون من مكة بزعماء الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن ضد الخليفة العباسي موسى الهادي حيث بايع العلويون له بالخلافة في المدينة ثم سار إلى مكة ، فالتقى مع الجيش العباسي بقيادة سليمان بن المنصور بفخ، وهو وادي في طريق مكة يبعد عنها حوالي ثلاثة أميال ، فانهزم العلويون وكان قد اشترك مع الحسن عمه إدريس بن عبد الله بن الحسين ، ويحيى اللذان نجحا في الإفلات واتجه إدريس بن عبد الله إلى بلاد المغرب وفر يحيى إلى بلاد المشرق . للمزيد انظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ، جـ ٣ ، ط ٤ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٩٣-٢٠٤ ، المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين ، جـ ٣ ، ط ٤ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٣٣٩ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، راجعه محمديوسف الدقاق ، جـ ٥ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٧ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٧ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، جـ ٢ ، ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ١٨٢ ، عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، مج ٤ ، ١٩٨١ ص ٨ .

(٢) ويلي: مدينة عتيقة واقعة في السفح الجنوبي لجبل زرهون ، على بعد ٢٨ كلم من شمالي مكناس، ونزل بها إدريس بن عبد الله عند اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ، وتوفي إدريس بها ، للمزيد انظر الحميري : الروض المططر ، ص ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس جـ ١ ، ص ١٩ .

(٣) أوربة : قبيلة شهيرة من البربر البرانس ، كانت في القديم تشتمل على بطون وعوائل كثيرة ، مثل جاية ونفاسة ومزياتة وقد عظمت تلك البطون حتى صارت في عداد القبائل . للمزيد انظر ابن القاضي : مصدر سابق ، ص ٢٦ .

وطالت مدة حكم إدريس الثاني حتى وفاته في ربيع الأول عام (٢١٣ هـ / ٨٤٨ م) والذي أسس في عهده مدينة فاس^(١).

ومدينة فاس مدينتان بناها إدريس الثاني ، ثاني امراء الأدارسة الأولى تعرف باسم "عدوة الأندلسيين" وبليت يوم الخميس غرة ربيع الأول عام ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م والثانية أسسها عام ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م ، وتعرف باسم "عدوة القرويين" ويشق المدينتين نهركبير يأتي من عيون "صنهاجة" وعدوة الأندلسيين مياهها قليلة بالنسبة لعدوة القرويين فالأخيرة ذات مياه كثيرة إذ يجري الماء في كل شارع منها^(٢).

ومع قيام دولة المرابطين أصبحت العدوتان مدينة واحدة خاصة في عهد يوسف بن تاشفين الذي أمر عام ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م بهدم السور الذي كان يفصل بين عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين، وربطهما بعدة قناطر وقام بإدارة الأسوار على مدينة فاس وجعله سوراً واحداً وأسّس القلعة داخل أسوار مدينة فاس بحى القطانيين^(٣).

^(١) وتكثر الروايات عن سبب تسمية المدينة بهذا الاسم ، فمع شروع الإمام إدريس في بناء المدينة سأل عن اسم المدينة قال سموها باسم أول رجل يطلع عليكم ، فمر بهم رجل فسأله عن اسمه ، وكان أثنغ فقال اسمي فارس ، فأسقط الراء من اسمه فقال إدريس سموها كما نطق ، فقالوا فاس . للمزيد انظر ابن أبي زرع: الأنيس ، ص ٤٥ . ويرى البعض أن إدريس بن إدريس عندما شرع في بناء مدينة فاس كان يعمل بيده مع الصنائع بفأس من ذهب وقضة ، فسميت فاس لذلك ، ومع أعمال الحفر وجد فاسا كبيرا . مجهول: خطط مدينة فاس ، مخطوطة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، رقم ٦١ بلدان ، وميكرو فيلم رقم ٢٩٩٨٩ ، ورقة ١٠ . وللمزيد انظر الجزنائي: جني زهرة الأسى ، ص ٢٣ ويرى البعض أنها فات PHUT وكلمة LUBIM الوردتين في التوراة ما هما إلا كلمتا فاس وليبيا للمزيد انظر: عبد الله العمراني : فاس وجامعتها ، مجلة البحث العلمي ، العدد ١١-١٢ سنة ١٩٦٧ ، ص ١٧ . ليفي بروفنسال: تأسيس مدينة فاس ، تعريف سعيد التجار ، واحمد اليابوري ، مجلة البحث العلمي ، كلية الاداب جامعة محمد الخامس العدد ٣١ أكتوبر ١٩٨٠ م . ص ١٥٧ .

^(٢) ابن الوردي: عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب تحقيق وتعليق أنور محمد زنتاني (٦٩١ هـ - ٨٦١ هـ / ١٢٩١ - ١٤٥٧ م) ص ١١ . ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٢٨ . الناصري: الاستقصا الجزء الأول ، ص ٢٢٣ . مجهول مخطوط رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس ، مخطوطة ، دار الكتب المصرية ، ٩٧٣٢ هـ ، ميكرو فيلم ١٩٨٨ ورقة 32 . عدوة الأندلسيين ، وهي العدوة الشرقية سميت بذلك لكثرة القبائل الواقعة عليها من جزيرة الأندلس ، أما عدوة القرويين أي العدوة الغربية سميت بذلك لكثرة أنوفدين من القيروان . مجهول: المخطوط السابق ، ورقة ٣٥ ، محمد للشطبي المغربي الجمان في أخبار الزمان ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، تاريخ ١٤١٦ هـ ميكرو فيلم ، ورقة ٢٠٧ .

^(٣) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٢٤ ، ابن خلدون: مصدر سابق ، ج ٦ ص ١٨٥ ، ابن أبي زرع: مصدر سابق ، ص ١٤١ الجزنائي: مصدر سابق ص ٤١ ، ٤٢ ليفي بروفنسال: أب الأندلس وتاريخها ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٥١ ص ١٠٦ ، عبد القادر زلمة: معالم وأعلام من فاس القديمة ، مجلة البحث العلمي ، العدد الثالث عشر ، السنة الخامسة يناير ١٩٦٨ ، ص ٨٨ .

وظل سور مدينة فاس قائما حتى استيلاء الموحدين على تلك المدينة ، فحين دخل عبد المؤمن بن علي (٥٤٠-٥٩٩ هـ / ١١٤٦-١٢٠٥ م) هذه المدينة عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٦ م أمر بهدم سور المدينة وقال "اننا لا نحتاج الى سور إنما الأسوار سيوفنا وعدلنا" بالإضافة الى هدم السور قام بهدم القصبة المرابطية. (١)

واتسعت مدينة فاس مع بدايات حكم المرينيين والذين قاموا بإنشاء ثلاثة أحياء على ضفة النهر الغربية أولها المدينة البيضاء وتعرف بالجديد ، وبناها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أول من استقل بالملك بعد سقوط فاس عام (٦٤٦ هـ / ١٢٥٠ م) والثانية مدينة حمص ويعرف موضعها بالملاح وبناها ولده أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف (٧١٠-٧٣١ هـ / ١٣١٠-١٣٣١ م) وكان ذلك عام ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م إلى جانب المدينة البيضاء ، والحي الثالث هو ربض النصارى. (٢) وهو المتخذة لسكنى النصارى من الإفرنج المستخدمين بخدمة السلطان (٣) فبناء مدينة فاس الجديد، يرى البعض أنه كان بسبب الثورة التي قام بها سكان فاس العتيقة على اليهود في ٢ شوال ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م ، فكانت لها أثر واضح في اتخاذ السلطان أبي يوسف يعقوب قرار ببناء مدينة فاس الجديد في ٣ شوال من نفس العام فالثورة أقتعت السلطان بضرورة مغادرة فاس العتيقة وبناء حاضرة جديدة وذلك لحماية اليهود باعتبارهم من أهم العناصر التي تحالفت مع المرينيين وأمنتهم بالأموال وكل ذلك ساعد اليهود على تحسين وضعهم واحتكارهم لبعض الحرف كصياغة الذهب والصيرفة ، وجعلوا من طريق الذهب السوداني طريقا يهوديا (٤) .

(١) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ١٨٩ ، روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ج ١ ، ترجمة محمدحجي وآخرين، منشورات دار الغرب الاسلامي بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ٨٧.

(٢) ربض النصارى : كان يضم عددا كبيرا من النصارى ، وكان وجودهم منذ عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٣ م في عهد المأمون الموحدي وبكثرة عندما التمس المأمون مساعدة فرناندو الثالث ملك قشتالة له بفرقة من الجند النصارى لينتقوي بهاعلي يحيى بن الناصر ، وبالفعل أمد به جيش بلغت عدته عشر ألف فارس ، وربض النصارى يقع في مؤخرة مدينة فاس الجديد بالناحية الموالية لساحة التجارة. للمزيد انظر : ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص ٢٥٠. فموقع مدينة حمص هو نفس موقع الملاح القديم ، فالملاح موضعه في الجهة التي تسمى اليوم بساحة التجارة ، بينما الملاح الحالي مقبرة يهودية قبل أن يصير حيا يهوديا بعد عام ١٧٢٤ م للمزيد انظر محمد المنوني: وثائق من حضارة المرينيين ، ص ٢٤٩

(٣) القلقشندی: صبح الاعشي ، ج ٥ ، ص ١٥٤.

(٤) ابن أبي زرع : الذخيرة ، ص ١٦١، محمد المنوني وثائق ص ٤٣-٤٦ ، مصطفى نشاط : جوانب من المسكوت عنه ، ص ٢٠ .

وكانت فاس الجديدة يحيطها سوران ، ويكل سور منهما أبواب ، فالسور الأول يوجد به باب عيون صنهاجة وباب السمارين وباب القنطرة ، أما السور الثاني به باب الجياف والذي يسميه البعض باب الجياذ الواقع شرق باب السبع وهو مدخل مدينة فاس الجديد من جهة المدينة القديمة .^(١)

وتتميز فاس بموقعها إذ تتوسط مدن المغرب الأقصى ، حيث تقع على نقطة تقاطع بين محورين كبيرين للاتصالات ، للمحور الأول يمتد من الشمال إلى الجنوب بين البحر المتوسط أو مضيق جبل طارق إلى ما وراء الصحراء الكبرى اما المحور الثاني فيمتد من الغرب إلى الشرق بين ساحل المحيط الاطلنطي ووسط المغرب الأقصى .^(٢)

وقد حدد المؤرخون الجغرافيون المسافة بين فاس ومدن المغرب الأقصى ، فمن فاس إلى سبتة التي تقع شمال فاس ستة أيام ومن فاس إلى سجلماسة^(٣) جنوبا ثمانى مراحل ، ومن فاس إلى سلا غربا أربع مراحل ، ومن فاس إلى تلمسان بالمغرب الأوسط تسع مراحل ، فكان لموقعها هذا دور كبير في التقارب والاتصال بين فاس ومدن المغرب الأقصى والأوسط والسودان الغربي .^(٤)

ومنطقة فاس عبارة عن سهل مرتفع ، تحده الجبال من الشمال ومن الجنوب بينما تبقي جهاته الشرقية والغربية مفتوحة ، فهي نقطة لقاء بين سكان الجبال الجنوبية "جبال فازاز"^(٥) والجبال الشمالية "جبال غماره"^(٦) .

(١) محمد المتوني : ورقات ص ٤٣-٤٦

(٢) الحميري: مصدر سابق ، ص ٤٣٤ ، مارمول : إفريقيا ج ١ ، ص ٣٩٢ .

(٣) سجلماسة: بينها وبين فاس عشرة ايام ، فهي تقع في ملتقى الطرق التجارية، فتراقب تجارة القوافل وتمدها بالاحتياجات، وبفضل موقعها الاستراتيجي ربطت بين افريقيا من الجنوب الى شمال المغرب وأوروبا عن طريق البحر المتوسط شمالا . للمزيد انظر: البكري : المسالك والممالك ، تحقيق أبريان فان ليوفن وأندري فيريا ، الدار العربية للكتب ، ج ٢ ، ١٩٩٢ ، ص ١٤٨ ، الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٠ ج ١ ، ص ٥٠ ، ماي كول: الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة ، ترجمة محمد الحمدلوي، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٦٢-٦٣ .

(٤) البكري : مصدر سابق ص ١١٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، الإدريسي : مصدر سابق ص ٢٤٢ - ٢٤٦ .

(٥) جبال فازاز: من الجبال المشهورة في بلاد المغرب ، وهوجل تسكنه أمم كثيرة من البربر، وهم يكسبون من الماشية ويزرع لديهم خشب الأرز اللعيق ، للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٣٥ .

(٦) جبال غماره : تقع شمال المغرب الاقصى وهونسية الى غماره شعب من البربر والبرانس وهم سموا باسم والدهم غماره ابن مصمودة وهم غمروا في الجبال فسموا غمار واطلق على الجبال اسمهم ، للمزيد انظر ابن خلدون : مصدر سابق ج ٦ ، ص ٢١ .

ومنطقة فاس تشمل هضابا وسهولا يصل ارتفاعها إلى خمسمائة متر ، وإلى الشمال الغربي في هذه المدينة تقع مرتفعات "زرهون " التي يبلغ طولها حوالي ثلاثين ميلا إلى الغرب ، وعرضها عشرة اميال ، وشكلها العام جبلي ولاارتفاع الجبال المجاورة أهمية في سقوط الأمطار وتكوين الثلوج على هذه المرتفعات التي تذوب وتمد بذلك نهر سبو بالمياه التي تروى فاس ، ومنبع هذا النهر جبال صنهاجة (بنو ورائين) .^(١)

وهكذا يمكن القول إن مدينة فاس قطب بلاد المغرب الأقصى ، ويسكن حولها قبائل البربر الذين يتحدثون اللغة العربية ، وهي حاضرة المغرب الكبرى ، فأعان موقعها على أن تشد إليها الركائب ، وتقصدها القوافل وتجلب إلى حاضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة ، لذلك فإن معظم أهلها مياسير .^(٢)

ومنطقة فاس تمثلها مجموعة من الهضاب يبلغ ارتفاعها ما بين أربعمائة و خمسمائة مترا وترتبتها متنوعة حسب المناطق ، وكان لتنوع تربتها أثرا كبيرا في تنوع محاصيلها الزراعية ، ونشاط أسواق الغلال والمواد الغذائية . وتضاريسها مضطربة لكثرة الأودية التي تمر بها ، ومثل ذلك منطقة وارتين الواقع شرق فاس علي بعد ثمانية عشر ميلا وهي بلاد كلها تلال تربتها جيدة وتوجد في هذه المنطقة والي جانب المناطق الهضبية توجد مناطق تلال في شمال وغرب فاس .^(٣)

لقد أثرت البيئة الجغرافية لمدينة فاس تأثيرا كبيرا على نشاط سكان هذه المدينة ، فالإنسان ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها .

كما أدى وقوع مدينة فاس وسط المغرب الأقصى الذي اشتهر بسلاسل جبال أطلس وبواديان غزيرة بالإضافة إلى المياه الجوفية ، إلى جانب الأمطار الغزيرة التي تسقط على معظم أنحاء المغرب الأقصى ، إلى تمتع مدينة فاس بوفرة المياه بالإضافة الى تمتعها بموقع متميز بين مدن المغرب الأقصى مما جعل هذه المدينة ترتبط من خلال الطرق والمسالك بمعظم مدن المغرب الأقصى بل والأوسط . وليس أدل علي ذلك من أن موقعها جاء اختيارا واضحا متميزا له أهميته سواء من الناحية الاقتصادية (الزراعة، الصناعة ، التعدين) أو الناحية السياسية حيث يمكن الحكم القائم من السيطرة

(١) محمد مزين: فاس وباديته، سلسلة رسائل وأطروحات كلية الاداب والعلوم الانسانية جامع محمد الخامس ، رقم ١٢ الرباط ، ج ١ ص ٣٧-٤٩ ، وارتين: تقع على مسافة ثمانية عشر ميلا الى الشرق من فاس، وهم ينتجون مقادير كبيرة من القمح ، ومراعيها ممتازة لتربية الماشية .انظر الوزان : وصف أفريقيا، ترجمة محمدحجي وآخزين ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٣ ، ص ٢٩٨ .

(٢) البكري : مصدر سابق ، ص ٧٩ .

(٣) محمد مزين: المرجع السابق ، ص ٥٩- ٦٠ .

علي ما حولها من مدن وبلدان ، وأخيرا يمكن القول أن هذا الموقع قد أسهم في ربطها بالبحر المتوسط وتجارته بالإضافة إلى وقوع المدينة على ملتقى الطرق المؤدية إلى بلاد السودان الغربي مما أنعش أسواق هذه المدينة. (١)

فاعتدال المناخ ساعد على جذب السكان للمدينة وزيادة أعداد الوافدين إليها ، مما أدى إلى خلق احتياجات سكنية لتكفي احتياجاتهم اليومية وقد جذبت المدينة أيضا التجار الأجانب لرغبتهم في تحقيق الأرباح الوفيرة فساعد هذا الأمر على ازدهار الأسواق وتنوعها في المدينة.

وساعدت وفرة المياه وخصوبة التربة بمدينة فاس على الزراعة . فيقول عنها أبو زرع" (لها من المحراث العظيم سقيا وبعلان عن كل جهة ، منها ماليس هو على مدينة من مدائن المغرب). بمدينة فاس يشقها نهر كبير يسمى بوادي فاس يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة، فيكثر بالمدينة العيون فالنهر يشقها نصفين ، ويتشعب في داخلها من بساتين وشوارع وأسواق". (٢) ويذكر ابن سعيد أن عدد عيون مدينة فاس يساوي عدد أيام السنة فكان لتوافر المياه داخل مدينة فاس أثره في قيام العديد من أنواع الزراعات. (٣)

وقد أفاضى المؤرخون في الحديث عن هذا النهر ومياهه العذبة ، وأنه من أفضل مياه الأرض وأعذبها وأخفها. (٤) فكان لتوافر المقومات الطبيعية من مياه وتربة خصبة أثره في انتشار البساتين والمزروعات والفواكه وجميع الثمار بمدينة فاس كل ذلك أدى لجذب السكان إلى المدينة وبالتالي ازدهار أسواقها. (٥)

وخاتمة القول ان البيئة الجغرافية كانت تحديا للنشاط البشري في فاس ذلك النشاط الذي نجح في الاستجابة لهذا التحدي استجابات ناجحة جعلت فاس مركزا زراعيا وصناعيا وتجاريا سجله التاريخ لهذه المدينة.

(١) الجزائى: مصدر سابق، ص ٣٦ - محمد مزين: مرجع سابق، ص ٦٠.

(٢) الإدريسي: مصدر سابق، جـ ١ ص ٢٤٧، الأتيس المطرب : ص ٣٣٠.

(٣) ابن سعيد: كتاب بسط الأرض فى الطول والعرض ، تحقيق اسماعيل العربى، المكتب التجارى للطباعة ، بيروت ١٩٧٠، ص ١٤١.

(٤) مجهول: رسالة فى ذكر من اسس فاس ، ورقة ٢٢. مجهول :الاستبصار فى عجائب الامصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ، نشر وتعليق سعد زغلول ، ص ١٨٥ .

(٥) حسين مراد تفلحو فاس فى عصر الموحدين ، ص ٦٧ .

تعد الزراعة من المقومات المهمة لنشاط الأسواق في مدينة فاس وقد ازدهر النشاط الزراعي بفضل البيئة الزراعية التي وجدت في هذه المدينة بفضل توافر مقومات هذه البيئة وهي الأرض الخصبة الصالحة والمياه العذبة ، والمناخ الملائم لأنواع معينة من المحاصيل سواء كانت محاصيل زراعية كالقمح وما شابهه أو محاصيل بستانية كأشجار الفاكهة بأنواعها .

يزيد الجغرافيون في وصف فاس وزروعها ومياهها ، فيقول صاحب كتاب الاستبصار: (مدينة فاس كثيرة الخصب والرخاء ، كثيرة البساتين والمزروعات والفواكه وجميع الثمار ، ولها أقطار واسعة متصلة العمائر، وعدوة القرويين في هذه المدينة أكثرها بساتين وأشجار ومياه وعيون من عدوة الأندلسيين وكلتاها خصبة عظيمة القدر جليلة الحظ ، ويقال أن بعدوة الأندلس تفاح حلو يعرف بالاطرابلسي جليل حسن الطعم والرائحة . وزاد المؤلف وصفا في فاس وأنهارها ومياهها ، بأن منبع نهر فاس من جبل في بلاد "بني ورتين" ورأس العين في بئر غامضة يهاب الدخول فيه). (١)

والتي جانب النهر وفروعه توجد في فاس عيون جارية سارحة تقدر بنحو ثلاثمائة وستين يضمها السور، وربما وصلت أربعمائة ، والماء مسلط على دياراتها ومساكنها ، أما المتخذات* فهي مستوية وبفاس العتيقة جنائن ورياض ذوات أشجار ورياحين في دور الكبراء وبيوت الأعيان ، ويلي القصب القديمة مخازن الغلال داخلها المطامير ، وهي مجموعة في مكان واحد يستدير بها سور منيع عليه باب وغلط ، ويسمى هذا الموضع بالمرسي القديم . (٢)

(١) مجهول: الاستبصار ، ص ١٨٨ .

* وكلمة المتخذات تعني المناطق المرتفعة التي يبدأ منها النهر، وكلمة مجلبة أي جبلية، والقصيدة تغني في السوق محمد مزين: مرجع سابق، ص ٦٠.

(٢) البكري: مصدر سابق ، ص ١٥٥ ، العمري: مصدر سابق ، ص ١٨٣ . القلقشندی: مصدر سابق ، ص ١٥٤ ، الوزان: مصدر سابق ص ١٨٣ البيهقي: أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس ، سنة ١٩٢٨ ، ص ٢٣، ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان في طبيبات الطعام والألوان ، تحقيق محمد بن شقرون، الرباط، ١٩٨٨ ص ١٨٣. محمد المنوني: وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني ، مقتبس من مالك الأبصار في ملك الأبرار : لابن فضل الله العمري ، مجلة أبحاث العلمي الرباط يناير ابريل ١٩٩٤ م، العدد الأول، السنة الأولى، ص ١٤٢.

كما قام المرينيون بمشروعات مائية لحسن استخدام المياه في مدينة فاس حيث أقاموا سدوداً على وادي الزيتون في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي ، لتنظيم مياه الري والتحكم فيها مما أدى لزيادة الزراعة بمدينة فاس .^(١)

ويذكر المقرئزي: " إن بمدينة فاس زراعة وحرف وعمارة ، أسعارها رخيصة ونعمها وافرة وفواكهها كثيرة وفيها نقوش ودروب من الزينة ، ومياه جارية ، ومنتزهات سامية ، وجهاتها مخضرة وفي أهلها عزة ومنعة".^(٢)

وتتميز مدينة فاس بوجود بيئة زراعية جيدة، فالأراضي التي تمتد لمسافة كبيرة حول المدينة تعد صالحة لكافة أنواع الزراعة حيث تنمو الحبوب والكرام والزيتون وأنواع عديدة من أشجار الفاكهة.^(٣)

فأرض فاس الزراعية تعد من أفضل الأراضي فهي سوداء وحمراء ، لذلك تنوعت بها الزراعات من تفاح ولوز وأجاصي وزيتون وكثيرى وقراصيا وفول وشعير وذرة وعدس، كل هذه الأنواع بسبب تنوع التربة بفاس ، فنجد التربة الجبلية والتي زرع بها التين والورد والكرام والمشمش، وتربة رطبة وزرع بها الكتان والقطنى وجميع أنواع البقول ، كما ساعد وجود التربة الرملية على زراعة اللوز والحناء أما الأرض اللينة زرع بها الأجاصى فمع تنوع التربة تنوعت المحاصيل .^(٤)

وقد صور ابن أبي زرع حسن البيئة الزراعية لهذه المدينة اذ قال : " لقد جمعت فاس بين طيب التربة ، وحسن الثمرة ، وسعة الحرث ، وعظيم بركتها ، وقرب المحطب ، وكثرة عدده وشجره، وبساتين مشرقة ، رياض مورقة وعيون منهمة ، وأنهار متدفقة منحدره".^(٥)

هكذا ساعدت البيئة الزراعية لهذه المدينة في تعدد أنواع المزروعات وأشجار الفاكهة كما أسهمت في نشأة مائة قرية يسكنها من يفلحون الأرض بالإضافة الى رعي الأغنام ، وقد اعان هذا

(١) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد بيروت، د ن ، ص ٩٨ . الوثريسي : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الرباط ١٩٨١، ج ٥ ، ص ٢٧ .

(٢) المقرئزي : مصدر سابق ، ص ٦٢ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: مرجع سابق ص ٧٦٨٥ .

(٤) ابن العوام : كتاب الفلاحة ، نشر خوسيه أنطونيو ، مدريد ، ١٨٠٢ ، ج ١ ، ص ٩٠ - ٩٦ . ابن بصال: كتاب الفلاحة ، نشر خوسى مارية مياس بيكر وسا ومحمد عزي مان ، تطوان ١٩٥٥ ، ص ٦٧ ، ٧١ .

(٥) الأئيس المطرب: ص ٣٣٠ .

التجمع القروي في إقامة عمران حضاري باستخدام الأحجار من الجبال والتلال في بناء المساكن ، وبهذا الأمر تنوعت الأسواق وازدهرت لتلبية الحاجات السكانية .^(١)

وقد أنتشرت زراعة الزيتون بفاس خاصة قرب عدوة القرويين كما زرعت تلال جبل زلاغ وزرهون والجبال المطلّة علي فاس من جهة الشرق . ومنطقة بني مزكدة* وبني ومود * بكميات كثيفة ومساحات شاسعة من أشجار الزيتون .^(٢)

ويوجد من أنواع الحبوب القمح والشعير والفول والحمص والعدس والسمسم والأرز الذي يزرع في مساحات قليلة ، وأما أنواع الفواكه فهي كثيرة مثل النخيل والعنب والتين والرمان والزيتون والسفرجل والتفاح علي أصناف والكمثري ، والمشمش والبرقوق والخوخ والقراصيا والجوز واللوز والاترج والليمون والليم والنارنج والزنبوع وهو الكباد والبطيخ الأصفر والأخضر ، إلي جانب الخضروات مثل الخيار والفتاء واللغت والبادنجان والقرع والجزر واللوبياء والكرنب والشمار والصعتر وسائر البقول وقصب السكر .^(٣)

وتوجد أشجار الكافور القيصوري ، وهو أحسن أنواعه ، وثمار التفاح الطرابلسي ومن ثم فإنها أي فاس من أكثر بلاد المغرب ثمارا وخيرا .^(٤) وزرعت في غرب مدينة فاس مساحات واسعة من القطن والكتان وفي الحقول والسهول والهضاب المجاورة للمدينة.^(٥)

وتدل هذه المزروعات والفواكه وتنوعها علي البيئة الزراعية المزدهرة بفاس بالإضافة إلي غناها وقد أثرت ذلك في نشاط أسواق هذه المدينة فقد كان هناك أسواق خاصة بهذه المنتجات التي لا يستغني عنها أحد من السكان . ومن الطبيعي أن يعمل في الزراعة بمدينة فاس الفلاحون الذين امتنعوا هذا العمل وتوارثوه فأجدادهم سواء كانوا ملاكا للأرض المنزرعة أو كانوا أجراء يعملون بها لحساب أصحابها ، ويسكنون في القرى بالقرب من الأرض الزراعية ومن هنا نجد عدد كبير مما لا يملكون

(١) محمد مزين : مرجع سابق ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان دار صادر بيروت ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ . العمري : مسالك الأبحار في ممالك الأمصار ، ص ١٨٠ الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٣٤ .

* بني مزكدة : هي منطقة باقليم فاس ، وبني ومود منطقة باقليم تانس لايفصلها عن فاس سوى النهر . للمزيد مارمول : مصدر سابق ؛ ص ٢٥٧ .

(٣) ابن غازي : مصدر سابق ، ص ٨ ، مارمول : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٤) الحميري : مصدر سابق ص ٤٣٤ ؛ العمري : مصدر سابق ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٥) إبراهيم حركات : الحياة الاقتصادية في العصر المريني ، مجلة كلية الاداب ، الرباط ١٩٧٨ ، ص ١٣٣ .

الأرض يعملون لذي كبار الملاك أو الشركات التي تحتاج للي أيدي عاملة في مجال الزراعة أو تربية الماشية.^(١)

وقد ازدهرت الزراعة في العصر المريني في المغرب الأقصى بوجه عام ومدينة فاس بوجه خاص بفضل ما تمتع به المغرب الأقصى ومدنه من دعائم ضرورية للزراعة ، وأهمها وفرة مصادر المياه وجودة التربة وتنوع المناخ الذي كان له أثره في تنوع المحاصيل والثمار ومن الأراضي الخصبة في فاس أراضي مجشر القلع والذي يقع على مقربة من أراضي زراعية^(٢)

وقد أشار المراكشي إلي هذه الحقيقة الهامة حين قال : "وأرض المغرب أخصب رقعة علي الأرض فيما علمت وأكثرها أنهاراً مطردة أشجاراً ملتقة وزروعاً وأعنايا وبها سبعة أنهار أهمها نهر سبو الذي يحيط مدينة فاس شرقها وغربها " .^(٣)

لقد اهتم سلاطين بنو مرين بالزراعة ، حيث أقطعوا كبار رجال الدولة كالقضاة وقادة الجيش ، وكبار الأشباخ الاقطاعات الزراعية وكان أشرف هؤلاء علي هذه الاقطاعات سبيلا الي زيادة الإنتاج في اقطاعاتهم مما كان له أثره في زيادة المنتجات الزراعية بمدينة فاس.^(٤)

٣- الرعي والغابات :

إذا كانت البيئة الزراعية قد اسهمت في ازدهار أسواق مدينة فاس ، فإن هذه الاسواق قد ازدهرت بفضل النشاط الرعوي ووجود الغابات قرب المدينة .

الرعي

كان لانتشار المراعي في مدينة فاس أكبر الأثر في انتشار حرفة الرعي ، وقد وجدت المراعي حول جبل فازاز وجبل بني يازغة وجبل غمارة ، واشتغل عند كبير من القبائل بحرفة الرعي فعملوا علي تربية قطعان من الماشية سواء لهم أو لأصحابها وهم يرعونها بالأجر.^(٥)

(١) محمد فتحة : أبحاث في تاريخ المغرب الإسلامي من القرن السادس الي القرن التاسع الهجري بعنوان النوازل الفقهية والمجتمع ، جامع الحسن الثاني ، الدار البيضاء ، منشورات كلية الآداب ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٢) الوثريسي : مصدر سابق ج ٨ ، ص ٥ .

(٣) عبدالواحد المراكشي : مصدر سابق ، ص ٢٤٤ .

(٤) محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الاسلامي ، ص ٢٨٨ .

(٥) مجهول : الاستبصار ، ص ١٨٧ ، ابن سعيد: مصدر سابق ، ص ٥٩ ، الجزائى: مصدر سابق ، ص ٣٥ .

وساعد على ازدهار حرفة الرعى فى مدينة فاس بالاضافة الى المراعى وفرة بعض المحاصيل الزراعية من شعير وذرة والتى استخدمت كعلف للماشية. وازدادت تربية الحيوانات بسبب تنوع السكان الذين أدخلوا طرقا جديدة للإنتاج فعمل العرب والأندلسيين على نشر تربية الأبل والأغنام بشكل واسع وأدخلوا أنواعا من الخيول بمدينة فاس^(١). وإلى جانب العرب والأندلسيين استقر عدد من اليهود فى المناطق الريفية والجبال وقد عمل هؤلاء بحرفة الرعى والإنتاج الحيوانى^(٢).

وعمل أيضاً عدد كبير من البربر فى حرفة الرعى فيوضح "ابن الأحمر" أن عدداً من بيوتات فاس قد عملوا فى الرعى كبيت بنى شيبون أحترفوا جلب الأبقار وبيع ألبانهم^(٣).

وساعدت وفرة للثروة الحيوانية فى مدينة فاس على توفير الاحتياجات الخاصة بالسكان من لحوم وألبان وأصواف بأسواق المدينة ، فكان يباع بفاس يومياً عشرون ألف بطة من اللبن الطرى والحامض. وكثر عدد دكاكين الجزارين فوصل عددهم الى أربعين دكاناً ، وأصبح لهم سوق خاص بهم وهو سوق الجزارين^(٤).

وأدى انتشار حرفة الرعى إلى توافر كميات كبيرة من جلود الحيوانات ، فأحترف عدد من سكان مدينة فاس حرفة دباعة الجلود والتى استخدموا فيها جلود الماشية والغزلان ، كما استخدمت جلودها فى الكتابة عليها لرقعتها وكان لهم سوق سمى بسوق الرقاقين^(٥).

وكان لوفرة المواد المستخدمة فى الدباعة أثر كبير لأزدهار هذه الصناعة بمدينة فاس ، حيث زرع بفاس شجرة التالكوت التى استخدمت عصاريتها فى دباعة جلود الأغنام وغيرها ، وأيضاً القرمزية التى استخدمت فى الصباغة وهى حشرة طفيلية تعيش على شجر البلوط ، وكان يعمل بهذه الحرفة عدد كبير من اليهود^(٦).

(١) الأيكري : مصدر سابق ، ص ١٥٣ ، محمد الطويل: الفلاحة المغربية فى العصر الوسيط رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ١٩٨٧ - ١٩٨٨ ، ص ٦٣ .

(٢) عبدالرحمن بشير: اليهود فى المغرب العربى (٢٢-٤٦٢ هـ / ٦٤٢-١٠٧٠ م) ، ص ٨٦ .

(٣) ابن الأحمر: مصدر سابق ، ص ٢٤ .

(٤) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٣٤ - ٢٣٧ .

(٥) محمد المنونى : تاريخ الوراقة ، ص ٣٤ .

(٦) عبدالرحمن بشير : مرجع سابق ، ص ٩٦ ، ٩٧ ، عبدالعزيز العلوى : صناعة النسيج ، ص ٥٠ ، محمد الحبيب ابن الخوجة: يهود المغرب العربى، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٣ ، ص ٧١ .

وزادت أهمية الدباغين بمدينة فاس ، فكان عدد منهم يعد الجلود للصنع من جلود الماعز والخراف والأبقار والغزلان والجمال . وكان لكثرة عدد المدباغين في فاس أثره في قلق السكان من روائح الجلود وتلوث المياه ، فأخرجت هذه المدباغ الى أرباض المدينة .^(١)

وبعد دبح الجلود كانت تنقل الى أصحاب الحرف المختلفة ، فهناك صناع العدة والسروج للدواب والخيول ، وصناع الحقائق والكتب وصانعو الأحذية ، وكان لذلك أثر في ظهور صناعة التطريز .^(٢) كما انتشرت صناعة القرب التي كان يحمل فيها المياه وهذه القرب مخططة خياطة جيدة.^(٣)

وأعان تربية الأغنام على نطاق واسع بمدينة فاس في ازدهار صناعة المنسوجات الصوفية ، فاشتملت فاس على خمسمائة وعشرين دار للنساجين ، ومائة وخمسين دكانا لصباغة الغزل ، فوجد بفاس سوق للأقمشة الصوفية وكان يضم مائة دكانا.^(٤)

هكذا ارتبطت أعداد كبيرة من الأسواق بحرفة الرعي حيث نجد سوق الجزارين ويضم أربعين دكانا، وسوق صانعي الدلاء الجلدية ويضم أربعة عشر دكانا ، وسوق الركابات والسروج والأحزمة ويضم أربعين دكانا ، وأسواق الخرازون الذين يصنعون أحذية الاطفال ، وبلغ عدد دكاكينهم نحو خمسين دكانا ، واحتل الخياطون ثلاثة احياء بمدينة فاس ، وتجار الكتان وتجار الاقمشة النسائية حيان وكانوا من أغنى تجار مدينة فاس .^(٥)

ثانيا: الغابات

انتشرت الغابات على مقربة من مدينة فاس فكانت تحتل ثلث جبال غمارة وتلتي جبال فازاز ، وتعدت ذلك لتشمل جزءا من سهل سايس * والمناطق المحيطة بفاس .^(١)

(١) ابن ابي زرع :الانيس المطرب، ص ٤٨ ، الجزائى: مصدرسابق، ص ٤٤ ، روجيه لوطورنو : فاس في عهد بني مرين، ص ١٣٣.

(٢) الوزان: مصدرسابق ، ص ٢٣٤ ، روجيه لوطورنو : مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

(٣) مارمول: مرجع سابق ، ص ١٥٤ ، روجيه لوطورنو : مرجع سابق، ص ٧٤.

(٤) الوزان: مصدر سابق ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، عبدالعزيز العلوي صناعة النسيج ، ص ٥٠ .

(٥) الوزان: المصدر السابق ، ص ٢٣٤ - ٢٣٩ . محمد الطويل: مرجع سابق ، ص ٢٩ .

* سهل السايس :هو السهل الممتد من فاس ومكناس الفاصل بين سلسلة جبال الأطلس المتوسط ، وسلسلة جبال الأطلس الساحلى وكانت تسكنه قديما قبائل بربرية مثل أوربة ، واليوم تسكنه قبائل عربية مثل حميان ، وأخرى بربرية مستعربة مثل بني عياش ، وتربته من أخصب تربات المغرب ويتميز باعتدال أرضه وكثرة مياهه . للمزيد انظر ابن القاضى : مصدرسابق ، ص ٢٨ .

(٦) المقدسى: صورة الارض ، ص ٢٢٩ ، لوطورنو: مرجع سابق، ص ١٢٨ .

وقد ساعدت هذه المساحات الكبيرة من الغابات على نمو كثير من الأشجار، مثل شجر الأرز والبلوط وشجر الزيتون ، فانتشرت غابات الزيتون شمالي المدينة الى نهر سبو ثم نهر ورغة وحتى سفوح الجبال التي تطل على البحر المتوسط ، واستخدمت أخشاب الزيتون في بناء المنازل من شبابيك النواذف والإقال . (١)

واستخدم حب الزيتون في صناعة الزيت فكان حب الزيتون ببخيرة (٢) فاس يباع بخمسين ألف دينار واستخدم هذا الزيت في إنارة الجوامع بمدينة فاس كجامع القرويين . فكانت معاصر الزيت تقوم على مقربة من أبواب فاس حيث كانت تحمل أحمال الزيتون ، وتدخل منها لقربها من غابات الزيتون والتي كانت أكثر عددا شمالي مدينة فاس . (٣)

وبجانب أشجار الزيتون وجدت أشجار الأرز ، وهومن أهم الأشجار بمنطقة جبال غمارة وسفوح فازاز وبني بهلول جنوبي مدينة فاس ، فيعتبر خشب الأرز من أطيب أخشاب الأرض فيعمر العود منه في سقف البيت الف سنة لا يعفن ولا يسوس ، وكان يصنع منه الشبابيك فكان يحمل الحطب الكثير منه الى مدينة فاس من سائر جهاتها ، فيدخل للمدينة منه كل يوم ما لا يحصى كثرة . (٤)

كما وجد بمدينة فاس شجر البلوط ، ففي كل يوم يوجد على أبواب مدينة فاس أحمال من حطب البلوط والفحم مالا يوصف كثيرة . (٥)

ساهمت غابات فاس وماحوته من أشجار في ظهور صناعات عديدة من الأخشاب ، وعدد من الحرف المرتبطة بها فوجدت بفاس نكاكين النجارين الذين يصنعون عجلات العربات والطاحونات لرفع الماء ، والطلبليات المستديرة والرفوف والصناديق لحفظ الملابس والأثاث ، ومن ثم كانت هناك فئة من الصناع المساكين الذين يصنعون المكناس الصغيرة من أشجار النخيل القصيرة ، وصانعوا البراميل لحمل المياه على شكل الدلاء . (٦)

(١) ابن غازي: مصدر سابق ، ص ٦ ، ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٦٦ .

(٢) البحيرة: هي عبارة عن مساحة كبيرة من الأرض وأجرى إليها الماء . للمزيد انظر حسين مراد : فلاحو فاس ، ص ٦٩ .

(٣) مجهول : رسالة في ذكر ، ورقة ٤٥ ، القلقشندي: مصدر سابق ، ص ١٥٤ . العمري: مصدر سابق ، ص ١٩٤ ، الجزناني: مصدر سابق ص ٣٥ ، لوطورنو : مرجع سابق ، ص ٧٤

(٤) Martin (j) et autres Ge`ogra phiedu maroc, paris 1967 . p30 -31

(٥) مجهول: الاستبصار، ص ١٨٧ ، الحميري: مصدر سابق ، ص ٢٣٥ ، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص ٣٦ ، الجزناني: مصدر سابق ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٦) الوزان: مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٤٤ ، مارمول : ج ١ ، ص ١٥١ ، لوطورنو : نفسه ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

ولأهل فاس اليد الطولى فى صناعة المخروطات الخشبية ، وقاموا بصناعة القباب من خشب التوت الأسود والأبيض وخشب الجوز والليمون ، ووجد عدد من الدالين وهم متخصصون فى حمل وكيل الزيت عندما يباع بالحمل . (١)

لقد ساعدت كثرة للغابات حول مدينة فاس على توفير ثروة خشبية ضخمة للمغرب الأقصى عامة ولمدينة فاس خاصة فى العصر المرىنى مما أدى إلى توفير الاحتياجات الخاصة بالسكان من مصنوعات خشبية ، إلى جانب الزيوت التى صنعت من ثمار هذه الأشجار فى أسواق هذه المدينة مما ساعد فى ازدهار تلك الأسواق .

٣- وفرة المواد الخام المعدنية

توافرت بمدينة فاس الكثير من المواد الخام المعدنية التى استخدمت فى العديد من الصناعات، والتى أسهمت فى ازدهار أسواق فاس .

تقوت مدينة فاس على غيرها من المدن باستخراج الملح على بعد ستة أميال منها ، حيث توجد الملاحه فى مساحة ثمانية عشر ميلا أولها فى مجشر الشاطبى وآخرها بوادى مكس وفى هذه الملاحه أصناف من الملح لا يشبه بعضها البعض فى الألوان والصفات ، وعلى هذا يتوفر الملح بمدينة فاس بكميات كبيرة ، حيث يباع كل عشرة أصوع بدرهم أقل أو أكثر بحسب ما يجلب ومعدن الجبص والصلصال وأنواع الحجارة والرمال على اختلاف أنواعها. وكان الملح لكثرة استخراجه من هذه الملاحه يتوافر أكثر من حاجة المستهلكين ، حتى يأتى وقت يباع الحمل بدرهم وأحيانا لا يجد بائعه من يشتريه لكثرتة ومن ثم تزدهم به دكاكين التجار فى أسواق فاس. (٢)

كما توجد فى فاس أيضا رمال تصلح لصناعة الزجاج ، فكثر الأفران لعمل الزجاج التى وصل عددها إلى أكثر من ألف فرن موزعة فى شوارع وأزقة المدينة ، منها أحد عشر موضعا كبيرا لصنع الزجاج . (٣)

(١) العمرى : مصدر سابق ، ص ١٩٦ ، الوزان : المصدر السابق جـ ١، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣.

(٢) ابن القاضى : مصدر سابق، جـ ١ ص ٤٣ ، ٤٤. الجز نائى: مصدر سابق ، ص ٢٥ .

(٣) مجهول: مخطوط ذكر من أسس فاس ، ورقة ٤٥.

كما تم استخراج الفضة والنحاس والحديد قرب فاس ، التي اشتهرت بنحاسها الأصفر ، والذي يحمل الى جميع الأفاق ، فيوجد اثنتى عشرة دارا لسك النحاس المستخرج من مناجم النحاس بالجبال المجاورة للمدينة. (١)

وساعدت هذه المعادن على وفرة المواد الخام اللازمة لصناعة الحلى والمصكوكات، والموازين والمكايل فوجدت أسواق الحدادين التي عملت على توفير احتياجات المجتمع ، فكان لاهلها اليد الطولى فى صناعة المخروطات النحاسية ، وتوافرت المصنوعات الحديدية من مسامير وسيوف والركابات ، كل ذلك ساعد على ظهور حرف أخرى ارتبطت بالحداثة وهى النجارة والبناء . (٢)

ثانيا: المقومات البشرية:

اذ كانت المقومات الطبيعية هي الأساس لتعدد الأسواق وأزدهارها فى مدينة فاس فهى الأساس ايضا لنشاط العنصر البشري ، بعد استعراض المقومات الطبيعية التى أسهمت فى ازدهار أسواق فاس نعرض هنا المقومات البشرية التى أسهمت أيضا فى هذا الأزدهار المتمثلة فى الآتى :

أ - الوضعية السياسية لمدينة فاس :

ملك الأمير أبوبكر بن عبدالحق مدينة فاس مع أواخر شهر ربيع الأول من عام (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) ودخلها بعد حصار لمدة عام فبايعوه أهلها بالرابطة عند باب الشريعة ، وكان أول من بايعه الشيخ الفقيه عبدالله القشتالى ثم الفقهاء والأشياخ ، وأخرجوا السيد أبا العباسى من القصبة بعياله وأولاده ، وبدخول الأمير أبى بكر مدينة فاس استقامت له أمور المغرب وتمهد له الملك وقدمت عليه الوفود للبيعة، وتهذنت البلاد وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات وتحركت التجارة . (٣) ثم خرج ابوبكر من مدينة فاس سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م إلى معدن العوام من بلاد فازار ، واستخلف عليها مولاة السعود بن خرباش الحشمى ، فأجتمع نفر من اشياخ فاس إلى قاضيه أبى عبدالرحمن المغيلى، وتأمروا على خلع الأمير أبى بكر وقتل مولاة السعود ، وأن يبعثوا يبعثهم الى المرتضى ، ولما وصل الخبر الى الأمير أبى بكر شدد الحصار على مدينة فاس عام (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) فبيث أهلها للامير يطلبون منه الأمان والعفو مقابل مائة الف دينار. (٤)

(١) مجهول: الاستبصار ص ١٨١. الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٣٥ .

(٢) العمرى : مصدر سابق ، ص ١٩٦ ، الجزائى : مصدر سابق ، ص ٣٣ ، محمد المنونى : وُصف المغرب ، ص ١٤١ .

(٣) ابن أبى زرع: مصدر سابق ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٤) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ابن خلدون: مصدر سابق ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

أصبحت فاس حاضرة بني مرين حين دخلها المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق في عام (٦٥٧-٦٨٥ هـ/١٢٥٨-١٢٨٦ م) فانتعشت المدينة في عصره هو وخلفاؤه . وزاد عمرانها بمدينة ألحقت بها تعرف بالمدينة البيضاء المعروفة بفاس الجديد . التي اتخذها دارا للإمارة ، وقد عزم المنصور بالله أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ، بعد أن تمهدا ملكه في المغرب أن يخطط بلدا ينسب إليه ويتخذ داراً لملكه ، ومركزا لسلطانه يسكنه هو وحاشيته وأولياؤه ، وسمح للناس باختطاط الدور والمنازل به وأجري فيها المياه الي القصور وأقام القناطر بطرقاتها ، ولما أتم بناء سور مدينة فاس الجديد أمر في عام ٦٧٦ هـ/١٢٧٧ م ببناء الجامع الكبير بفاس الجديدة للخطبة ، وتم البناء في رمضان عام ٦٧٧ هـ ١٢٧٨ م حيث أقيمت فيه الصلاة . (١)

وهكذا ازدهرت فاس عاصمة بني مرين بما اشتملت عليه من قصور للحكام والوزراء والتجار والأعيان والمدارس والفنادق ، وكل ذلك أحاط بقصر المنصور بالله الذي كان مشرفا علي محل خروجه . وإلى جانب ذلك أقيمت الحمامات ودور الصناعة والسفن الصغيرة التي تجري في النهر، فالمرينيون اهتموا بالحضارة والعمران ، ويبدو هذا واضحا من خلال المساجد والقصور الشامخة . أصبحت فاس إذن عاصمة دولة بني مرين ، فيها مقر الحكم والإدارة ومنها تخرج الرسل والسفارات والجيوش ، ومنها تخرج السلع والمصنوعات واليها ترد الخامات والبضائع والتجار، وتزدهر بها الزراعات والأشجار وتعمر بها المحلات والأسواق . ومع استقرار الملك لبنى مرين، بمدينة فاس وبنوا معها ثلاث مدن موازية لها ، على ضفة الوادي المعروف بوادي الجواهر . (٢) غربا بقبليه أولها "المدينة البيضاء " وتعرف بالبلد الجديد ، وبنائها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥ هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) وما استقل لهم سلطان ولا استقر له من عزيز الملك أوطان ، ثم مدينة حمص ويعرف موضعها بالملاح بناها ولده ابو سعيد عثمان بن أبي يوسف (٧١٠-٧٣١ هـ/١٣١٠-١٣٣١م) بناها إلي جانب البيضاء والتي جعلها مسكنا لليهود ، وربض النصاري المتخذة لسكن الطائفة

(١) العمري: مصدر سابق ، ص ١٧٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية ص ٤٤٠.

(٢) وادي الجواهر : هو يعلو مدينة فاس بنحو ستة أميال ، وهو يخرج من نحو ستين عنصرا جلها ينبعث من جهة القبلة وبعضها من جهة المغرب ، وينحدر نحو البلد فينقسم في داخلها علي جداول كثيرة فينشق أكثر جهاتها ويتشعب داخلها فيفتتح به في مساجدها وسقائنها ودورها وأرجائها وحماماتها وتسقي جناتها ، وأمر أمير المسلمين أبو سعيد بناء دار له في هذا الوادي للنزهة به ، حيث كان يعجبه كثيرا وسمي وادي الجواهر حيث يكثر به الحدف النمنمين . مجهول: مخطوط ، رسالة ذكر فاس ، ص ٤٤،٤٣.

الفرنجية المختصة بخدمة السلطان والذي بني بالمرسى القديم خارج باب الشريعة ، ويطلق على هذه الثلاث المتخذات اسم فاس الجديدة وكلها على ضفة الوادى الغربية . (١)

وقد اعتمد المرينيون على الجيوش التى أعدها إعدادا جيدا للحفاظ على ملكهم ، وقد ارتبط جنودهم بالقبائل ، مثل بنى عسكر ، وبنى وطاس ، وبنى تنالفت، وبنى يرينان ، وقبائل من العرب كثيرة منهم بنى حسان والعاصم وبنى جابر ورياح وبنو سالم إلى جانب الإفرنج ، وعلوج المماليك ، والأندلسيون والوصيفات الخاصون بالسلطان يسكنون حواليه وينزلون فى السفر إلى جوانب محلاته دائرين فى جملة نواحيه يقال لهم أهل الدوار . (٢)

ومع تولي بني مرين أمور الحكم فى مدينة فاس عملوا على تأمين السبل وتمهيد الطرق ، وعمل على تعمير طرق المسافرين من حضرة فاس الي مراكش والي تلمسان (٣) والي سبتة (٤) وغيرها من البلاد فأقاموا الرتب (وهى خيام بأمر سكانها على مقدار اثني عشر ميلا يسكنها) أهل الوطن ويجري لهم على ذلك إقطاع من الأرض يعمرونها على قدر الكفاية ثوبا ، يلزمون فيها ببيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون . (٥)

اهتم حكام بنو مرين بالاستقرار السياسى لمدينة فاس ، فعملوا على فرض الأمن ، وأهتموا بالأمور الاقتصادية وزيادة العمران وأنشاء المساجد والمدارس . فمع تولى السلطان يعقوب بن عبدالحق أمور الحكم فى فاس عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨ م) عمل على فرض الأمن بالمدينة وكثرت الخيرات

(١) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٢٣٢ ، ٢٩٥ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج٧ ص ١٩٥ ، محمد المنونى : ورقات، ص ٤٩-٥٠ .

(٢) محمد المنونى: ورقات، ص ٥٤٨ ، وكلمة الدوار تطلق فى الاستعمال الامازيغى على مجموعة من سكان الخيام الذين كان يضمهم مكان واحد ، والغز جماعات من أتراك مصر وقد دخلوا شمال افريقية على عهد الموحدين .

(٣) تلمسان:هى قاعدة بلاد المغرب الاوسط ، وهى كانت دار مملكة زناته ويقطن حولها كثير من قبائل البربر،كثيرة للخصب والرخاء يقصدها التجار ومنها يسافرون الى سجلماسة وبين تلمسان وفاس مسيرة ثمانية ايام ، ويحدها من الغرب نهرزا، ونهر الملوية ومن الشرق نهر الوادالكبير، وصحراء نوميديا من الجنوب وكانت تدعى فى القديم القيصرية، واحتفظ بنوزيان بالسلطة بها لمدة ثلاثة قرون وتعرضوا لمضايقات بنى مرين، وهى تقع فى ملتقى الطرق التجارية فتجارو مع السودان الغربى للمزيد انظر البكرى: مصدر سابق ص ٧٦، ٧٧، الحميرى: مصدر سابق، ص ١٣٥، ١٣٦ ، الوزان : مصدر سابق ، ص ٣١٧ ،

(٤) سبتة: مدينة كبيرة جدا، وأطلق عليها الرومان سيفييتاس، ويوجد بها كثير من الصناعات والأدباء وعمالها مهرة فى صناعة للنحاس ومحط قوافل العصير والحريز والكتان . للمزيد انظر: الوزان : مصدر سابق، ص ٣١٨ .

(٥) ابن مرزوق: مصدر سابق، ص ٤٢٩ . ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٢٩٤ .

ورخصت الأسعار، حيث يصف لنا ابن أبي زرع الحالة الاقتصادية بمدينة فاس "فبيع الدقيق في مدينة فاس الربع بدرهم ، والقمح ستة دراهم للصفحة ، والفول وجميع القطنى مالهـا رسوم ، ولا يوجد من يشتريها ... " (١)

وعمل السلطان يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق على تأمين الطرقات ، وأزال الرتب والقبالات والمكوس ، فأنجبرت أحوال الناس ورخصت الأسعار في جميع الأقطار . (٢)

واهتم بالمشروعات الاقتصادية فقام باستغلال مياه وادى فاس والاستفادة منه في سقى البساتين ، وذلك بفضل خبرة المهندس الاندلسى ابن الحاج ، فاستعملت النواعير على نطاق واسع . (٣)

ومع تولى السلطان ابي سعيد الحكم في فاس قام بضبط أمرها، وصلح حال الناس وكثرت الخيرات ، واهتم بالمشروعات الاقتصادية فقام ببناء القنطرة الكبرى عام ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م والتي عليها سوق باب السلسلة فبنيت الحوانيت على جانبيها ، وبنى سوق الصباغين . (٤)

كما اهتم السلطان أبو عنان المرينى (٧٤٩-٧٥٩ هـ / ١٣٤٨-١٣٥٨ م) بتنظيم الري بالنواعير التي كثرت بفاس أيام حكمه فكان بفاس وحدها ستمائة رعى تدور الماء . (٥)

لقد شهد عهد السلطان أبو الحسن المرينى (٧٣١-٧٥٢ هـ / ١٣٣١-١٣٥١ م) نشاطا عمرانيا واقتصاديا شاملا فيذكر أبو الحسن بن مرزوق التلمساني عن عمران فاس بأنه " اخبرني الفقيه الإمام نور الدين أبو الحسن علي بن فرحون اليعمرى ، بأن مدينة فاس مامرت في بلاد المغرب بسقايه ولا مصنع من المصانع التي يعسر فيها تناول المياه للشرب والوضوء فسألت عنها إلا وجدتها من إنشاء السلطان ابو الحسن رحمه الله " أما القناطر فلا يخفى فيها فقد عمل فيها الأعمال العجيبة فقنطرة وادي رداث وقنطرة بني يسيل وقنطرة الوادي بداخل فاس وهذه الأمور هي التي يشترك في الانتفاع بها القوي والضعيف والبادي والحاضر، وهذه الآثار المتعددة لم تعهد لملك قبله في سالف الأزمان فكانت من العوامل التي ساعدت على جذب السكان لمدينة فاس . (٦)

(١) ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ٣٠٢

(٢) ابن ابي زرع : مصدر سابق، ص ٣٧٤ ، ٣٨٤ .

(٣) ابراهيم حركات : الحياة الاقتصادية في العصر المرينى ، ص ١٢٣ .

(٤) ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ٣٩٧ ، ٤١٤ .

(٥) الفلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ، ص ١٥٥ .

(٦) ابن مرزوق: مصدر سابق ، ص ٤١٧ ، ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٦٢

لقد ادى اهتمام الحكام المرينيون بإقامة سدود على وادى الزيتون فى القرن ٨ هـ / ١٤ م الى تنظيم مياه الرى والتحكم فيها مما أدى الى زيادة الزراعة وتوفير السلع الزراعية بمدينة فاس ، كما قاموا باخضاع أهم المنافذ التجارية ، كسجلماسة التى كان أخضاعها يمثل أمرا حيويا للمرينيين على المستوى الاقتصادى بما يوفره ذلك من إمكانيات لتصريف السلع المغربية نحو السودان وأوربا . (١)

كما عمل سلاطين بنومرين على تنظيم التجارة الخارجية والداخلية ، فقام أبو الحسن عام ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ بعقد معاهدة سياسية تجارية مع وفد من مملكة ميورقة ، وسمح لراعيها ميورقة بالتجارة فى المغرب ، وعقد أيضا ابوعنان المرينى معاهدات مع دول البرتغال وقشتالة وأرغون وميورقة وصقلية وجنوة ، وكان لذلك أثره فى التعاملات التجارية ، ومن ثم أهتموا بالفنادق التى ينزل بها هؤلاء التجار وقاموا بالإشراف عليها وعلى الأسواق . (٢)

كما اهتم المرينيون بالمنشآت التعليمية والدينية وغيرها والتى جذبت طلاب العلم والعلماء لمدينة فاس ، فتسابق حكام تلك الدولة على انشاء المدارس والخزائن العامة ، فأنشأ السلطان يعقوب بن عبد الحق أول مدرسة بمدينة فاس عام (٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م) وهى مدرسة الحفلاويين وأطلق عليها بعد ذلك الصفارين والحق بها خزانة كبيرة للكتب . (٣)

وكان مفضل بن محمد بن الدلاى العزرى المرى (٤) من أشرف على بنائها ، فهى تقع على مقربة من جامع القرويين . (٥) وأمر ببناء المسجد الجامع عام (٦٧٧ هـ / ١٢٧٩ م) وقد أُنسم هذا الجامع بالأمتزاج الواضح بين الفن المغربى والفن الأسبانى . (٦)

وكان للسلطان ابو سعيد المرينى فضل كبير فى بناء المدارس حيث أمر ببناء مدرسة فاس الجديد عام (٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م) ورتب للطلبة المرتبات ، وحسب عليها الرباع والمجاشر . (٧)

(١) إبراهيم حركات : الحياة الاقتصادية ، ص ١٣٢ . مصطفى نشاط : جوانب من المسكوت ، ص ١٩٤ .

(٢) محمد المنونى : وراقات ، ص ١٤٣ .

(٣) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، ١٦٢ . فيرجيليو مارتينيز اينامورادو : المعرفة والقوة والمدارس فى زمن ابن خلدون ، ترجمة محمد عبد الغنى ، المعهد الاقليمى لتثنية البالغين ، مألقة ، ص ٣٥٢ .

(٤) مفضل بن محمد الدلاى العزرى المرى من أهل المرية ، ورحل الى المغرب فولاه يعقوب بن عبد الحق النظر على صاحب الحسبة وصاحب الشرطة ، وقام بالإشراف على بناء مدرسة الحفلاويين . للمزيد ابن القاضى : جذوة الاقتباس ج ١ ، ص ٣٣٩ .

(٥) ابن أبى زرع : النخيرة ، ص ١٦٢ ، الجزئى : مصدر سابق ، ص ٨١ .

(٦) محمد المنونى : وراقات ، ص ٢٨ .

(٧) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٤١٢ .

ومدرسة جامع الأندلس عام (٧٢١ هـ/١٣٢١ م) ومدرسة العطارين عام (٧٢٣ هـ/١٣٢٣ م) إزاء جامع القرويين ، والتي تم بناؤها على يد الشيخ عبد الله بن القاسم المزوار. (١)

٢ - النمو السكاني "الديموجرافي":

أنقسمت مدينة فاس منذ نشأتها الي عدة أحياء في كل منها جماعات وقبائل متقاربة ، ومع تطور المظهر الحضاري والعمراني للمدينة تطور عدد السكان وازدادت أعدادهم وتنوعت وظائفهم في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ومنذ التخطيط العمراني الأول في مدينة فاس ، كانت عناصر السكان تتخذ مكانا معينا للسكني والتعمير .

ويذكر صاحب الأنيس المطرب (٢) حينما يذكر القبائل البربرية الواردة علي فاس للسكني والاستيطان يذكر من جملتها: صنهاجة ولواته ومصمودة واشنخين وأصبحت منازل هذه القبائل تحمل أسماء نازليها من القبائل ، ومع مرور الأيام كونت هذه الأعلام التاريخية حارة لواتة وحارة صنهاجة وحي المصمودة ودرب أوربة المعروف الآن بالوربية وحي اشنخين. (٣)

كما أستقر العنصر العربي في مدينة فاس ، حيث أنهم وفدوا في عهد مؤسسها العربي العلوي إدريس بن إدريس بأعداد كبيرة قدمت من بلاد إفريقية والأندلس والعراق. (٤) وهاجرت العديد من بطون بني هلال وبني سليم إلى مدينة فاس الذين صاهروا أهل هذه المدينة وأصبحوا جزءا منها. (٥)

ويذكر " ابن صاحب الصلاة " أن بالحواز فاس من عرب بني رياح وبني جشم وبني عدي وقبائلهم وأعداد كبيرة يضيق بها القضاء. (٦)

(١) ابن مرزوق: مصدر سابق ، ص ٤٠٥ ، الجزائى: مصدر سابق، ص ٨١ ، السلاوى: الاستقصا جـ ٣ ، ص ١١٢ ، إبراهيم حركات: مرجع سابق جـ ٢، ص ٤٣ ، نقولا زيادة: أفريقيات ، دراسات في المغرب العربي والسودان العربي نشر رياض الريس الطبعة الاولى ، ١٩٩١ ، ص ١١٣ .

(٢) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ٢٦، ٢٧ .

(٣) ابن القاضي : مصدر سابق ، ص ١٩ . وابن جعفر الكتاني : سلوة الانفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبل من العلماء بفاس ، ص ٣٥٥ . عبد القادر زمامه : معالم وأعلام من فاس القديمة ، مجلة البحث العلمي ، العدد الثالث عشر ، السنة الخامسة ، يناير ١٩٦٨ ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٤) ابن عذارى: مصدر سابق، جـ ٢، ص ٧٧ ، ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٢٩ ، ٣٩ .

(٥) عبد الواحد المراكشي : مصدر سابق ، ص ٤٤٣ وعز الدين موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار المغرب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٣ ص ٩٣

(٦) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة علي المستضعفين ، السفر الثاني تحقيق عبد الهادي التازي ، بيروت دار الأندلس للطباعة ، ١٩٦٤ ، ص ١٤٤ .

ويقول ابن خلدون أن عرب الخط وسقيان وبنى جابر وهم من بطون جشم وقبيلة رياح. وقد قاوم هؤلاء العرب المرينيين قبل دخول مدينة فاس فكانت لهم وقائع وحروب مع بني مرين. (١)

واختلاط القبائل العربية والبربرية في منطقة فاس واضح فيذكر "ابن الأحمر" بيت السلالجي بيتهم بيت ثروة وجاه وفقه ، وهم من العرب القسيسين ومنهم الفقيه السلالجي المتوفي بفاس ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م وأيضاً بيت بنى الخلوفاً وهم عرب صنهاجيون . (٢)

ونجد أن الأندلسيين قد وفدوا على مدينة فاس والمغرب مع كثرة الإضطرابات التي حدثت بقرطبة ومع انحلال الدولة الاموية في مطلع القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، فرأى عدد كبير من العلماء والفقهاء من كل طبقة انه لا بد من الفرار فنزل أكثرهم بمدينة فاس. (٣)

كما هاجرت جاليات أندلسية الى فاس بمقووط المدن الأندلسية الكبرى وخاصة بلنسية (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) فمن شرق الأندلس اتجهت الهجرات الى غرناطة ، ومنها إلى المغرب وخاصة فاس. ومن أهم من سكن مدينة فاس من هذه الجاليات الأندلسية بيت بنى الأبار وأولاد الزريعي . فالأندلسيون كان لهم دور فعال في مجالات شتى ومنها الزراعة حيث نقلوا العديد من الحاصلات الزراعية إلى المغرب كغرس أشجار الزيتون ، وأشجار التوت التي أعتمدوا عليها في تربية دودة القز وأنواع عديدة من الفاكهة كالعنب والتين والتفاح والخوخ . (٤)

كما تفوقوا في تخطيط البساتين وساهموا في تطوير بعض التقنيات الخاصة بالرّي ، فكانت أول ناعورة بفاس لتنظيم الرّي بواسطة المهندس الاندلسي أبو عبدالله محمد بن الحاج الأشبيلي (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) وذلك في عهد السلطان ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني .

(١) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٢٧ .

(٢) ابن الأحمر: بيوتات فاس ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، المغربي : الجمان في اخبار الزمان ، ص ٢٠٣ .

(٣) المقري : أزهار الرياض في اخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف ، ١٩٣٩ ، ج ٢ ، ص ٣٩١ والمزيد انظر ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الأول القسم الأول ، ص ٢٤١ ، ٢٦٨ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ . ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٣٨٢ .

(٤) ابن خلدون : العبرج ٦ ، ص ٧١١ . الكتاني : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، ٤٦٧ ، أمل ربيع اسماعيل : الأندلسيون في المغرب الأقصى في عصر بني مرين (٦٦٨ - ٨٦٩ هـ / ١٢٦٩ - ١٤٦٥ م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، ص ١٠٨ .

وعملوا في تقطير عصارة الزهور وتزويقها لاستخراج العطور. ^(١) هكذا أحدث الاندلسيون رواجاً اقتصادياً باستقرارهم في هذه المدينة كان تأثيره واضحاً في ازدهار أسواق هذه المدينة .

ومن العناصر السكانية التي نزحت الي مدينة فاس وكانت أعدادهم كثيرة العنصر السوداني، وقد تصاهر هذا العنصر مع السكان الموجودين بالمدينة ، واستخدموا في البلاط الملكي فكانوا يقومون بالطهي وعمل الحلوى وأستخدموا كجوارى لجمالهن. ^(٢)

كما وجدت عناصر من الأتراك بمدينة فاس نزحوا منذ عهد الخليفة الموحدى ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عام (٥٧٤هـ / ١١٧٨ م). ^(٣)

والراجع أن أعداد السكان بهذه المدينة قد كثرت في العصر المريني عن العصور السابقة لهذا العصر، خاصة بعد أن اتخذها المرينيون حاضرة لدولتهم ، بالإضافة الى التوسع العمرانى لهذه المدينة في هذا العصر الذى شهد بناء فاس الجديد والملاح وربض النصارى . فتوافد العديد من الأسر المغربية من كافة المدن للاقامة بها يشدهم الى ذلك فرص العمل في الإدارة أو فى كافة الأنشطة السياسية . وجدت العديد من الأحياء الخاصة بالسكان بمدينة فاس ومنها :- حي اشنخن عالم بربري قديم سمي به هذا الحي من أحياء فاس منذ عهد التأسيس ، ونجد ذكره عند مؤرخي فاس الذين اهتموا بترجمة أعلام فاس ومعالمها ، وقد عرفه المؤرخون القدامى فألنا نجده علما علي قبيلة بربرية ، دخلت مع القبائل البربرية الأولى مدينة فاس للسكني بها منذ عهد التأسيس ، فسكنت هذا الحي بالذات وحمل هذا الاسم عدة قرون . وموقع حي اشنخن الآن من مدينة فاس فهو ما يجاور جامع الأنلس العتيق جهتي الشرق والشمال ، كما إن المدرسة المرينية المعروفة بمدرسة الصهرج تقع فى هذا الحي وأيضا باب الجنائز من مسجد الأنلس . وتجاور قبيلة مصمودة هذا الحي من الشرق ، وقبيلة صاريوه من الشمال كما يوجد في فاس حي يسمى حي "ازقور" وأيضا يوجد حي صاريورية وهو اسم بربري وسكنه في البداية بني بازغة ، وسميت منازلهم باسمهم وهو مسمى الآن بحي "القلعة" ويوجد به زاوية تحضرية المرينية وسوق الجزارين ، كما ضمت فاس عدة أحياء أخرى مثل حي الجيزبين علي اسم قبيلة بهذا الاسم وحي الكغاطين الذى اشتهر سكانه بضاعة الورق ، وحي اعلان الذى سكنته الطائفة اليهودية منذ التأسيس. ^(٤)

(١) الشكالى :الإتحاف الوجيز ، ص ٦٤ ، أمل اسماعيل : المرجع السابق ، ص ١١٠ ، ١١١.

(٢) البكرى : مصدر سابق ، ص ١٥٨ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٢١٦ ، ابن عذارى : مصدر سابق، ص ٢٣ . حسن علي حسن : الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس، ص ٣٢٢.

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق ج٦- ، ٣٧١.

(٤) عبدالقادر زمامة : مرجع سابق ، ٨٦ ، ٨٨ ، صاريوه من القبائل البربرية التي سكنت فاس منذ عصر التأسيس

وبلغت مدينة فاس من العمارة والرفاهية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب في العصر المريني . فاذا كان الإحصاء الذي تم في عهد المنصور الموحدي وولده محمد الناصر ذكر أن عدد مساجدها سبعمائة وخمسة وثمانون ودور للوضوء اثنان وأربعون والسقايات ثمانون والحمامات ثلاثة وتسعون ، وأرحى الماء أربعمئة واثنين وسبعين ، ودور السكنى تسعة وثمانون ألفاً ومئتين وستة وثلاثين والمصارى تسعة عشر ألفاً وإحدى وأربعين ، والفنادق أربعمئة وسبعة وستين ، والحواريات تسعة آلاف واثنين وثمانون ، وقيسارياتان ، واحدة بكل عدوة منهما، وداران للسكة واحدة بكل عدوة منهما والترايع والأطرزة ثلاثة آلاف وأربعة وستون ، ودور الصباغ مئة وست عشرة داراً ، ودور سبك الحديد والنحاس اثنتي عشرة ، وكوش الجير مئة وخمس وثلاثون وأفران الخبز ألف ومئة وسبعين. (١)

ومن خلال إحصاء مساكن مدينة فاس من (ديار ومصريات *) والتي بلغت تسعة وثمانين ألف ومئتي وست وثلاثين داراً ، وتسع عشرة ألف وإحدى وأربعين مصرية ، يوضح لنا عدد سكان فاس والذي وصل آنذاك الى حوالي أكثر من ٢٠٠ ألف نسمة ، في عهد الموحدين فإن العدد زاد في عهد المرينيين ، فيبين لنا هذا التكرس السكاني في مدينة فاس في هذا العهد ، وبالتالي زيادة النشاط الاقتصادي بها من زراعة وتجارة وصناعة ، وازدهار الأسواق لارتباطها بهذه الأنشطة الاقتصادية. (٢)

لقد أزدحمت مدينة فاس بالسكان الذين تنوعت أنشطتهم طوال العصر المريني وبعد انتهاء هذا العصر، فيذكر الوزان ان مدينة فاس في مستهل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي كانت تعج بالنشاط والسكان ، وكانت كثافة السكان عالية جداً لدرجة أنه أستحدثت مساحات عديدة خارج الأسوار وشيدت بها بعض المباني ، وخاصة في الجانب الشمالي الغربي من المدينة القديمة (فاس البالي) . (٣)

وانتشرت المدارس المرينية بمدينة فاس وبلغ عددها إحدى عشرة مدرسة ، فاهتم الحكام بالحياة الثقافية فبنى أبو يوسف يعقوب (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ / ١٢٥٨ - ١٢٨٦ م) مدرسة الحلفائين عام

(١) ابن أبي زرع : الأتيس ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٤٤ .

* المصرية: هي ديرة تبنى فوق الحوانيت ، وهو نوع من المنازل كان معروفًا بمصر وانتقل الى المغرب ، للمزيد انظر الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٤٤ .

(٢) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٤٤ ، محمد الطويل: مرجع سابق ،

ص ٦١

(٣) دائرة المعارف الإسلامية : مصدر سابق ، ص ٧٦٨٩ .

(٦٧٥هـ/١٢٧٦ - ١٢٧٧ م) ومدرسة فاس الجديد والتي بناها أمير المسلمين أبوسعيد عثمان بن عبد الحق المريني (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١ م) وأمر ببنائها عام (٧٢٠هـ/١٣٢٠ م).^(١)

فساعد الأزدهار العلمي من المدارس والجوامع بفاس الى جذب طلاب العلم من خارج مدينة فاس كل هذا أدى الى زيادة السكان بالمدينة فعمل ذلك على خلق حاجات جديدة لهم في الأسواق.

وقد أعان على زيادة سكان مدينة فاس أن هذه المدينة لم تكن مدينة تجارية وصناعية فقط ، وإنما كانت مدينة للعلم والثقافة والذي ازدهر مع بناء العديد من المدارس في فاس العتيقة والجديدة ، وقد استمر هذا الوضع المتميز لمدة ثلاثة قرون حظيت فاس خلالها بالازدهار السياسي والاقتصادي والفكري بين سائر مدن بلاد المغرب. كما كانت لها علاقات اقتصادية وثقافية مع بلدان جنوب الصحراء الغربية حتي النيجر .^(٢)

كما كانت فاس مدينة جذب سكانى بفضل مسكانها وجوامعها التي انتشرت في كافة أرجاء هذه المدينة اذ كانت تتناسب مع عدد السكان ، فوجد بها حوالى سبعمائة جامع ومسجد ، ومن بين هذه الجوامع خمسون كبيرة حسنة البناء وبالرغم من المبالغة في هذا الرقم فإن من أهم هذه الجوامع جامع القرويين والذي وضع اساسه عام ٢٤٥هـ/٨٥٩ م ، وجامع الأشراف وجامع الأشياخ ، وجامع السوق الكبير وجامع الحمراء وجامع أبي الحسن المريني ، وكانت بفاس اوقاف لهذه الجوامع خاصة لجامع القرويين الذي كانت له ارض زراعية موقوفة ، ومن إيراداتها عمل الحكام المرينيون على صيانة الجامع وبناء خزانة للكتب به.^(٣)

وكان الازدهار الحضاري والفنون المعمارية في فاس دليلا علي أحوال السكان ونشاطهم فمع اتساع إحياء المدينة وتعدد أنشطة السكان فكانت المدينة تنطق بالتطور السكاني والتطور العمراني معا

فيذكر الوزان : أن بيوت فاس مبنية بالأجر^(٤) وبحجارة جيدة النحت ، وأكثر هذه الحجارة بدعية ومزدانة بفسيفساء جبليية ، وصحون البيوت ودهاليزها مبلطة ببلاط مربع قديم مختلف ألوانه ، علي هيئة الألوان المايورقية.

(١) الوزان: مصدر سابق، ص ٢٢٥ . حسين مراد : مرجع سابق، ص ٨٤، ٨٥.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: مصدر سابق، ص ٧٦٨٩ - ٧٦٩٠.

(٣) الوزان: مصدر سابق ج ١ ، ص ٢٢٢ ، حسين مراد : مرجع سابق ص ٤١-٤٧.

(٤)الأجر: هو اللبن المحرق المعد للبناء. قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، محمد عمارة ، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩٣-١٤١٣هـ ، ص ٢٢.

والمألوف هنا أن تطلّي السقوف بألوان زاهية وبهية من طلاء لازوردي وذهبي والسقوف مصنوعة من الخشب وهي أفقية تتألف كل البيوت تقريبا من طابقين والقليل منها ثلاثة لكل طابق شرفات كثيرة للزخرف والميسورين من أهل فاس يصنعون مصاريع لأبواب بيوتهم من خشب جميل للغاية ومنقوش بشكل متقن ، ودهاليز هذه البيوت قائمة فوق أعمدة من آجر مكسوة حتي منتصف ارتفاعها بالمابورقي وتري من بعض البيوت أعمدة من رخام .^(١)

٢ - الازدهار الحرفي والصناعي

ازدهرت أسواق مدينة فاس مع الازدهار الاقتصادي ذلك الازدهار الذي تحقق بفضل نشاط سكان فاس الزراعي بالإضافة إلى نشاطهم الحرفي والصناعي ، فكانت الزراعة جيدة ومتميزة من حيث تعدد المحاصيل ووفرته ، كما كانت الصناعة بارزة في هذا المجتمع الذي انتج صناعات جيدة لسد احتياجات السكان والفائض منها كان يصدر خارج فاس . أما الحرف فأن فاس امتازت بنشاط حرفي واضح حيث اهتم السكان بالعمل في الحرف المختلفة التي انتشرت منتجاتها في أسواق فاس .^(٢)

وينكر ابن أبي زرع "أن لفاس من المحرث العظيم سقيا وبعلا علي كل جهة ماليس هو على مدينة من مدن المغرب ، وعليها المحطب في جبل بني بهلول الذي في قبلتها يصبح كل يوم علي أبوابها من احمال حطب البلوط والفحم ما لا يوصف كثرة ، ويخرج من نهر فاس أنواع من السمك مثل البوري والسنياخ والبقوة ، والشابل وغيرها ويدخل فيه الحوت - السمك - الكثير ويتصيد في بعض الأحيان البوري الكثير ، ويصل إلي المدينة الحوت الكبير المسمى عندهم "القرب" ويحمله الحمار إلي السوق".^(٣)

أما الحرف في فاس فقد ازدهرت بفضل وجود منطقتين صناعيتين في هذه المدينة الاولى المنطقة الصناعية التي تقع شرقا علي طول النهر من منعطف رحبة التبن إلي مخرجه من المدينة حيث دور الدباغة ، ومعامل النساجين والخرازين والشراطين الخ ، كما توجد المنطقة الصناعية الثانية شمالا من بوجلود إلي وادي زهون ، مع دار دباغة ومعاصر الزيتون ومناشر الخشب ودور صابون وطاحونات ومعامل حياكة .^(٤)

(١) الوزان: مصدر سابق، ص ٢٢٨ ، ٢٣١. العمري: مصدر سابق، ص ١٩٤ ومحمد المنوني: وصف المغرب، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) للجزنائي : مصدر سابق، ص ٣٦ .

(٣) الأتيس المطرب ، ص ٣٣ - ٣٦ . مارمول : مرجع سابق ج ٢ ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٤) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ج ١ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

وقد ساعد علي قيام الصناعة بمدينة فاس هو وجود المواد الخام اللازمة للصناعة فوجد صناعة النسيج حيث توجد بالمدينة أسواقا للقطن والكتان وزقاقا خاصا بمحلات الحياكة وكان لتوفر الكتان أثره في ازدهار صناعة النسيج الكتاني ، الذي كان له أماكن خاصة بالمدينة كما وجدت صناعة الشرائط الغليظة والقلاع من شقق الكتان التي كان يتم تبطنها واستخدمت لتغطية الشوارع وصحون المساجد من أشعة الشمس كما يوجد في جامع القرويين .^(١)

وازدهرت صناعة النسيج من القطن ، مثل الأشرطة والشركات التي تعلق بالركابات علي صدور الخيل مع السروج ووجدت حرفة الخياطة وتبييض الخيط في درب القطان ، وسوق القطانين وكان لهما شهرة كبيرة في فاس . كما كانت صناعة الحرير بفاس كبيرة .^(٢)

فكان بفاس مائة وواحد وأربعين دارا خاصة بالغزل وساعد علي ذلك توافر الصوف اللازم عن طريق الرعاة حيث كانوا يقومون بتربية الأغنام ، وكانت العمليات الأولية السابقة للغزل تقوم بها النساء في المنازل ووجدت صناعة الشرائط الغليظة والقلاع من شقق الكتان التي كان يتم تبطنها واستخدمت لتغطية الشوارع وصحون المساجد من أشعة الشمس كما يوجد في جامع القرويين .^(٣)

ولوفرة القطن والكتان اللازمين لصناعة الورق ازدهرت هذه الصناعة حيث وجد بمدينة بفاس مائة وأربعة معملات لعمل الورق . وعملت المرأة بمدينة فاس بالمشاركة في صناعة الورق (البسطلية) ومع قيام صناعة الورق قامت عدة صناعات أخرى منها صناعة التسفير أو التجليد ، والنسخ التي قام بها عدد كبير من الفقهاء والعلماء في فاس.^(٤)

(١) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٦٣ ، الوزان : مصدر سابق ، ص ١٧١ ، ١٨٤ ، مارمول : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

(٢) مارمول : المصدر السابق ج ٤ ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٣) الإدريسي : وصف أفريقيا الشمالية ، ضمن نزهة المشتاق في اختراق الأفاق منشورات المعهد الجامعي الشرقي ، إيطاليا ، ص ٣٧ . احمد عبدالرؤف : رسالة في الحسية والمحتسب ضمن الثلاث رسائل أندلسية ، ليفي بروفنسال ، منشورات المعهد الفرنسي للأثار الشرقية ١٩٥٥ ، ص ٨٧ ، الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٩٦ ، الوزان : المصدر السابق ص ١٧١ ، ابن عيشون الشراط : انروض العطر بأخبار الصالحين من اهل فاس ، تحقيق زهران النظام ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، ط ١ سنة ١٩٩٧ ص ٩٧ ، عبد العزيز الطوي : صناعة النسيج في المغرب الوسيط ، مجلة كلية الآداب ، فاس ، ١٩٨٥ ، ص ٥٣ .

(٤) ابن القاضي : مصدر سابق ، ص ١٦٩ . المقرئ : أزهار الرياض مصدر سابق ج ٢ ص ٣٧٩ . محمد المنوني : الورقة المغربية ، مجلة البحث العلمي ، العدد ١٦ ، السنة السابعة سنة ١٩٣٠ ص ٤٠ ، عبدالهادي النازي : جامع القرويين ج ١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ ، ص ١٤٥ .

كما قامت العديد من الصناعات علي الانتاج الزراعي مثل طحن الغلال ، وذلك لوفرة القمح والشعير والمياه مما أدى الي وجود عدد كبير من الارحاء بالمدينة فوجدت بقاس اربعمائة واثنين وسبعين رحي وكانت احجارها طاحنة . ومع طحن الغلال ازدهرت صناعة الخبز فبلغ عدد الأفران في مدينة فاس ألف ومائة وسبعين فرنا . (١)

ولقرب مدينة فاس من الأراضي المزروعة بالزيتون ، كانت احمال الزيتون تتجه الي فاس يوميا فقامت صناعة زيت الزيتون . وازدهرت صناعة الصابون فوجدت سبعة وأربعين دارا لصناعة الصابون . (٢)

وقامت صناعة ماء الورد بمدينة فاس لشهرتها بأنواع كثيرة من الأزهار لا توجد في غيرها من البلدان الرند والياسمين ، والأزهار العطرية والرياحين وأنواع أخرى من الورد مما ساعد علي ازدهار صناعة ماء الورد . (٣)

ولكثرة الثروة الحيوانية بفاس قامت الصناعات الجلدية ، مثل أكياس النقود والأحزمة الجلدية كما كان الإسكافيون يصنعون أحذية مطرزة ، والأخفاف والنعال المزخرفة بالجلد والحري . (٤)

واشتهرت صناعة دبغ الجلود وأقيمت خارج المدينة بجانب مجاري المياه وبلغت دور الدباغة ثمانمائة وستون دارا . ووجدت مائة وستة عشر دارا للصباغة ، وذلك لتوافر الأنهار التي كانت تحتاج اليها الصباغة ويسمع في الأحياء الصناعية من الزقاق الصوت المخنوق لمشط الحائل الذي يدق الثوب او الضربة الخاطفة لمدق الخزازين وصانعي الأدوات الجلدية او الغناء المتوازن للمطارق على سندان الحدادين أو ضجة النحاسين أو خريز أرحاء الحبوب وأحيانا تكون الرائحة هي المخبرة : من أريج الدقيق الطري الحاد الي الفطر الفائح للزيتون الذي يسيل زيتة وبتانة الدباغة المنتشرة في الأزقة

(١) ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ . الجزائى : مصدر سابق ، ص ٤٤ ، ابن الخطيب : مصدر سابق ، ص ١١١ .

(٢) العمري : مصدر سابق ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ . القلقشندي : مصدر سابق ج ٥ ، ص ١٧٥ ، عز الدين موسى : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

(٣) العمري : مصدر سابق ، ص ١٣٩ ، ابن غازي : مصدر سابق ، ص ٧ .

* وقد أوضح الطغرى وصف صناعة ماء الورد ، ومقايضة وطريقة التحضير وحفظ الإنتاج ، وتطبيبه بالمسك أو الشب أو الكافور ، ونسيت هذه المواد التي تستخدم لذلك ، وللمزيد انظر ، عز الدين موسى : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

(٤) ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ - الجزائى : مصدر سابق ، ص ٤٤ ، روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

المجاورة وفي الغالب يشاهد الصناع وهم يشتغلون في دكاكينهم الصغيرة المفتوحة على الزقازيق ، وقد يتفق لهم حتي التناول على الطريق العمومي كالخياطين أو نساجي الحرير أو الاسكافيين . (١)

وشهدت فاس تقدما واسعا في الصناعات الخشبية ، فمع وفرة الأشجار قامت صناعة السفن الصغيرة التي كانوا يستخدمونها في فاس للصيد في نهر سبو ، وقاموا بعمل النوافذ والأبواب والمنابر والمقصورات بالمساجد والمنازل وأثاث وتحف زخرفيه ، وصناعة المكايل الخشبية لكيمل القمح والحبوب ، وصناعة المزامير والاربية. (٢)

وبتوافر النحاس الأصفر ، والحديد فانتشرت صناعة الأدوات الحديدية ، والنحاسية فكان النحاس والحديد يتم استخراجهم من معدن قرب فاس يسمى معدن عوام الشهير ، فقاموا بصناعة المخروطات النحاسية ، ووجد بفاس اثنتا عشرة دارا لصناعة النحاس والحديد . (٣)

ومن أشهر المصنوعات الحديدية التي كانت تباع في أسواق فاس المسامير والسكاكين والسيوف وركاب الخيل وأدوات الخياطة ، وأدوات عسكرية ومنذية ارتبطت بها أعمال النجارة والبناء فاستخدموا الحديد في صناعة قنابل كبيرة استخدموها في حروبهم ، وكان بفاس في القرن ٨هـ / ١٤م صناع اختصاصيون في الآلات النارية . (٤)

ومن الصناعات التي انتشرت الصناعات الفخارية فكان بفاس مائة وثمانية وثمانين معملا لصناعة الفخار خارج نطاق السور ، وأيضا الصناعات الزجاجية حيث كان بها " مصنعا لعمل الزجاج" وكانت تتم في معامل تحت الأرض لكي لا تتأثر الصناعة بالريح والغبار وتتم بعده الأندلس بفاس ، وضع منها قوارير للزجاج التي كانت توضع في أول الليل وأخره بمسجد القرويين . (٥)

ويذكر ابن أبي زرع أن حوانيت الصناع والحرفيين في فاس كان عندهم تسعة آلاف واثنتين وثمانين حانوتا وقيساريقتن ، أحدهما بعده القرويين والثانية بعده الأندلس ، بالإضافة الى الترابيع

(١) الليثقي: مصدر سابق ، ص ٢٤ ، ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٦٠ ، ٦٥ ، الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٥٥ مارمول : مصدر سابق ج ٢ ، ص ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٣ .

(٢) مارمول: مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٤ ، ١٥٣ ، عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب في عهد الموحدين ، المجلد ٦ ، ص ٢٩ .

(٣) مجهول : الاستبصار مصدر سابق ، ص ١٨١ . الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٥٣ . ابن أبي زرع : مصدر سابق ص ٤٨ الجزنائي: مصدر سابق ، ص ٤٤ .

(٤) الوزان: مصدر سابق، ص ١٨٤ . محمد المنوني : أبحاث مختارة ، صناعة الاسلحة النارية بالمغرب، منشورات وزارة الشؤون الثقافية ص ٢٤٧، ٢٤٦ .

(٥) الجزنائي: مصدر سابق ، ص ٤٤ ، ٦٨ . مارمول : مصدر سابق ج ٢ ص ١٥ .

والأطرزة المعدة لصناعة الحياكة فكانت ثلاثة آلاف موضع وأربعة وستون ، وسبع وأربعون دارا لصناعة الصابون ، ومائة وخمس وثلاثون كوشة لعمل الجير وطفه ، وكان بها من الأفران فى جهاتها وأزقتها ألف ومائة وسبعون فرنا .^(١)

لقد مثلت الصناعة والحرف اليدوية فى فاس فى عهد دولة بنى مرين نشاطا من الأنشطة الاقتصادية المهمة التى ساعدت فى عمران الأسواق وامتد سكان المدينة بحاجاتهم زمن الدولة المرينية .

وقد ازدادت تلك الحاجات مع تبحر عمران المدينة ، ومما ساعد على ازدهار الأنشطة الاقتصادية أن الموحدين خلفوا للمرينيين قاعدة صناعية كبيرة تحدثت عنها مصادر التاريخ .^(٢) لكن الصناعة ازدهرت فى مدينة فاس فى العصر المريني عما كانت عليه فى عهد الموحدين ، بعد أن أصبحت حاضرة لتلك الدولة بالإضافة الى اتساع العمران حول فاس القديمة، ببناء فاس الجديد أو المدينة البيضاء وحي الملاح. ومما لاشك فيه أن ذلك الازدهار الصناعي كان بسبب وفرة المواد الخام اللازمة للصناعة مثل الحديد والنحاس والفضة وغيرها من المواد الخام الزراعية والرعية والغابية ، كما توفرت المواد الخام التى تدخل فى صناعة مواد البناء مثل الجبس والصلصال وأنواع الحجارة وأنواع الرمال ، كما كانت هناك الأصداف الثمينة المستخرجة من نهر فاس والتى استخدمت فى صناعة أدوات الزينة.^(٣)

والى جانب توفر المواد الخام توفرت الخبرات اللازمة للازدهار الصناعي ، وقد اكتسب صناع فاس فى العصر المريني خبرات عديدة من رصيد الخبرة الكبيرة الذى كان فى عصر الموحدين، بالإضافة إلى الصناع الأندلسيين الذين أقاموا فى هذه المدينة، وازدهرت حرف دقيقة فى فاس فى عصر بنى مرين مثل صناعة الساعات والإسطرلابات.^(٤)

٤ - المنشآت التجارية :

أسهم تطور الأنشطة الاقتصادية فى فاس خاصة الزراعة والرعى والتعدين بالإضافة الى الحرف والصناعات فى انتعاش الحركة التجارية فى هذه المدينة وأعان على هذا الانتعاش وجود العديد

(١) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) الجزنائى : مصدر سابق ، ص ٤٢ .

(٣) الجزنائى : مصدر سابق ، ص ٤٢ .

(٤) محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ٢٨٤ - ٢٨٧ .

من المنشآت التجارية لاستقرار التجار الغرباء ، وشملت هذه المنشآت العديد من الفنادق والقيساريات ، التي أعدت لأقامة هؤلاء التجار مع تخزين سلعهم وبيعها .

وانتشر الخان بالمغرب الأقصى فهو يتألف من صحن مستطيل الشكل تحف به أربعة أروقة تشتمل على حجرات ولأروقة اهميتها حيث أنها تظل التجار والحيوانات والبضائع حتى لا يبقوا في العراء والطابق الأرضي يخصص للمتاجر والإسطبلات ، والخان يشتمل على حجرات للضيوف ، وكذلك مخازن تجارية فالخان وظيفته التخزين والبيع ومأوى للتجار الغرباء ، والخان لفظ فارسي وتركي وبالفارسية يعنى الحانوت ، أما بالتركية دار العمل والتجارة .^(١)

ومن المنشآت التجارية الفنادق وهي كلمة فارسية وتعنى الخان أيضا ، وأقيمت خصيصا للتجار الأجانب .^(٢)

وقد كثرت الفنادق في مدينة فاس لاستقبال العدد الكبير من التجار الموجدين بها ويصفها الوزان قائلا " تحوى فاس مائتي فندق فخمة البنيان للغاية فبعضها يكون فسيحا ، مثل التي تقع بجوار الجامع الكبير وتتألف كلها من ثلاث طوابق ، ويحوى بعضها مائة وعشرين غرفة والبعض أكثر من ذلك " .^(٣)

ومن أشهر فنادق هذه المدينة فندق الشماعين ، وفندق الملجوم ، وفندق الغرباء ، وفندق الحدودي وفندق التجار ، وفندق الزيت ، وفندق الرضاع وفندق خنوسة وابن حيون ، ويوجد فندق كبير للأسرى المسيحيين يصنعوا فيه أدوات من الحديد ويوجد بفاس الجديد وفندق التطاوين الذي يقع تجاه الجدار الشرقي لجامع القرويين ، فمعظم هذه الفنادق وجدوا بجوار الجامع الاعظم بفاس الجديد ، وجامع القرويين .^(٤)

(١) ليوبولد توريس بلياس: الأبنية الإسبانية الإسلامية ، تحرير علي ابراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد العدد الاول ، السنة الاولى ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣ ، ص ١١٨ .

(٢) رفعت موسى محمد: الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الاولى ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ ، ص ٤٣٤ .

(٣) الوزان: مصدر سابق، ص ٢٣٦ ، ويتحدث عن الفنادق التي تحولت بعد ذلك في القرن الخامس عشر الميلادي الى اماكن للخلاعة ، ولم تنجو من ذلك غير الفنادق القريبة من الجامع .

(٤) ابن ابي زرع: مصدر سابق ، ص ١٠٥ ، ١٧٦ ، مازمول: مصدر سابق ، ص ١٥٧ ، روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ١٩٩ . عبد الوهاب الديبشي: توزيع المرافق الاقتصادية بفاس المرينية ، كلية الآداب ، الدار البيضاء ، القسم الثاني ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، اعمال ندوة للتجارة وعلاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ، ص ٤٥ .

أما القيساريات فهي جمع قيسارية ، وتتكون من بناء مربع أو مستطيل المساة بوسطة صحن أو فناء سماوى يدور حوله الحوانيت وله عدد من المداخل، والقياسر مصطلح لاتينى مشتق من اسم قيصر أو قيصرية ويعنى سوقا صغيرة وتحرف الاسم الى قيسارية.^(١) ويرى البعض أنها اشتقاق من كلمة القصر العربية والقيصرية مؤسسة تجارية عامة متسعة النطاق .^(٢)

وتضم القيسارية خمسة عشرة سوقا وكل سوق يختص بنوع معين من السلع ، مثل سوق الحائكين والكتان وثياب الحرير ، وسوق القطن البالي والمفصل الجديد وتطريز الحرير، وسوق العطارين وسوق يبيع الإبرة والخيط ، وسوق الغزل والخضر واللحم ، وسوق الحرير الغير منسوج وسوق الحناء وسوق الغاسول، وسوق بيع أعشاب الأدوية ، وسوق بيع المعاجين والترياقات وسوق الشراييل.^(٣) أما القيساريات فهي جمع قيسارية ، وتتكون من بناء مربع أو مستطيل المساة بوسطة صحن أو فناء سماوى يدور حوله الحوانيت وله عدد من المداخل، والقياسر مصطلح لاتينى مشتق من اسم قيصر أو قيصرية ويعنى سوقا صغيرة وتحرف الاسم الى قيسارية.^(٤) ويرى البعض أنها اشتقاق من كلمة القصر العربية والقيصرية مؤسسة تجارية عامة متسعة النطاق .^(٥)

وقد وصف الوزان قيسارية فاس بأنها عبارة عن مدينة صغيرة تحيط بها أسوار تحتوي علي اثني عشر بابا ، وتضم خمسة عشر حيا ، وأوضح أن كل مدخل للأبواب يعترضه سلسلة وذلك لكي تتمكن الخيول والحيوانات من الدخول إليها .^(٦)

ولم تكن القيسارية تتكون من حوانيت فقط إذ كانت تقوم الي جانب هذه مخازن يسمى واحدها فندق ويتم تخزين السلع بها ، وبيعها بالمزاد العلني علي مقربة من القيسارية .^(٧)

(١) رفعت محمد: مرجع سابق ، ص ٣٧ ، ٣٩ .

(٢) احمد الطوخي: القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، العدد ٢٢٨ سنة ١٩٨١ ، ص ٦٧ ، ٦٩ .

(٣) مجهول : مخطوطة ذكر قصة المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين ، تحقيق نوال عبدالعزيز : ضمن علاقات المغرب الأقصى الخارجية فى عهد بنى وطاس ٨٦٩-٩٦٢هـ / ١٤٦٥-١٥٥٤م ، رسالة دكتوراة غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الاثريّة ١٩٩١ ، ص ٢٤٧، ٢٤٦ الوثنريسي: مصدر سابق ، ج ٣، ص ١٥٧ ، ٢١٧ . محمد رابطة الدين: قيسارية مراكش الموحدية ، كلية الآداب ، مراكش ص ١٥ .

(٤) رفعت محمد: مرجع سابق ، ص ٣٧ ، ٣٩ .

(٥) احمد الطوخي: القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، العدد ٢٢٨ سنة ١٩٨١ ، ص ٦٧ ، ٦٩ .

(٦) الوزان: مصدر سابق ، ص ٢٤٥ ، احمد الطوخي : مرجع سابق ، ص ٨٧ - ٧٩ .

(٧) روجيه لوطورنو: فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٤١ .

وبفاس يوجد نحو ثلاثين دكانا للعدول وثلاثين دكانا للكاتبين ، ومائة وخمسين دكانا لبائعي الأحنية وخمسين دكانا للخرازون ونحو خمسين دكانا لبيع الفاكهة ، وباعة الشمع والأزهار وبلغ عدد دكاكينهم نحو عشرين دكانا وباعة اللبن حيث يباع يوميا في فاس خمس وعشرون بطة من اللبن الطرى والحامض. (١)

ومن ثم نجد بائعي القطن وبلغ عدد دكاكينهم ثلاثين وبائعي الملح والجبس ، والاولانى الخزفية والذين بلغ عددهم مائة دكان ، وبائعو السروج والركابات والأحزمة بلغ عدد دكاكينهم نحو ثمانين دكانا، وكانت تقع معظم هذه الدكاكين حول مسجد القرويين وبالقرب منه . (٢)

ووجد عدد كبير من الأسواق دخل مدينة فاس منها سوق الخضر حيث يباع الكرنب ونوع من اللفت وسائر الخضر ويضم هذا السوق نحو أربعين دكانا ، وتقوم حول الساحة دكاكين تباع فيها الشعرية. (٣)

ومن ثم يأتى سوق الدخان حيث تباع الفطائر المقلية فى الزيت ، وسوق الزيت والسمن والعسل والجبن الطرى والزيتون والمال والليمون الحامض والجزر ، وسوق الجزارين والذى بلغ عدد دكاكينهم نحو أربعين دكانا ، وبعد ذلك نجد سوق الأقمشة الصوفية الغليظة ويضم نحو مائة دكان ، وسوق الكتان وهو بناء كبير تحيط به أربعة أروقة فى أحدهم باعة نسيج الكتان ، وباعة الدقيق وباعة التبن ويشغلون نحو عشرة دكاكين ، وسوق الدخان وصانعى الدلاء الجلدية ويشغلون نحو أربعة عشر دكان وصانعى الظروف التى يخزن بها الملح والدقيق ولهم نحو ثلاثين دكانا ، وسوق التجار وهو شبه مدينة صغيرة له اثنا عشر بابا . (٤)

فأسواق فاس كانت تزخر بتعدد أنواع البضائع التى تجلب إليها، وجنسيات متعددة من التجار فيشير الجزنائى لذلك "ليس من أهل بلد ولا أقليم إلا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومتصرف، فقد اجتمع فيها ما ليس فى مدينة من بلدان الدنيا . (٥)

وبجانب الأنواع السابقة توجد أسواق أخرى اتخذت شكلا هندسيا رباعيا بالقرب من الأسواق المركزية وعرفت بالتربية ، وهى مكان صغير محاط بدكاكين ، حوائيته معلقة وسط فناء عار ،

(١) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٣٣-٢٣٥ .

(٢) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٣٥ .

(٣) الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٤) الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٣٨-٢٤٠ .

(٥) الجزنائى: مصدر سابق، ص ٣٩ .

وكانت قريبة من سوق العطارين ومنها تربية القرافين والحايك والسلهام والحنبل ، ووجدت الرحبة والتي تعتمد على المكايل في أوزانها ومن أمثلتها رحبة الزرع ، ورحبة الأعواد ، وزربية الخشب و رحبة القيس والبركة (سوق العبيد).^(١)

ومن خلال العرض لعدد الأسواق والقياسيات بمدينة فاس نجد أن المدينة ضمت عددا كبيرا من الأسواق لجميع أنواع السلع التجارية وكل ذلك ساعد على سد احتياجات السكان اليومية .

٥ - الطرق والمواصلات :

قام بعض السلاطين المرينيين منذ عهد ابي بكر ، وأبي الحسن المريني بإجراءات لتأمين المسالك والطرق ، فأمرُوا بإقامة مراكز للحراسة وتموين المسافرين والتجار ، وعملوا على إقطاع العاملين على ذلك مكافآت لهم .^(٢)

وقد انقسمت الطرق الي طرق داخلية وطرق خارجية أما بالنسبة الي الطرق الداخلية فقد انقسمت الي طرق برية وطرق نهريّة : -

فالطرق النهرية استخدمت في النقل حيث قام أبو عنان بإقامة دار للصناعة لصناعة المراكب بمدينة فاس ، فكانت تسير في نهر سبو واستخدم النهر لنقل أخشاب الأرز الي فاس .^(٣)

أما بالنسبة للطرق البرية ، فهي تسمى الأزقة فلها عدة محاور فهناك الزقاق الأول يؤدي تقريبا من باب فتوح إلي قنطرة بين المدينة ، وهو عبارة عن طريق عريض يكاد يكون مستقيما ، حتي جامع الأندلس وكان لهذا الطريق بديل يدعى محج الفخارين وجامع الأشياخ العتيق محاذي لبعض المعاصر ومعامل الفخار ، ثم يتحول إلى اليسار ويلتحق بالصفاح ودرب اللمطي باسم زنقة فندق العطار وهذا الطريق ممر للدواب .^(٤)

(١) عبد الوهاب الديبش: مرجع سابق، ص ٤٣ .

(٢) الاستبصار: مصدر سابق، ص ٢١٥ ، ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٢٩ .

(٣) وقد استخدم وادي سبو في سير القوارب والسفن الصغار الي البحر الأعظم وقد قام ابو الحسن في سنة ست وخمسين وسبع مائة ، بجلب ضريحة ببلة من الرخام الأبيض وحملت علي عجل الخشب حتي ضفت نهر سبو الي أن وصلوا إلي ملقي وادي فاس ومنها الي مدرسة الضريح بعدوه الأندلسيين - مخطوط : رسالة في ذكر فاس ، ورقة ٤٨ ، ٤٩ ، مجهول : خطط فاس ، ورقة ١ ، الجزائني: مصدر سابق ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٤) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ٢١٠ ، ٢١٢ .

أما المحور الثاني للسير يصل باب فتوح بقنطرة الطرافين ، ويسير سريعا عبر مقبرة باب الحمراء ويغوص بالمدينة ، ويجتاز باب سيدي حنين القديم ثم يلتحق بالحدادين النخاليين عن طريق محج سيدي المغيث ، ومن ثم قنطرة الطرافين أما المحور الثالث يصل حي المخفية الخارجي بقنطرة سيدي العواد عبر كزام ابن برقوفة وبعد اجتياز القنطرة يلتحق بالمحور لعدوه القرويين ، ووجدت إعداد من القنطرة بمدينة فاس منها ، قنطرة الطرافين ، وقنطرة سيدي العواد وقنطرة كزام ابن برقوفة ودرب سيدي العواد والنخاليين ، ومحج الخراشفين ، وكزام ابن زكون، وقنطرة الصباغين . (١)

أما عن وسائل النقل والمواصلات في مدينة فاس فنجد أن التنقل داخل فاس تنظمه الشوارع، فهي كانت عريضة نسبيا والعربات لم تكن تعرف في مدينة فاس ، ولا في المغرب فكان القوم ينتقلون مشاة والأثرياء يمتطون البغال والدواب ، فاستخدم الدواب في نقل البضائع . (٢)

وقد أورد الونشريسي نازلة تتعلق باستخدام البهائم في نقل السلع بالأسواق ، كمن باع جزء من دابته لمن يحفظها ويشاركه فيها ، أو من يدفع دابته إلى أجير بنصف ما يكتسبه بها من الأجر والربح ، فنظام المشاركة تناولها المعيار باستفاضة . (٣)

أما بالنسبة للطرق الخارجية ، فنجد طرق ربطت مدينة فاس بمدن المغرب الأقصى، وطرق بين فاس وكافة مدن بلاد المغرب ، وطرق ربطت بين فاس والسودان الغربي .

فبالنسبة للطرق التي ربطت بين فاس ومدن المغرب الأقصى فنجد طريقا من فاس إلى سبتة ، وطريق آخر يربط فاس بمدينة سلا . (٤)

(١) روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية ، ص ٢١٥ .

(٢) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٤٦ .

(٣) الونشريسي: مصدر سابق ج ٦ ، ص ٢٠٣-٢٤٤

(٤) سلا: مدينة قديمة ، وهي موازية لوادي أبي الرقاق ولها شهرة كبيرة في الجلد والأواني النحاسية والحديدية ونسج الزرابي، وكانت تحت سلطة المرينيين وقد وقعت في أيدي النصارى أربعة وعشرين يوما أيام الملك يعقوب بن عبدالحق المريني ومعظم سكانها يعملون بالحيكة من القطن والكتان ، وتصنع كميات كبيرة من الأمشاط التي تصدر لمدينة فاس: للمزيد انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ١٠، ص ٢٣١ ، الوزان: مصدر سابق ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

وفاس مكناسة ^(١) وفاس - وزان - العرائش - طنجة ^(٢) فاس-اغامت ^(٣) (مراكش) ^(٤) عبر تادالا ^(٥) .

وطرق أخرى تربط بين فاس ومدن المغرب ومنها فاس - وجده وتلمسان عبر مجموعة من المراكز أهمها رباط تازا . ^(٦)

وتربط فاس بالسودان الغربي عدة محاور فاس - أغامت (مراكش) - السوس الأقصى ^(٧) نول لمطة ^(٨) ومن فاس إلى سجلماسة ثم إلى السوس الأقصى ويمر بعد ذلك إلى مدينة نول لمطة ،

(١) مكناسة: إحدى مدن المغرب الأقصى ، وتقع على مسافة أربعين ميلا إلى الغرب من فاس واشتهرت بزراعة الزيتون فسميت مكناسة الزيتون والرمال للمزيد انظر الإدريسي: مصدر سابق ، ص ٧٦ - ٧٧، مجهول: الاستبصار، ص ١٨٧ ، ابن الخطيب: مشاهدات ابن الخطيب ، ص ١٠٩. الجغرافيا الإسلامية : حول جغرافية وطوبوغرافية الأندلس، جمع وطبع فؤاد سزكين وآخرين ، نشر معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت ، ألمانيا ، ١٩٩٣ م / ١٤١٤ هـ ، القسم الأول ، مج ١٥١ ، ص ٢٨٢ .

(٢) طنجة: مدينة كثيرة الفواكه ، والبحر لديها اضيق ما يكون فهو ثمانية عشر ميلا . للمزيد انظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، دار صادر، بيروت، د.ن ص ١٣٢ .

(٣) اغامت: تقع على مسافة أربعة وعشرين ميلا من مراكش وتجرى بها عدد كبير من الأنهار وهي خصبة للتربة ، وكثيرة الفواكه العنب والتين . للمزيد انظر الوزان : المصدر السابق، ص ١٤٨ . الجغرافيا الإسلامية : مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

(٤) مراكش: مدينة كبيرة وتقع في سهل واسع على مسافة أربعة عشر ميلا من الأطلس ، وهي تبعد عن الرباط بمسافة ٣٢٦ كم وبينها وبين فاس عشرة أيام واتخذها الموحدون عاصمة لهم ويكثر بها زراعة الزيتون. للمزيد انظر ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد شبانة، دار الثقافة، ص ١٦١ .

(٥) تادالا: مدينة بين جبال صنهاجة وتقع تادالا بين مراكش وبين فاس من الغرب الأقصى . للمزيد انظر أبو الفداء : مصدر سابق ، ص ١٣٥ .

(٦) تازا: مدينة كبيرة تعيش في رخاء ، وبناها الافارقة على مسافة خمسة أميال من جبال أطلس وتقع على مسافة ثمانين ميلا من فاس ومائتين وخمسين ميلا من المحيط وخمسة وسبعين ميلا عن البحر المتوسط، ويزرع بها العنب وهي كثيرة اليهود . للمزيد انظر الوزان: المصدر السابق، ص ٣٥٧-٣٥٨ .

(٧) السوس الأقصى: يطلق عليها تارودنت ونهرها يأتي من جبل لمطة ومن منها درعة ، ويكثر بها البساتين . للمزيد انظر ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٩١ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ، أبو الفداء: مصدر سابق ص ١٣١

(٨) نول لمطة: هي أول الصحراء وبها نهر كبير ينزل من جبل لمطة ويصب في المحيط ، ومن وادي السوس إلى نول لمطة ثلاث مراحل . للمزيد انظر البكري : مصدر سابق ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ، أبو الفداء : نفس المصدر والصفحة.

ويتقاطع مع طرق أخرى خصوصا الطريق الواصل بين سجماسة والبحر المتوسط عبرمكناسة وفاس
مراكش ونجد طريقا آخر يربط فاس بالمدن الأندلسية فاس و جنوة . (١)

ويعتبر الطريق المباشر فاس — سجماسة مرورا بصفرو (٢) من أهم الطرق والذي عرف
بطريق السلطان وطريق الثمور، ومن سجماسة كانت القوافل تواصل طريقها إلى السودان الغربى
عبورا بمحطات تجارية صحراوية أودغشت وغانة . (٣)

لعبت سجماسة دورا كبيرا فى تجارة مدينة فاس فكانت من أهم المحطات التجارية التى
ربطت فاس بالتجارة الداخلية والخارجية .

وكانت البهائم تحمل البضائع منفردة فى أحمال وغرائر ، يتم من خلالها نقل الملح ، حيث يتم
تقطيعه ألواحا كألواح الرخام ويحمل على الجمال . (٤)

وكان لازدهار المقومات البشرية والطبيعية وتوافرها عامل كبير على قيام الأسواق داخل مدينة
فاس وقام الحمالون بدور كبير فى نقل السلع التجارية داخل أسواق مدينة فاس ، وكانت لهم نقابة
تحظى بامتيازات خاصة ، وهم لا يؤدون أية ضريبة ومن يحكم عليه بالإعدام من مجرميهم لا يعدم
بحضور الجمهور . (٥)

وعمل عدد من المقاولين على تأجير دوابهم ، لنقل مختلف المتاجر كألواح من خشب الأرز أو
الزيتون وأحمال الرمل والأجر الذي يستخدم فى البناء وأكياس من القمح أو الصوف ، وكان عدد من
الحمير يسير فى قافلة واحدة خلف سائق تخرق شوارع المدينة أما البغال والخيول فكان لكل واحد منها

(١) الإدريسي: مصدر سابق ، ص ٢٤٢ ، البكرى: مصدر سابق ، ص ٨٧ ، مجهول : الاستبصار، ص ١٨٦ ،
الحميرى: مصدر سابق ، ص ١٢٧ ، ماجدة كرىمى : العلاقات التجارية بين المغرب والسودان فى العصر المرينى،
رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، جامعة محمد الخامس ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، شعبة التاريخ ، الرباط
١٩٨٧ - ١٩٨٨ ، ص ١٧٦ .

(٢) صفرو : بلدة فى المغرب ، وفيها من الفواكة الكثير ومنها يجلب الجوز الى مدينة فاس، للمزيد انظر البكرى: مصدر
سابق، ص ١٤٧ .

(٣) عبدالعزيز العلوى: فاس والتجارة الصحراوية قبل الحملة السعدية على امبرطورية سنغاي ، ندوة فاس وإفريقيا ،
كلية الاداب والعلوم الانسانية ، فاس ١٩٩٣ ، ص ٥٨ .

(٤) الوثنريسي: مصدر سابق ج ٥ ، ص ١٣٦ ، ص ٢٦٢ .

(٥) إبراهيم حركات: الحياة الاقتصادية فى العصر المرينى ، ص ١٣٤ .

سائق ومع حلول الليل والظلام يصعب التنقل داخل المدينة حيث كانت من أهم ما تتميز به المدينة هو أن كل حي من أحيائها له باب يقل بالليل فيصعب التنقل من حي الي حي آخر .^(١)

من خلال عرضنا للمقومات الطبيعية من موقع جغرافي وبيئة زراعية ، والمواد الخام والمقومات البشرية من سكان وحرف وصناعات ومنشآت تجارية وطرق ومواصلات ، يتبين لنا ان مدينة فاس كانت مدينة تجارية قوية في عصر من أزهى عصور المغرب وهو العصر المريني أسهمت هذه المقومات في جعل أسواق فاس في العصر المريني من أفضل أسواق المغرب.

(١) روجيه لوطورنو: فاس في عصر بني مرين ص ٤٧ - ٨٢.

الفصل الثاني

أسواق فاس ونشاطها التجاري الداخلي

أولا: الأسواق أنواعها وتنظيمها

ثانيا: مواقع الأسواق

ثالثا: إدارة الأسواق

رابعا: العاملون في الأسواق

خامسا: السلع التجارية

ارتبطت الأسواق في مدينة فاس بموقع هذه المدينة وجغرافيتها ، ومدى توافر المياه بها وبعدد سكانها وتجمعاتها ، ونشاطهم الزراعي والصناعي والحرفي والتجاري وغير ذلك من أنواع النشاط البشري وخاصة في الجانب الاقتصادي .

وبما أننا نتحدث عن مدينة فاس وخاصة أسواقها فسوف نتناول في هذا الفصل النشاط التجاري الداخلي لمدينة فاس من خلال أنواع أسواقها وتنوعها المرتبط بالسلع المتداولة في الأسواق، ومن خلال مواقعها في المدينة أي توزيعها على الأحياء وارتباطها بالحرف والمنتجات . ثم الحديث عن تنظيماتها الإدارية بما يسهل حركة الضبط لعمليات البيع والشراء ، وإقرار الأمن والنظام . وبهذا الخصوص لابد من الحديث عن إدارة الأسواق من قبل المسؤولين عن أجهزة الحكم والإدارة في المدينة ، بمتابعة العمليات الشرائية بدقة وقيام المحتسب بدوره ومسؤولياته لتيسر الأمور في هذه الأسواق أمام البائعين والمشتريين بما يمنع التلاعب أو الاستغلال . وكذلك استعراض السلع المتداولة في الأسواق سواء كانت محصولات زراعية ، أو منتجات صناعية حرفية ، وتوزيع تلك السلع في أنحاء المدينة وهل لها أسواق خاصة مثل سوق الذهب (الصاغة).

وأخيرا يأتي استعراض لفئات العاملين بالأسواق ، سواء كانوا أصحاب حوانيت أو صناع أو حرفيين أو عمال في مجالات مختلفة ، أو حمالين أو سماسرة ، ودور كل منهم في تيسير عمليات البيع والشراء في الأسواق ، مؤكدين على أهمية العنصر البشري في النشاط التجاري .

ولا شك أن الأسواق الداخلية لمدينة فاس قد لعبت دورا كبيرا في ازدهار الحالة الاجتماعية والاقتصادية لسكانها . مما جعلها محط الأنظار والاهتمام وحقق لها مكانة كبيرة وواضحة في بلاد المغرب بوجه عام والمغرب الأقصى بوجه خاص ، وقد انعكس ذلك على مكانتها العلمية والثقافية وربطها بالمدن الأخرى .

أولا : الأسواق وأنواعها وتنظيمها

تعددت أسواق مدينة فاس من حيث أنواعها وسلعها التي تباع بها ، فوجدت بمدينة فاس أسواق كثيرة وهذه الأسواق ارتبط اسمها بأسماء السلع التي كانت تباع بها كسوق العطارين ، وسوق الفخار ، وأسواق الكتبيين والوراقين ، وأسواق الجلود والصناعات المرتبطة بها وخاصة صناعة الأحذية والمعروف بالخرازين ، وأسواق الدباغين وأسواق الجزارين . وتعددت الأسواق أيضا ومنها أسواق الشماعين وخصص منه جزء لبيع الفولكه المجففة ، وأسواق النحاسين وأسواق العزافين ، وأسواق الغزل ، وأسواق الصباغين ، وأسواق الزيائين ، وأسواق الكتان.^(١)

وعرفت مدينة فاس العديد من الأسواق أيضا وسميت بأسماء عديدة منها السوق ، كسوق الصفارين ، وسوق السقاطين وسوق الغمادين ، وسوق السيطربين وهي سوق خاصة بالجزارين، وسوق الحناء وسوق القراقين وهو سوق مخصص لصناعة النعال وسوق الحلفاء وسوق الشكاكين وهو مخصص لصناعة الدباغة ، وسوق التيالين وهو مخصص بصناعة الغرابل ويقع أعلى عين علون وسوق السفاجين وهو سوق مخصص لبيع الأسفنج ، وسوق النجارين وسوق للزرايين وسوق الخراطيين ، وسوق القطانين وسوق السقاطين وسوق الصوابين وهو سوق خاص بصنع الصابون وبيعه بالجملة .^(٢)

ووجدت أنواع من الأسواق في فاس ، كأسواق الاسكافيين الذين يبيعون الأحذية للرجال والنساء على السواء يتوزعون في مائة وخمسين مكانا ، وكانوا باعة بالجملة والقطاعي وأسواق للجزارين فكان لهم حي منعزل ، وأسواق الحصريين والسرارجين وحوانيت الجزارين ، و بجوار هذه الدكاكين توجد حارة صقالى الأسلحة الذين يبيعون السيوف.^(٣)

(١) ابن أبي زرع: الأئيس ص ٤٨ ، الجزائى : مصدر سابق ص ١٠٧ ، ناصح محمد: مرجع سابق ، ص ٤٤٩ .

(٢) ابن أبي زرع : الذخيرة ص ٧٣ ، الكتاني : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٥٠ ، روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ١٩١ .

Asiatiquet 10, 1917.p2-3.

عبد الوهاب الديبشي : توزيع المرافق الاقتصادية بفاس المرينية ، أعمال ندوة للتجارة ، جامعة الحسن الثاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين الشق للدار البيضاء ، ١٩٨٩م / ١٤٠٩ هـ ، ص ٤٠،٤١ .

(٣) الوزان: مصدر سابق، ص ٢٣٦،٢٣٧ ، ابن عيشون الشراط: مصدر سابق ص ٧٣ ، مارمول: مصدر سابق، ص ١٥٠ - ١٥٢ ، ١٥٤ .

وعرفت فاس أيضا أنواع أخرى من الأسواق عرفت باسم السوق وهي تسمى باسم المكان التي توجد فيه وهي سوق حباب السلسلة ، وسوق الرحيق وسوق الرملة وسوق عين علون وعرفت باسم سوق مغراوة . وهناك أسواق عرفت بالرحبة وهي من الأسواق التي يتم فيها البيع باستعمال المكاييل مثل رحبة الزبيب ، ورحبة الزرع ، ورحبة الأعواد وزربية الخشب ورحبة القيس * والبركة أو سوق العبيد ، واشتهرت بمدينة فاس رحبة الحوت حيث يتم صيده من الوادي فيباع منه كميات كبيرة بالأسواق.^(١)

كما وجدت في مدينة فاس أزقة ضمت عددا كبيرا من الدكاكين مثل زقاق العطارين ، ويشتمل على مائة وسبعين دكاناً على الجانبين له مدخلان يغلان كل ليلة فضلاً عن إقامة الحراسة عليه ، ومن بين دكاكين الزقاق عدة دكاكين للعشابين يبيعون مراهم وأدوية وهذا الزقاق أجمل أزقة فاس لأن الدكاكين فيه كبيرة ومستضيئة جداً^(٢)

وهناك زقاق آخر يبتدئ من الباب الغربي للجامع الكبير جامع القرويين ويؤدي إلى باب المدينة المفضي إلى فاس الجديد . وهذا الزقاق ملئ بساحات ودكاكين تصنع فيها قرب الماء من جلود الماعز كما أن هناك أكثر من خمسين يصنعون السلاسل ويوجد حدادون يصقلون ركاب الخيل وغيرها من المصنوعات الحديدية ، وأمامهم صانعوا التروس ، وأكثر من عشرين دكاناً للذين يغسلون الثياب في أحواض كبيرة حتى تصير بيضاء .^(٣)

كما وجدت بمدينة فاس أسواق كبيرة تسمى قيسارية وهي مكان مسور وسط المدينة وبها أزقة كل منها تحتوي على نوع معين من السلع مثل أزقة القطانين وزقاق الاسكافيين الذين يصنعون أحذية مطرزة بالذهب والحريز ، والقطانين الذين يصنعون أشرطة وشرابات تعلق بها الركابات وعلى صدور الخيل مع عدة السروج من نفس المادة ، وزقاق النساجون الذين ينسجون

(١) ابن أبي زرع: مصدر سابق ص ٢٧٧.

* رحبة القيس: اشتهر بفاس بيت بني قدة ، وكان لهم رحبة القيس ولهم به فندق ، ومنهم محمد ابن قعدة. ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى ص ٨ ، التميمي : المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وميلها من البلاد ، تحقيق محمد الشريف ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد المالك السعدي ، تطوان، ٢٠٠٢م ، ص ٧١ .

(٢) الوزان: مصدر سابق ، ص ٢٤٣. مارمول : مصدر سابق ، ص ١٥٠ .

(٣) ابن الزيات : التشوف إلى رجال التصوف ، ص ٩٧ . محمد عيسى : مرجع سابق ، ص ٢٩٣ .

الحريـر والصوف ومعظم العاملين بهذا الأزقة من مسلمي الأندلس وخاصة مدينة بلنسية (١) وزقاق آخر به عدد من دكاكين الخياطين والقصارين ، وأغناها التي تباع فيها أقمصة وأحذية وزينة رأس النساء وهي من الحرير والقماش المطرز . فوجد دار الطراز وهي مشتقة من الفارسية ترازيدان وتراز بمعنى التطريز وساعد على ذلك توافر المواد الخام التي تدخل في صناعة النسيج. (٢)

كما ضمت مدينة فاس خمسمائة وعشرين داراً للنساجين فهي عبارة عن منازل ذات طبقات عديدة وقاعات فسيحة ، وتحتوي على العديد من الآلات والأقمشة والثياب الحريـرية . وضمت أيضا مائة وخمسين مسكناً معظمها على ضفاف النهر تتولى الخياطة وتبييض الخيط وصباغة الحرير (٣). وهناك أيضا زقاق آخر يقيم به للثائون أي بائعوا الملابس المستعملة أو سوق البالي ، حيث تباع ألبسة كل من الرجال والنساء سواء من الحرير أو القماش المطرز. وزقاق القماش البالي وأغطية وزرابي فخمة من جميع الأنواع ، وهناك دكاكين تباع فيها ضفائر وأزرار. (٤)

ووجدت أيضا أسواق في مدينة فاس أخرى وقد اتخذت شكلاً مربعاً فعمرت باسم التربيعة وهي مكان صغير محاط بدكاكين اتخذ هيئة مربع حوائيته لم تكن مغطاة ، وهي لم تكن منتشرة بكثرة داخل فاس ، وقد وجدت التربيعة بالقرب من سوق العطارين ، فكان هناك تربيعة القرافين وأسواق الحايك . (٥)

وعرفت مدينة فاس الأسواق اليومية كما عرفت الأسواق الأسبوعية ، ومن الأسواق اليومية سوق باعة الفواكه و يشغلون خمسين دكاناً يبيعون فيها الثمار قرب فندق الشماعين وسوق

(١) بلنسية : تقع في شرق الأندلس ، في قاعدة من قواعد الأندلس وبينها وبين البحر ثلاثة أميال وكثيرة التجارات وبها أسواق واقلاع وأسعارها راحية وكثيرة الفواكه والثمار . للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ٩٧ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٢٩ ، الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٤٦ ، مارمول : مصدر سابق ، ص ١٤٨، ١٤٩ .

(٣) الوزان : مصدر سابق ، ص ١٩٢ ، مارمول : مصدر سابق ج ٢ ، ص ١٥٥

(٤) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٤٣ . مارمول : مصدر سابق ، ص ١٥٠ .

(٥) عبد الوهاب النيبش : توزيع المرافق الاقتصادية ، ص ٤٣ .

الفواكه الطرية حيث يباع الرمان والعنب في فندق رحبة الزبيب ، وباعة التين وكان لهم عشرة دكاكين . وجدت أيضا أسواق للفواكه الجافة ، وأسواق الخضر يباع فيه الكرنب ونوع من الفلفت وسائر الخضر ويضم السوق أربعين دكاناً^(١)

ودرب الخضار أو السويقة تقع بالقرب من جامع الأندلس ، وهناك باعة للزهور ولهم حوالي عشرين دكاناً.^(٢) ووجد باعة الحليب بأسواق مدينة فاس وهم يشغلون سبعة أو ثمانية دكاكين في سوق الفحامين المختص ببيع الحمام ، واشتهرت المكتبات التي كانت تشغل ثلاثين دكاناً بأسواق فاس.^(٣)

وانتشرت دور الصباغين والديباغين على جانبي النهر من نقطة دخوله للمدينة وحتى نهايته وذلك لاحتياجهم إلى المياه ، وحوانيت الخناقين والقصابين والسفاحين ، والمواضع المعدة لطبخ الغزل والفوالين والتي وجدت بكثرة بأسواق مدينة فاس ودكاكين لصانعي الإبر والمشط والخراطون . وبالقرب منها زقاق صغير تبع فيه الخيام وسرايق البادية ، ودكاكين لبيع صوف جلود لضان والماعز والبقر وجلودها وضمت مدينة فاس أسواقاً خاصة بالدواب والنعام ، مثل سوق البقر .^(٤)

ويوجد بفاس سوق للملح وسوق خشب البناء وسوق الفحم الخشبي . وبائعي الصابون السائل وباعة الدقيق ، وسوق آخر يباع فيه خيط الكتان وبعد أن يحلج أليافه ، وهذا السوق يقوم في بناء كبير تحيط به أربعة أروقة في أحدها باعة نسيج الكتان ، وكانت دكاكين الصباغين تقع يمين الخارج من زقة المدرسة المرينية (خارج القصر).^(٥)

ووجدت بالساحة دكاكين لبيع الشعرية ، وأخرى تصنع فيها كرات صغيرة من اللحم المفروم المقلي في الزيت مع كثير من التوابل ، وسوق الدخان حيث تباع الفطائر المغلية في

(١) الوزان: مصدر سابق : ص ٢٣٩ .

Burckhardt (t); Fez City Of Islam ,p.67.

(٢) الوزان :مصدر سابق ، ص٢٦٢

(٣) الوزان: مصدر سابق ، ص ٢٣٩ ، ٢٦٢ .

Burckhardt (t); Fez City Of Islam ,p, 68.

(٤) الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٤٤ ، محمد عيسى : مرجع سابق ، ص ٢٩٣ .

(٥) الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٣٨ ، ابن عشيون : مصدر سابق . ص ٣٤٦ ، روجيه لوطورنو : فاس

قبل الحماية ص ٥٥٧ - ٥٥٨ ، الممنوني : رفات ص ٤٤ .

الزيت ويبيعون منها يومياً كمية كبيرة . ودكاكين للشوائين اللحم فكانوا يطبخون لحم الغزال واللحوم الأخرى ، وسوق السمك وكان يقام بغندق يشرف على الساحة الصغيرة للجوطية ، وبيع به الشابل والبيوري والسمك المطبوخ وحلويات وقطائر بالسمن ، والزيت والسمن والعسل والجبن والزيتون فوجدت حوانيت الزيائين فكان الزيت يباع بالتقسيط والشمع بالجملة والتقسيط . (١)

وقد اختصت الأسواق الخاصة بمواد الاستهلاك العادي ، أو المواد التي يعتمد عليها السكان في حياتهم اليومية . ووجدت بفاس الأسواق الأسبوعية والتي أطلق عليها فيما بعد سوق الخميس التي كانت تتعقد خارج أسوار مدينة فاس على مقربة من الباب الغربي . (٢)

كانت هذه الأسواق الأسبوعية تقوم بدور رئيسي في اقتصاد البلاد ، ففي واقع الأمر كانت الملتقى العادي بين سكان المدينة وسكان الريف ، فكان هؤلاء الريفيون يأتون إلى السوق بحيواناتهم لبيعها من الأبقار والأغنام والماعز والبغال والحمير والخيول والطيور ، بالإضافة إلى ما ينتجونه من مصنوعات بسيطة كأنية الفخار أو القماش المزروق بأشكال بسيطة . (٣)

ولم يكن أهل الريف يقابلون في سوق الخميس المشترين فحسب بل كانوا يلتقون تجاراً من فاس يحصلون منهم على الأحذية والقماش والأدوات الزراعية دون ما حاجة إلى دخول المدينة التي كانوا يجدونها غريبة عليهم ، والتي كانوا يخشون على أنفسهم من الضياع فيها . (٤)

ولم يكن سوق الخميس الذي يتعقد خارج أسوار مدينة فاس حدثاً اقتصادياً فقط ، بل كان السوق يزود مرتاديه بكافة احتياجاتهم ، وكانت سبباً لتكوين الرأي العام وصياغته بين سكان الريف .

(١) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٤١، ابن عيثون الشراط : مصدر سابق ص ٧٣ ، مارمول : مصدر سابق ، ص ١٥٠ - ١٥٢ ، ١٥٤ . BUrckhardt (t): Fez, p.68 .

(٢) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٥٥ - ٥٦ . عز الدين موسى: مرجع سابق، ص ٢٩٣ .

(٣) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٥٥ - ٥٦ . عز الدين موسى : مرجع سابق ، ص ٢٩٣ ، نجاة باشا : مرجع سابق ، ص ٥٤ .

(٤) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٥٥ - ٥٦ .

وبذلك نقول أن مدينة فاس كانت نشيطة ثابتة متزنة ، مزودة بكل ما يرغب فيه نزلاء السوق من كافة الحاجات . ومن الأسواق الأسبوعية أيضا سوق الأحد حيث يذكر البكري إلى وجود باب سوق الأحد بمدينة فاس . (١)

وكان التجار بسوق الخميس أو سوق الأحد ينصب كل واحدا منهم خيمته وهم غالبا من كبار التجار في جماعات صغيرة ويأتون بالجزار لنذبح خروف يقتسمون لحمه ، مما يجعل يوم السوق عند التجار بمثابة يوم عمل ونزهة في نفس الوقت. (٢) ومن الأسواق الأسبوعية في مدينة فاس وجد سوق الطيور الذي يقام يوم الجمعة بعد الزوال في حدود الساعة الثالثة خارج باب الجيسة . (٣) إذا كانت هناك أسواق أسبوعية كسوق الخميس وسوق الأحد فقد كان هناك سوق يعقد ثلاثة أيام من الأسبوع ، وكان سوق الخشب والبناء والذي يوجد بسوق زريبة الخشب بالقرب من باب عجيسة يقام أيام الاثنين ومن ثم الأربعاء والجمعة . (٤)

ثانياً: مواقعها:

ارتكز النشاط التجاري في دولة بني مرين في الأسواق التي أقيمت في المدن، إذ جرت العادة في المغرب أن تختص كل صنعة بسوق، ولكل سوق بضاعة معينة، وغالباً ما تكون الأسواق حول المساجد على نسبة اتصالها بهذه المساجد وظيفياً. (٥)

وبالقرب من المسجد ظهرت الأسواق التي كان لها ارتباط باحتياجات المسجد فمن الأسواق التي ظهرت بالقرب من المساجد سوق الشماعين لوجوب الاستضاءة بالشموع في الصلوات الليلية. وسوق العطارين والطيبين (باعة البخور) لوجوب التعطر والتبخير بالجوامع .

(١) البكري : مصدر سابق ، ص ١٤١ ، إبراهيم حركات : مرجع سابق، ص ١٤٠.

(٢) يونيسكو: فاس ، منشورات وزارة الأبناء والسياحة ، الرباط ، المغرب ، اليونسكو ، ١٩٥٨م/١٣٧٧، ص ٤١

(٣) يونيسكو : مرجع سابق ، ص ٤٣.

(٤) محمد زروق : دراسات في تاريخ المغرب ص ٧ .

(٥) عبد الوهاب الدببشي : مرجع سابق ، ص ٣٧ .

وسوق القبايبيبة التي ينتعلها المصلون أثناء الوضوء ، وسوق الكتبيين لأن المساجد كانت مدارس ومعاهد للثقافة والعلم كما كان بمسجد القرويين ، وإلى جانب هذه الأسواق كان هناك حوانيت العدول والمأذون لأن العقود كانت تتم ويشهد عليها بالمساجد. (١)

يظهر الارتباط القوي بين المساجد والأسواق التجارية بمدينة فاس من خلال أبواب المساجد التي سميت بأسماء هذه الأسواق النشيطة ، فمسجد القرويين* له أبواب تحمل أسماء لها دلالات تجارية فباب الكتبيين من أبواب هذا المسجد حيث كان باعة الورق والكتب . كما أطلق على أحد أبواب المسجد باب الشماعين لقربه من سوق الشماعين فتتعاقب الأسواق سوق بعد أخرى إلى أن يكون آخرها إلى جوار أسوار المدينة ، ولقرب الأسواق من الجامع يؤمر الباعة بكس رحاب الجامع صبيحة يوم الجمعة ، ولا يشغلوا رحابه بالسلع حتى تتقضي الصلاة ، فقد نشأت هذه الأسواق من باب القنطرة إلى باب عيون صنهاجة . (٢)

فكانت الأسواق مركزا للتجمعات البشرية ، ومقصد الزائرين لها ، فكما وجدت الأسواق في عدوة القرويين حول جامع القرويين وجدت أيضاً في عدوة الأندلسيين وحول جامع الأندلس* حيث سوق الصفاح ، وسوق الجزارين وحومة الكغادين وحومة سريوة .

(١) عبد الوهاب الديبشي : مرجع سابق ، ص ٣٧ .

*مسجد القرويين الجامع والجامعة بمدينة فاس حيث يعتبر جامع للدين وجامعة للتعليم فهو مدرسة للثقافة تم بناءه في عهد إدريس الثاني وكان ملكا لرجل من قبيلة هواره وورثه عن أبيه ، وكان يطلق عليه جامع الشرف عام ٢٤٥هـ / ٨٥٩م ، وتم توسعته على يد فاطمة بنت محمد الفهري وذلك عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ، وله العديد من الأبواب فيذكر أنهم واحد وثلاثون باباً ، مثل باب الموتقين وباب الشماعين ، وباب الوراقين وباب الأولياء الغربي. للمزيد الوزان ص ٢٢٠ ، عبد الهادي التازي : جامع القرويين ، ص ٩٣ . محمد الأمين محمد: المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص ٦٥ ، رينية ماهية :رسالة القرويين ، دعوة الحق السنة الرابعة ، العدد الأول ، ١٩٦١ م ، ص ٥٧ ، روم لاندو: جامعة القرويين بفاس ، تعريب محمد الخطيب ، دعوة الحق ، السنة الثانية ، العدد الأول ، سنة ١٩٥٨م/١٣٧٨هـ ، ص ٦٦ ، ٢٧ ، محمد أبو الأجفان : للوقف على المسجد في المغرب والأندلس وأثره في التنمية والتوزيع ، تونس ، ص ٣٢٦ .

(٢) مجهول : مخطوطة في خطط مدينة فاس ، ص ٧٤ ، ابن عبدون : رسالة في الحسبة ، ص ٢٣ ، أبي بروفنسال : نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى - طبع برطرن - شالون ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م ، ص ٥٠ . محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ٢٩٣ .

*جامع الأندلس : بعده الأندلسيين وله العديد من الأبواب ومنها باب فتوح في الجنوب الشرقي . وباب سيدي بوجيدة في الشمال ، وباب القيلة المعروف بالفوارة . للمزيد انظر مخطوطة رسالة مدينة فاس، ص ٣٢ .

ويرتبط الجامع بسويقات بواسطة بعض الفنادق من جهة باب الفتوح ، فجوار جامع الأندلس وجد سوق للحبوب (رحبة الزرع) وسوق للخضر ، وسوق الصفاح . وهناك بجواره وجدت معامل للنساجين والشراطين والحدادين .^(١)

وسوق آخر لصنع ما يزين به البرانس من بلوطات حريرية وغيرها ، وحى الملابس من القماش الأوربي وينادى عليها الدالون كل مساء وهى ملابس مستعملة.^(٢) بالإضافة إلى أسواق مدينة فاس القديمة نشأت أسواق أخرى في فاس الجديد التى بناها السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى (٦٨٥-٦٨٥ هـ / ١٢٥٨-١٢٨٦ م) الذى قام بإنشاء أسواق بالمدينة البيضاء سنة ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ . ووجدت أسواق عديدة انتشرت فى الأزقة الضيقة وكانت تغطى بالخيزران الواقى من الشمس وأحيانا بالكروم حيث يتجول الفرد بها وكأنه داخل بناية واحدة .^(٣)

وقام السلطان أبو الحسن المرينى (٧٣١-٧٥٢ هـ / ١٣٣١-١٣٥١ م) ببناء القنطرة الكبرى بمدينة فاس عام (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) والتى عليها سوق باب السلسلة وذلك السوق الذى وجدت على جانبيها الحوانيت .^(٤)

وقد انتشرت أسواق الصاغة فى فاس الجديد وكانت سوق الصاغة تضم عدد كبير من كاكين الصائغين ، وعمل بها عدد كبير من اليهود ، وكانت تحمل من فاس الجديد إلى المدينة القديمة لبيعها في سوق معد لهم بالقرب من سوق العطارين ، فوجدت هناك سوقة الذهبان المجاورة للصاغة.^(٥) وبمدينة فاس حي الكفاطين ، وهو حي اشتهر سكانه بصناعة الورق .^(٦)

ويوجد رواق كبير ذي أربعة أبواب تباع فيها المشافة ، والخيط والقماش ، يقام فيها يومياً سوق يستمر من الزوال إلى الساعة الثانية يزدهم فيها جمهور من النساء اللاتي يأتين لبيع أو

(١) الكتاني: سلوة الأنفاس جـ ٢ ، ص ٧ ، ٢١ .

(٢) الوزان: مصدر سابق، ص ٢٤١ .

Burkhardt : fez city of islama, p, 67

(٣) عبد القادر زمامه: مرجع سابق ، ص ٩١ .

(٤) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٣٩٧ ، ٤١٤

(٥) الوزان: مصدر سابق ، ص ٢٤٣ ، ٢٥٩ .

(٦) الوزان: مصدر سابق، ص ٢٨٣ ، عبد القادر زمامه : مرجع سابق ، ص ٩١ ، ٩٢ .

شراء القماش وكانت ساحات الفنادق أماكن لبيع السلع فكانت الساحة مليئة بالعطور والفواكه والحبوب.^(١)

كما وجدت دكاكين صانعو الإبر على جانبي القصبة حيث كان يوجد رواقان جميلان يمتد أحدهما إلى أحد أبواب المدينة والآخر إلى قصر كبير ويضم أكثر من أربعين دكاناً لصانعي الإبر، وخمسة عشر أخرى لصنع المشط والخراطون.^(٢)

وتفقد بعض المصادر في تحديد أسواق المواد الدهنية والتي تعرف باسم قاعات الزيت ، وكانت بفاس قاعتان أحدهما تتفتح على زنقة موازية لسوق العطارين (درب القاعة) في حي الصاغة ، والآخرى بين فاس الجديد والملاح في ضواحي باب السمارين .^(٣)

ويقع سوق الفحم الخشبي في ثلاثة أماكن ، في فندق مجاور لسوق الصغارين يدعى فندق الفخار، وفي فندق بأعلى مرتفع الصفاح بحي الكدّان يدعى فندق الغاسول، وفندق بحي سيدي بونافع بدرب الدروج ، وكان يمد فاس الجديد والملاح.^(٤)

ويمكن تحديد موقع بعض أسواق مدينة فاس منها الطالعة وهي سوقان ، والشرابيليين سوقان تقع في قلب الحي ، وفي زقاق الرمان يوجد ثلاثة أسواق تقع شمال درب الكبير .

وفي فندق اليهودي ثلاثة أسواق اثنان على الطريق الرئيسي للمواصلات الرابط بين باب عجيسة وسوق العشابين والثالث نحو وادي زرهون . وفي البلدة ثلاثة أسواق تقع بالشارع الدائري ، والصاغة تقع في حارة القيس . وللقطّانين سوقان في طرفي الحي.^(٥)

Burkhardt;op,p.69 .

^(١)عبد القادر زمامه : معالم من فاس القديمة ، ص ٨٩ .

^(٢)مارمول : مصدر سابق ، ص ١٥٢ .

^(٣)مارمول: مصدر سابق ، ص ١٥٣ ، روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ٥٥٦ .

^(٤)روجيله لوطورنو : مرجع سابق ، ص ٥٥٨ ، ٥٦١ .

^(٥)روجيله لوطورنو : مرجع سابق ، ص ٥٦٨ .

أما سوق الجزارين فيقع بين زقاق العطارين وعين الحالبين. وهناك سوق عين علون وهو سوق القصر الموجود بالطالعة اللمطة . وأسواق من باب افريقية إلى عين أصليتين. وقد احصيت الحوانيت بأسواق مدينة فاس بتسعة آلاف حانوت واثنين وثمانين حانوتا وقيساريتان .^(١)

وارتبطت الأسواق بمدينة فاس أيضا بالنهر حيث وجد على ضفاف النهر عدد كبير من دكاكين النباغين وهم يقومون بنبأغة الجلود ، والصباغين الذين يقومون بصباغة الجلود والحريير وتبيض الخيط فالنهر كان يمدهم بالمياه اللازمة لذلك . وانتشرت بمدينة فاس أسواقا لمختلف أنواع الحرف فكان لتجار الطيور التي تؤكل سوق الطيريين. وسط سوق الفحاميين ولهم سبعة دكاكين أو ثمانية يباع فيها الحمام^(٢)

ثالثا : إدارة الأسواق

مع ازدهار النشاط التجاري بأسواق مدينة فاس ، اهتم الحكام المرينيون بالأسواق وأدارتها إدارة قوية حتى لا تعم الفوضى والاضطرابات بالأسواق ، وكان ذلك عن طريق الاهتمام بالأسواق وفرض سبل الأمن بالمدينة فعملوا على تعيين المحتسب (صاحب السوق) الذي يكون عين الحكام بالأسواق.

وقد عرفت الحسبة كوظيفة من الوظائف الدينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) * فيجب أن يكون المحتسب فقيها عارفا بأحكام الشريعة.^(٣)

(١)الجزنائي:مصدر سابق، ص ٤٤، الوزان: مصدر سابق، ص ١٩٢ ، ٢١٤، مارمول: مصدر سابق، ص ١٥٥.

(٢) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٦، عبد الوهاب للنبيشي : مرجع سابق ، ص ٤٢ .

* سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٣)ابن الأخرة: معالم القرية في أحكام الحسبة ، تحقيق محمد شعبان وصديق المطيعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ ، ص ٢٨ عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٦ ، ص ٥٦ نجاة باشا : مرجع سابق ، ص ٥٨ . نقولا زيادة : الحسبة والمحتسب في الإسلام ، المطبعة الكاثوليكية ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٦٣ ص ٤٨ . الحسبة: معناها اللغوي من الاحتساب أي من حسن التدبير في الأمر ، أما معناها الشرعي ان يتطوع احد المسلمين بالتدخل في حياة الآخرين إذا فعلوا جرما في حق الله تعالى أو في حق البشر وسلطة المحتسب أو القاضي سلطة ثانوية . للمزيد انظر ، احمد صبحي منصور الحسبة دراسة أصولية تاريخية ، الطبعة الأولى ، مركز المحروسة ، ١٩٩٥ ، ص ٧ ، ٩ .

فكان لوجود المحتسب دور في حماية المجتمع من غش بعض الباعة والصناع ، ومن أشهر من عمل بمنصب المحتسب بمدينة فاس في عهد السلطان أبي يعقوب (٦٥٦-٦٨٥هـ — ١٢٥٨-١٢٨٦م) عبد العزيز الملوzy المتوفى عام ٦٩٧هـ / ١٢٩٨ م وهو أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملوzy ، يعرف بعزوزوينتي إلى قبيلة ملوزة الزناتية من أهل مكناسة. كان شاعرا منحت الطبقة تعلق بخدمة ملوك بني مرين ، ووقف أشعاره عليهم وعلى حروبهم ، وله أرجوزة في بني مرين قام بكتابتها في عام (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥ م) ، ورفعها للسلطان أبي يعقوب واطلق عليها نظم السلوك.^(١)

كما تولى منصب المحتسب غالب بن علي بن محمد الشقوري الغرناطي نزيل فاس المتوفى عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م وكان محتسبا في عهد السلطان أبي الحسن المريني (٧٣١-٧٥٢هـ — ١٣٣١-١٣٥١م) ما كان علي بن أحمد الحسيني السبتي الشهير بالكفاد عام ٨٣٩هـ / ١٤٥٣م كان محتسبا في مدينة فاس وكان الناظر على أحباسها في عهد السلطان عبدالحق بن أبي سعيد (٨٢٣-٨٦٩هـ / ١٤٢٠-١٤٦٥م) آخر سلاطين بني مرين .^(٢)

لعب المحتسب دورا كبيرا في الأسواق، حيث قام بتنظيم أنشطة الحرف وطرق أشغال واستغلال الشارع ، وعمل على مراقبة الموازين والمكاييل والحد من حالات الغش . واعتني المرينيون بهذا الموضوع فقاموا بتعديلات في الموازين والمكاييل ، من الصاع والمد والقنطار والرطل والأوقية ، والوسق (الصفحة) منذ عهد أبي يوسف يعقوب (٦٥٦-٦٨٥هـ — ١٢٥٨-١٢٨٦ م) .^(٣)

وقد اهتم بنو مرين بالموازين والمكاييل فقام ، السلطان أبو يعقوب يوسف بتعديل الصيعان المغربية على المد النبوي ، فقد أمر المحتسب الملوzy عام (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) بتنفيذ هذا التعديل . وظل يعمل بهذا التعديل حتى عام (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥ م) ففي هذا العام أعاد الوزير يحيى

^(١) عبد العزيز الملوzy: نظم السلوك ، ص ٢ ، محمد المنوني : خطة الحسبة في المغرب ، أبحاث مختارة ، منشورات وزارة الشؤون الثقافية ، ص ١٨٩ . نقولا زيادة : مرجع سابق ، ص ٣٨ .

^(٢) عبد الرحمن الفاسي : خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين ، المغرب ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ، ١٦٨٤ ، ص ٨٩ ، المنوني : ورقات ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

^(٣) ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٤٩ - محمد المنوني : ورقات ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ ، محمد فتحة : النوازل الفقهية ، ص ٦٨ . أحمد صبحي منصور : مرجع سابق ، ص ٢١ .

ابن زيان بن عمر الوطاسي تعديل الصيعان المغربية على أيدي أبي الحسن على بن الكفاد المحتسب في ذلك الوقت . ويتبين لنا أن المحتسب كان يقوم بتعديل الموازين بأمر السلطان المريني .^(١)

واستمر هذا الاهتمام بعمل المحتسب على مراقبة البيع بالميزان داخل الأسواق حيث وجدت وسائل للعش في الميزان. ومن وسائل العش في الميزان في تلك الفترة ما قام به بعض اليهود بوضع حبيبات من الشعير يعد بلها بالماء في أسفل الكفة ، فعمل المحتسب على مراقبتهم بصفة مستمرة.^(٢)

وللتعدد أعمال المحتسب فقد كان له أعوانه الذين يقومون بالعمل معه في مراقبة وإدارة الأسواق ، ويقوم بالأشراف عليهم حتى لا يقوموا بالتقصير في عملهم أو أخذ الرشوة من التجار بالأسواق ويقوم على أهل الأسواق عدد من العريفين وهم أمناء عارفين بمهماتهم مشهورين بالثقة والنصيحة ، كل هذا ساعد على إدارة أسواق فاس إدارة صحيحة عملت على ازدهارها ووثرائها.^(٣) ويقوم المحتسب بتعين عريفا على الخبازين من أهل صناعتهم ويأمره أن يكتب له جريدة بأسمائهم وعدتهم ويطلبوا برسومهم في كل يوم ، ويأمرهم بتنظيف الأوعية بالماء وتغطيتها .^(٤)

ويعمل للمحتسب على مراقبة الأسواق حيث يقوم بمراقبة الصاغة فكان اليهود مسؤولين عن صياغة الذهب ،^(٥) فقام بمراقبتهم حتى لا يخشوا في الميزان ولا يخلط الذهب بالنحاس .

(١) المنوني : ورقات ، ص ١٣٨ .

(٢) عبد الرحمن الفاسي : مرجع سابق ، ص ٨٩ ، المنوني : ورقات ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٣) ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٢٥ .

(٤) ابن الأخوة : مصدر سابق ، ص ٢٧-٣٠ ، محمد المنوني : مرجع سابق ، ص ١٨٤ . نقولا زيادة : مرجع سابق ، ص ٣٧ .

العريف : لفظ يدل على اتحاد الحرفيين في العصور الوسطى ، وهو يقوم بالأشراف على أصحاب الحرف الواحدة ، وهو يختار من جانب المحتسب أو القاضي وعرف بالمغرب الإسلامي منذ القرن السادس الهجري ، البرزلي : مصدر سابق ، ج-٢ ، ص ١ ، ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ١٩٤ ، عبد الرحمن بشير : مرجع سابق ، ص ٩٣ .

Goitein : Amerterranean Society , Lettes of Medieval: KeWish Trades , Princeton Univerity, Press1975.P84.

(٥) ابن بسام : مصدر سابق ، ص ١٧-٢٧ .

وكانت هناك بالأسواق أعمال لا تتم إلا تحت إشراف ومراقبة المحتسب كالنفاقين الذين يصنعون النفاق بقرّب دكه المحتسب ليراعهم ، والأساكفة والبياعين والجزارين ، والحلوانيين ، والشوايين والسمانين وقلايين السمك . (١)

ويمتد عمل المحتسب الى الإشراف على الأمين وهو المشرف على صناعة الوزانين . فالموازين الخاصة بكل سلعة لها مادة معينة تصنع منها ، وأشكال مختلفة . فالفاكهة تكون مقدحة ، مرفوعة الأجانب ، وتكون للموازين مصنوعة من الحديد ولا يضاف لها الرصاص ، فالصنجات من الأرباع المصنوعة من الحديد يفضل أن تصنع من حجر واحد . فالأرطال مرتبطة بالفواكه والخضر وعلى البائع أن يمسح الكفة في كل وقت وعند كل وزن ، ولا يتركها حتى تتلطح وتتقل فيغشون بها . (٢)

كما يقوم المحتسب بمراقبة الأسعار ومنع الزيادة عليها ومن خالف ذلك عوقب بما يراه من الأدب أو الإخراج من السوق ، ولتحقيق ذلك يقوم المحتسب بتسعير الخضر والفاكهة في الأسواق ، ويفرض على أصحابها ذلك حتى لا يشططون على الناس في الأرباح . (٣) وتحديد الأسعار على الجزارين والبقالين . ولحماية المستهلك يأمر الحناطين ألا يبيعوا القمح والشعير والفول والعدس وجميع القطاني حتى يغربلوها . ويطلب من أصحاب الحوانيت عدم رش المياه حتى لاتعرقل حركة المارة وكسر الدواب ، ويأمرهم بكنس الحوانيت والأسواق . (٤)

(١) محمد المنولى : المرجع السابق ، ص ١٨٤ . تقولاً زيادة : المرجع السابق ، ٧٧ .

(٢) ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، سنة ١٩٥٥ ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ابن عبد الرعوف : رسالة في الحسبة والمحتسب ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، سنة ١٩٥٥ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) الثيرازي : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشر السيد الباز العربي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٤٦ م - ١٣٦٥ هـ ، ص ١٢ ، ٧٤ ، ابن الأخوة : مصدر سابق ، ص ٢٧ ، والنشريس : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٨٣-٨٥ .

(٤) ابن عمر : أحكام السوق ، تحقيق محمود مكي ، ضمن مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الرابع ، العدد ٢-١ ، سنة ١٩٥٦ م / ١٣٧٥ هـ ، ص ١٠٩ ، ١٠٦ ، ١٢٧ .

وعمل المحتسب على تنظيم السوق اذ جعل كل سوق يختص بصناعة ، ومن كانت صنعته تحتاج إلى وقود نار كالخبازين ، يبعد حوانيتهم عن البازارين والعطارين لعدم المجاعة بينهم وحصول الأضرار. (١)

وتمتد مهام المحتسب في إدارة الأسواق إلى مراقبة الخبازين حتى لا ينقصوا الوزن ولا يقوموا بخلط القمح الجيد بالرديء . فيأمرهم بصنع طابعا ينقش فيه اسمه ويطبع به على خبزه ليميز خبز كل واحد على حدة ، كما كان يقوم بمراقبة بائعي اللبن حتى لا يخلطوه بالماء . (٢)

و يقوم المحتسب بمراقبة دور السكة والعمل على تنظيمها وإدارتها وإن ظهرت حالات غش في الدراهم والنقود يبحث عن أحدثها ، فإذا ظفر به أناله أشد العقوبة ويطاف به بالأسواق لينكله ويشرد به من خلفه . (٣)

وبجانب ذلك كان للمحتسب دور في مراقبة الناس ومنعهم من الجلوس في الطرقات وطرح الأزبال والحييف ، ومنع حمالين الحطب بالمشي في الطرقات الضيقة ، والنزول بها إلى الرحاب الواسعة. كما كان يمنع الناس من الدخول الى القيسارية والأسواق على ظهور النواب ، وتوقيفها في الطرقات الضيقة . بالإضافة إلى ذلك منع الصباغين من نشر الثياب المصبوغة المبلولة على الطرق حتى لا تؤذي المارة . (٤)

وبجانب ذلك إذا رأى أحداً يحتكر صنفاً ألزمه بيمه حتى لا يرتفع سعره . وكانت هناك عقوبات على من يغش ومن غش إحدى الباعة أو الصانع يعاقب أول مرة بالتوبيخ والرجز وفي المرة الثانية بالسجن والإنداز، وفي الثالثة بالضرب والتشهير. (٥)

(١) ابن بسام: مصدر سابق ، ص ١٧ .

(٢) الونشريسي : مصدر سابق جـ٦ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ .

(٣) الونشريسي: مصدر سابق ، جـ٦ ، ص ٤٠٧ .

(٤) ابن عبد الرؤوف : مصدر سابق ، ص ١١٠-١١١ . الجرسيفي: مصدر سابق ، ص ١٢٢ - ١٢٥ . ابن عيرون : مصدر سابق ، ص ١١١ ابن الأخوة ، مصدر سابق ، ص ٢٥ .

(٥) الجرسيفي : رسالة في الحسبة والمحتسب ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية ، سنة ١٩٥٥ ص ١٢٠ ، محمد المنوني : خطة الحسبة في المغرب ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

وإذا أصر البائع على إجرامه تابعه بالتكيل وجعل أهم أموره مراقبته حتى يرجع عن سوء فعله أو يرتحل عن سوق المسلمين. كما كانت عقوبات المحتسب في أسواق الصيارفة شديدة، فإذا عثر على من يربى أو فعل في الصرف مالا يجوز في الشريعة طرد من السوق.^(١)

هكذا قام المحتسب بتنظيم العمل في أسواق مدينة فاس ، واستطاع بقدر الإمكان هو وأعوانه من مراقبة حركة البيع والشراء ومنع الغش بفرض العقوبات المناسبة على المخالفين . وبهذا العمل نجح المحتسب في فرض الأمن والاستقرار في أسواق مدينة فاس ، وإذا كان للمحتسب الدور الأهم في نشاط الحركة التجارية في أسواق مدينة فاس فإن هذا الدور أيضا امتد إلى العاملين في هذه الأسواق .

رابعاً: العاملون في الأسواق

أسهمت عناصر عديدة من العاملين في أسواق مدينة فاس في رواج أسواقها ، فقامت هذه العناصر بالعمل داخل أسواق فاس ، وكان لها دور فعال بهذه الأسواق حيث كان بعضهم تجار أو وسطاء في العمليات التجارية ، والبعض الآخر كان وجوده ضروري في تلك الأسواق كما سنعرض في مدينة فاس الأبرز بين نشاط العناصر العامة في تلك الأسواق ، وقد انقسم التجار إلى قسمين بعضهم كان يعمل في تجارة الجملة والبعض الآخر في تجارة التجزئة.

١- تجار الجملة

كان هؤلاء التجار يتنقلون بسلعهم بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك في الحواضر الكبرى والمواني والمناطق النائية . فتجار الجملة كانوا مهتمين بالتجارة الخارجية فكانوا على اتصال دائم مع التجار الأوربيين كالبنادقة والجنوبيين . كما كانوا عنصر فعال في أسواق فاس من خلال بيع السلع الاستهلاكية والمحلية لتجار التجزئة ، ومن خلال الثروة التي حققها التجار من تجارتهم قاموا بتمديد منازل رائعة بمدينة فاس.^(٢)

(١) محمد المنوني : خطة الحسبة في المغرب ، ص ١٨٤ ، ١٨٥- صبحي عبد المنعم : الحسبة في الإسلام بين النظرية والتطبيق ، دراسة مقارنة ، دار الصالحين ، الفيوم ، ط ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م ، ص ٤١ . إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ١٤٩ .

(٢) الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٤٠ ، روجيه لوطورنو : فاس عصر بني مرين ، ص ٥٠-١٥٩ .

٢- تجار التجزئة

كان لتجار التجزئة حوانيت صغيرة خاصة بهم في الأسواق وقد عمل عدد كبير من فئات المجتمع الفاسي في تجارة التجزئة كالفقهاء وطلبة الحضر لما تحققه من أرباح وقد اهتم بعض هؤلاء التجار ببيع المواد الثمينة كالأقمشة والحلي ، والبعض منهم يبيعون المصنوعات المعدة للاستهلاك اليومي وخاصة المواد الغذائية ، كالزيت والصابون والفواكه .^(١) وساعد السماسرة التجار في تحقيق أرباح كبيرة من خلال التجارة بمدينة فاس سواء تجار الجملة أو التجزئة .^(٢)

٣- أصحاب الحوانيت

ضمت مدينة فاس عدد كبير من الحوانيت التي وصل عددها تسعة آلاف واثنين وثمانين حانوتا ، ونجد أن هذا العدد مبالغ فيه ، فدور النساجين كانت خمسمائة وعشرين دارا ، والصباغين كان لهم مائة وخمسون دكانا لصباغة الغزل.^(٣)

واشتملت مدينة فاس أيضا على ثلاثة آلاف وأربعة وستين من الترابيع والأطرزة مائة دكانا للأقمشة الصوفية ، واثنى عشرة دارا لسبك الحديد والنحاس ، وأربعين دكانا للجزلارين ، وقد كثرت حوانيت النجارين .^(٤)

٤- الباعة الجائلين

كثر الباعة الجائلين بأسواق مدينة فاس وهم الباعة الذين ليس لهم حوانيت فيطوفون شوارع المدينة وأسواقها ، ويبيعون بأقل من أسعار الحوانيت والدور وذلك أدى إلى قيام المشتريين بالشراء منهم بدلا من البائع الذي بالحوانيت لفارق الأسعار بينهم.^(٥)

(١) ابن القطان: مصدر سابق ، ص ١٣٨ ، روجيه لوطورنو: فاس في عصر بني مرين ، ص ١٦٠ .

(٢) الونشريسي: المعيار جـ ٨ ، ص ٢٠٦ .

(٣) الوزان: مصدر سابق، ص ١٩٣، ١٩٢، مارمول: مصدر سابق ، ص ١٥٤، عبد العزيز العلوي : صناعة النسيج ، ص ٥٠ .

(٤) ابن أبي زرع :مصدر سابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، الوزان : مصدر سابق، ص ٢٣٤ ، ٢٤٤ .

(٥) الونشريسي : المعيار ، جـ ٥ ، ص ١٩٧ ، روجيه لوطورنو : فاس عصر بني مرين ، ص ٧٤ .

وكان لذلك أثر كبير في وقوع المشاكل بين أصحاب الحوانيت والباعة الجائلين ، فقام أصحاب الحوانيت بمنع الباعة الجائلين من بيع سلعهم بالأسواق فهم أضروا بسلعهم التي يبيعونها . وقد أجاز الشيخ أبو القاسم بن سراج منعهم لما في ذلك وقوع الظلم والغبن ويؤول إلى أكل أموال الناس بالباطل لأن من بخس في ثمن سلعته أكل من ماله ما بخس فيه بغير حق . (١)

٥- الصناعات

ومن العاملين بالأسواق الصناعات الذين كان عليهم العبء الأكبر في أسواق فاس حيث أنهم يقومون بإعداد الكثير من السلع التي تباع داخل أسواق مدينة فاس وخارجها . ففي عهد السلطنين أبي الحسن وأبي عنان كان بمدينة فاس نحو مئة وخمسين هيئة تعمل جنباً إلى جنب وتتلأء الأحياء بأصوات الآلات والأدوات التي تعمل بإيقاع من ضرب الجلد وحفيف القماش. (٢)

وانتشرت بمدينة فاس معاصر الزيت والحوانيت الخاصة بالأطعمة ، وصناعات الشموع والتي كان أكثر زبائنهم من أهل الريف . وازدهرت صناعة التفسير في مدينة فاس وأصبحت من مجرد كسوة الكتاب بالجلد إلى فن جميل من حيث الزخرفة والتزييق والتلوين والتذهيب . (٣)

مازلت الحرف في مدينة فاس محتفظة بشيء من معناها القديم ، فنجد صناعات المشاط (المشاطين) لهم زى معين فيرتدون جلابية سوداء وهي ملابس فضفاضة وعمامة بيضاء وبها لثام مغطى للوجه . (٤)

وانتشرت بفاس عدة طوائف من الصناعات منها طائفة صانعي الثياب وهي تضم عدد من الحرف التي تقوم بتحويل المواد الخام إلى ملابس قطنية وصوفية وكتانية. وتضم هذه الطائفة الحلاجون الذين يقومون بحلج القطن ومن يقوم بنسج المادة الخام. (٥)

(١) الوثريسي : المعيار ، ج ٥ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٢) روجيه لوطورنو : المرجع السابق ، ص ١٢٧ : ١٣٧ .

(٣) الأثيني : كتاب التفسير في صناعة التفسير ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلدان السابع والثامن ، ١٩٥٩-١٩٦٠ ، ص ١ . يونيسكو : مرجع سابق ، ص ٤٢ .

4- Burckhardt (T) Fez City of Islam, P, 80

(٥) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٩ ، الجزائى : مصدر سابق ، ص ٦٦ ، الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٤٩ ، ابن سعيد : مصدر سابق ، ص ١٤٠ ، مارمول : مصدر سابق ، ص ١٥٤ .

ومن طوائف الحرف أيضا صانعو الخبز وتضم هذه الطائفة عدد كبير يقومون بطحن الدقيق وإعداده للخبز، والخبازون الذين يقفون أمام الأفران المختلفة لخبزه. وعملت المرأة في صناعة الدقيق في منزلها بطحن الدقيق وإعداده للخبز ثم يأتي من يحمله إلى الأفران لخبزه . (١)

وتعددت طوائف الحرف منها طائفة صانعو الورق وطائفة صانعو الصابون. وشكل البنائون طائفة كبيرة ومن الصناعات حيث عمل عدد من سكان فاس بهذه الحرفة لبناء كافة عمائر هذه المدينة. (٢)

الصناعة كانت الأناس الأول في المدينة لكل الحرف من الحدادين والنجارين والخرازين والنساجين والصباغين والتي كثرت الدور الخاصة بها بمدينة فاس في العصر المريني .

٦- السمسار

يعد السمسار من العناصر الهامة داخل أسواق مدينة فاس إذ يقوم البائع بإعطائه بضاعته بقصد المزاوأة عليها إلى أن يرسو العطاء على أحد المشتريين . ويقوم السمسار بمشاورة صاحب البضاعة في البيع حتى يأذن له بالبيع . ويكون أجر السمسار من المشتري أو من البائع وذلك حسب الاتفاق الذي يتم بينهم . (٣)

يدور السمسار بالسلعة ويطوف بها على التجار وغيرهم وينادي من يزيد على السلعة. (٤)

لم يحظ السمسار بالاحترام من قبل بعض السكان ، فبعض هؤلاء السماسرة كان مصدر للشك من قبل عدد كبير من الباعة أو المشتريين بالأسواق بسبب بعض التصرفات ومنها أن

(١) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨، الجزائى: مصدر سابق ، ص ٤٤ ، التادلى: مصدر سابق ، ص ١٨١

(٢) ابن الأبار : التكملة ، ج ١ ، ص ١٥١ ، ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ ، ٦٤ .

(٣) الوئشريس : المعيار، ج ٥ ، ص ٣٨ ، ٢٢٠ ، ج ٦ ، ص ٣٠٥ ، ج ٨ ، ص ٣٦٣ ، عثمان المنصوري : مرجع سابق، ص ٢٠٥ .

(٤) أبي الحسن المعداني : كشف القناع عن تضمين الصناعات ، دراسة وتحقيق محمد أبي الألفان ، الدار التوسمية للنشر ، تونس ، ص ١٠٠ ، نجات باشا : مرجع سابق ، ص ٥٣ .

بعضهم كان يقوم ببيع البضاعة إلى مشتري آخر لأنه زاد في سعر البضاعة التي رست على مشتري آخر. (١)

وللمنادين من السماسرة بالأسواق مشاكل كثيرة ومنها قيام المنادى بالمزايدة على السلعة ، فيأتي رجل إلى السوق بسلعة فيدفعها إلى الدلال ينادى عليها في السوق والناس يزايدون عليها حتى تقف على رجل بعشرة مثاقيل مثلا ، فيريد صاحبها أن يبيعها ممن كانت بتسعة مثاقيل، وقد يكون الذي كانت عليه بتسعة مثاقيل قد ندم على الزيادة فيها ويقول قد زاد غيري على فلا حاجة لي بها فيتبين لهم أنهم مأجورون أي أن هناك من يزايد في السلعة بالاتفاق مع المنادى من السماسرة بغرض رفع سعر السلعة. (٢)

٧- الدلالون

الدلال يكون مؤتمن على البضاعة التي بيده والتي حصل عليها من البائع لبيعها ، وإذا ضاعت البضاعة التي مع الدلال فيكون غير ضامن لها ، وإذا ثبت تفريطه فيها فيعاقب على ذلك. (٣) هكذا يقوم الدلالون بالواسطة بين البائع والمشتري، وعددهم يتوقف على نوع السلعة للمباعة ومدى الحاجة إليها. (٤)

والدلال يعرف القادمين من التجار بموضع السلع في البلد ، ويعرف أرباب السلع بالتجار ، فالدلال يدل المشتري على البائع والبائع على المشتري فبذلك يقوم بإشهار البضائع للبيع معلنا أثمانها ومشرفا على عمليات المزايدة فيها ، فهو يربط الصلة بين التجار بالسوق وبين المشتريين الزبائن ، وهو نفسه يختص باقتناء بضاعة من البضائع التي كلف ببيعها. (٥)

ويوضح مارمول أن للدلالين زقاق يحملون السلعة من دكان إلى دكان ولا يسلمونها إلا للتاجر الذي أعطى فيها أعلى ثمن وعددهم سبعون دلالا. (٦)

(١) الونشريسي : المعيار ج ٥ ، ص ٣٨ .

(٢) الونشريسي : المعيار ج ٥ ، ص ١٩٧ . روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية ، ص ١٥٦ .

(٣) روجيه لوطورنو: مرجع سابق ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٤) التادلي : التشوف ، ص ٣٦٨ .

(٥) نجا باشا: مرجع سابق ، ص ٥٤ .

(٦) مارمول : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

كان الدلال يبحث عن البائع ليتأكد من قبوله بالسعر المعروض، فإذا رضي هذا تمت عملية البيع فأعطيت البضاعة إلى المشتري وكان السعر يدفع نقداً.^(١)

وكان الدلالون يحظون بحقوق لهم من قبل المحتسب ، فإذا باع السمسار البضاعة بالسعر الذي اتفق عليه مع صاحب السلعة جاء بمشتري لكن صاحب السلعة باع البائع بواسطة سمسار آخر بمثل الثمن الذي كان سيباع به السمسار الأول ، فتكون الأجرة مناصفة بين الاثنين. في الوقت نفسه فإن البائع لا يكون ملزم بدفع الأجرة إذا لم يبيع الدلال سلعته^(٢)

وتحدد كتب النوازل الكثير من القواعد المنظمة للعلاقة بين التجار والدلالين منها إذا اخذ الدلال السلعة من مالكها ونادي عليها ، ثم استردها منه هذا المالك وباعها فلا بد أن يقوم الأخير بدفع أجرة الدلال . أما إذا أعطى التاجر السلعة للدلال ليبيعها بسعر تم الاتفاق عليه بين مالك السلعة والدلال فزاد الدلال أكثر مما اتفق عليه بين الطرفين فالزيادة من حق مالك السلعة.^(٣)

وكان الدلالون يفضلون بيع الأقمشة والبضاعة الجلدية، فكانت المواد المعدة للبيع مقسمة إلى وحدات تختلف من مزاد إلى آخر. فكانت الأحذية تباع كل ثلاثة أو كل ستة أو كل اثني عشر زوجاً منها معاً، أما المواد الخام كل ستة أو اثني عشر باستثناء جلود الثيران التي كانت تباع بالواحد.^(٤)

وعمل الحكام المرينيون بأبصاء الأمناء على الصناعات من أهل الصناعة ، وقام السلطان أبو الحسن المريني بالتوصية على امرأة كانت سواقة تنادى على السلع بالدور فكتب لها بالتوصية عليها.^(٥)

وقد وقعت مشاكل للدلالين مع أصحاب الحوانيت في الأسواق الذين يقومون بمنع الدلالين من البيع أول النهار ووسطه. فقد وقعت مشكلة في بعض الأماكن بسوق البز لأن المشتري يقلب

(١) البرزلي : مصدر سابق جـ ١ ، ص ١٨ ، الوثريسي : المعيار ، جـ ٨ ، ص ٣١٧ ، المعداني : مصدر سابق ، ص ١٠٠ ، ١١١ .

(٢) الوثريسي : المعيار جـ ٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، جـ ٨ ، ص ٣٦٠ ، جـ ٩ ، ص ١٢٢ .

(٣) الوثريسي : المعيار ، جـ ٥ ، ص ٢٢٠ .

(٤) الوثريسي : المعيار جـ ١٢ ، ص ٦٣ ، البرزلي : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٤٣ .

(٥) ابن مرزوق : المسند الصحيح ، مصدر سابق ، ص ١٩٤

السلعة في حوانيتهم من أجل الشراء قاصدا ، ويرى هذا المشتري السلعة في المنداة أقل ثمنا من التي في الحوانيت وأرخص فيترك الشراء من الحوانيت وكان ذلك يوقع ضرر كبير على البائع في الحانوت لكونه قد يبيع سلعته ويريد أن يشتري بثمنها غيرها من السلع أو يأكل به . ومعظم التجار أصحاب الحوانيت يسكتون لهم إما حياء منهم أو موافقة لهم في فعلهم لحصول المنفعة للجميع أو انقاء شرهم . والجدير بالذكر إن المرأة قد عملت في مجال السمسة والدلالة بالأسواق حيث سئل الونشريسي عن دلالة باعت لرجل بالنسيئة ثم أن الرجل قبض لنفسه من الغرماء معظم الثمن وتبقى له منه بقية فطلب الدلالة بقبضتها.(١)

وكان عدد من النساء يقومن ببيع السلع في الدور مثل المغزل وقد تخرج المرأة لتباشر البيع وهي مكشوفة الوجه . (٢)

٨-الحمالون:

كان أكثر الحمالين من البربر وعددهم كان بفاس ثلاثمائة حمال ، وكانوا يهبطون إلى مدينة فاس من قبائل أواسط وادي ملوية . وقد وجدوا بمدينة فاس منذ إنشائها ، وكانوا موزعين بالأسواق في وسط المدينة قرب سوق السراجين ، ولهم زى موحد. ويقومون بنقل أية أشياء بالأسواق حتى إذا كانت ثقيلة جدا . ويستعملون الأكياس لحماية ثيابهم والحبال لضبط السلع ، وإذا لم يقدروا على حمل السلع على أكتافهم من نقلها يقوموا باستئجار بغل أو حمار لحملها. (٣)

وكان بعض الحمالين يقومون بتأجير دابة لحمل السلع عليها، فكان الأجير على الدابة يأخذ أجرة من صاحب الدابة والربح لصاحب الدابة. (٤)

ولنقسم الحمالون بالأسواق إلى حمالين الزرع من المزارع إلى الديار أو يبعه في الأسواق، وحمالين الزيت وكلهم كانوا من أهل توات ، وحمالين الحطب ، وحمالين الأطعمة فكانوا يحملون

(١) الونشريسي: المعيار ، ج٥ ، ص ١٩٧ .

(٢) الونشريسي : المعيار ، ج٦ ، ص ٢٣٨ .

(٣) ابن القاضي : مصدر سابق ، ص ٢١٩ ، روجيه لوطورنو : فاس تحضر بني مريم ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٤) الونشريسي : المعيار ج ٥ ، ص ٢٤٤ .

السلع من فاس إلى مراكش أو العكس وعرفوا بمراكش بالحمارين . وقد عمل عدد من اليهود كحمالين بأسواق مدينة فاس . (١)

كان الحمالون يراعون حركة السير داخل أسواق مدينة فاس ، فالطرق بمدينة فاس متعرجة لا تسمح بمرور وسائل مواصلات بها ، فعملوا كوسائل للمواصلات . وكان للحمالين صندوق يقومون بوضع أموالهم فيه ويقتسمون ما بداخله في نهاية الأسبوع . وإذا توفي أحد منهم وترك زوجة وأطفال تكفلوا بمصاريفهم إلى أن تتزوج الأرملة إذا شاعت ، والأطفال حتى يكبروا ويتعلموا مهنة تدر لهم موردا . وإذا تزوج أحد من الحمالين أو ولد له طفل دعا زملائه فيقدموا له الهدايا ، وكانوا يعفون من الضرائب . (٢)

وكان الحمالون وسائقو العجلات الذين يقومون بنقل البضائع أميين يفصل في نزاعاتهم ، وهم يعملون بترخيص من عامل المدينة . (٣)

٩ - السقاة

وهم الذين يحملون الماء للبيوت ، والمارة في الأماكن العامة وخاصة الأسواق ويكثرون التنقل في الأسواق والمزارات ، وحيث ينشر التجار بضائعهم وكانوا يحملون الماء على ظهورهم في قرب من جلد الماعز ويشرف عليهم المحتسب الذي يتأكد من أمانتهم ونظافتهم . (٤)

١٠ - حارسو الحوانيت

وبجانب السماسرة والدلالين والحمالين وجد أيضا حراس للحوانيت بأسواق مدينة فاس ، وكانوا يمارسون أعمالهم في الليل لحماية الحوانيت من السرقة ، وإذا ذهب شيء من الحوانيت فالحارس أجبر لحفظ ما يغاب عليه لاسيما الحوانيت التي فيها الطعام . (٥)

(١) ابن الأحمر بيوتات فاس ، ص ٢٤ ، الجرسيفي: مصدر سابق ، ص ١٢٢ ، أبي الحسن المعداني : مصدر سابق ، ص ١١٤ ، لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ٥٥٦ . مصطفى نشاط : إطلاقات على تاريخ المغرب ، ص ٦٧ .

(٢) الونشريسي : المعيار ، ج ٦ ، ص ١٩٧ ، روجيه لوطورنو : فاس عصر بني مرين ، ص ٧٤ .

(٣) مارمول : مصدر سابق ، ص ١٤٩ .

(٤) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٨٣ . إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ٢١٦ .

(٥) أبي الحسن المعداني : مصدر سابق ، ص ١١٥ .

كانت الشرطة تراقب أبواب المدينة وتعمل على تحصينها من المجهولين وحماية الحوانيت من السرقة. ^(١) ووجد أيضا البوابون وهم القائمون على أبواب المدينة وأسواقها، فيقومون بفتحها صباحا وغلقها مساء. ^(٢)

هكذا أسهم الغاملون في الأسواق في ازدهارها فقد كان لهم دور فعال في نشاط الأسواق الداخلية بمدينة فاس المرينية ، فقد أسهموا في رواج السلع التجارية بالمدينة كل ذلك أدى إلى زيادة المعاملات والعلاقات الاقتصادية.

خامساً : السلع التجارية :

تعددت السلع التي كانت تباع في أسواق مدينة فاس ومن أهم هذه السلع بعض المحاصيل الزراعية مثل الحبوب التي جعلت المغرب الأقصى في العصر المريني من أهم الدول المصدرة لهذه الحبوب في حوض البحر المتوسط ، كالقمح والشعير والفول والحمص والعدس والسمن والأرز. ^(٣)

بالإضافة إلى ذلك الخضروات التي كانت تباع ومنها الخيار والقثاء واللفت والبانجان والقرع والجزر واللوبيا والكرب والشمار والصعتر. ^(٤)

ومن الفاكهة التي كانت تباع في الأسواق ثمار التفاح الطرابلسي ، والعنب والرمان والسفرجل والكمثرى والمشمش والبرقوق ، والخوخ والقرصيا ، والجوز واللوز ، والأترج والليمون والبطيخ الأصفر والأخضر وسائر البقول والتين. ^(٥)

(١) روجيه لوطورنو : فاس عصر بني مرين ، ص ٨٠ ، ٨٧ .

(٢) التادلي : مصدر سابق ، ص ٣٠٦ ، ابن عذاري : مصدر سابق ، ص ٢٤ .

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ١٨١ - ١٨٤ . القلقشندي : مصدر سابق ، ص ١٥٤ ، العمري : مصدر سابق ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٣٥ ، ابن عازي : الروض الهتون ، مصدر سابق ، ص ٨ ، السبتي : إختصار الأخبار ، ص ٩٤ ، الوزان ، مصدر سابق ، ص ١٨٣ . ١٥٥

(٤) مصطفى نشاط : إطلاقات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني - جامعة محمد الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانية - وحدة ٢٠٠٣ م ص ٧٣ ، محمد المنوني : وصف المغرب : ص ١٤٣ .

(٥) العمري : مصدر سابق ، ص ١٨٣ ، الوزان ، مصدر سابق ، ص ١٨٣ . القلقشندي : مصدر سابق ، ص ٥ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٣٥ ، محمد المنوني : وصف المغرب ، ص ١٤٣ .

كما انتشر بيع السكر بأسواق فاس حيث وصل السكر المغربي إلى الأسواق الأوروبية إلى جانب الزيتون والزيت . وغيرها من المنتجات الأخرى التي امتلأت بها أسواق فاس . (١)

وضمت أسواق مدينة فاس العديد من السلع اليومية والتي كانت تباع باستمرار كاللحوم التي كانت تلبى حاجات السكان ، والأسماك وكانت لها رحبة تسمى رحبة الحوت وبها العديد من الأنواع كالشابل والبيوري . ويقاس تباع كميات كبيرة من اللبن يوميا تقدر بعشرون بطة ، وقد تنتشرت حوانيت كثيرة لبيع الجبن من الألبان حيث اشتهرت المجبنة التي تصنع من ألبان البقر والأغنام. (٢)

وكان بفاس حوانيت لبيع الأطعمة الجاهزة حيث وصفت فاس بطيب مطعمها ومأكليها فعرفوا الثريد وهو نوع من أنواع الكسكسو والفتائر المغلية في الزيت ويبيعون منها كميات كبيرة يوميا، واللحوم المشوية حيث كان يشوى كميات كبيرة منها لوفرة الأبقار والأغنام في المدينة . (٣)

تعد المنسوجات من أهم السلع التجارية بأسواق مدينة فاس حيث توافرت المواد الخام اللازمة لها من قطن وكتان وحريز ، ومن هذه المنسوجات القميص الذي اتخذته العامة من الصوف الرقيق والحريز والأعيان من قماش الكامبري. (٤)

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ١٨١ - ١٨٤ . القلقشندي : مصدر سابق ، ص ١٥٤ . مصطفى نشاط : مرجع سابق ، ص ٧٤ .

(٢) مجهول : كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين ، تحقيق أويثي ميرلندا ، معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد التاسع والعاشر ، ١٩٦١ - ١٩٦٢ ، مدريد ، ص ١٩٩ ، العمري : مصدر سابق ، ص ١٤١ ، التادلي : مصدر سابق ، ص ٢٧٥ ، الوزان : مصدر سابق ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ابن عيشون : مصدر سابق ، ص ٧٣ ، التميمي : المستفاد ، ص ٧١ .

(٣) مجهول : مصدر سابق ، ص ١٧٩ ، ١٨١ ، الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ ، ابن عيشون : ص ٧٣ ، مارمول : مصدر سابق ، ص ١٥٠ ، التميمي : للمستفاد ، ص ٥٣ . كان الكسكسو من الأطباق المفضلة لدى سكان مدينة فاس وذلك لوفرة الدقيق من القمح ، وساعد على ذلك وفرة الخضراوات كالكرنب والجزر وفرة اللحوم من الأبقار والأغنام ، للمزيد انظر ، ابن رزين التجيبي ، مصدر سابق ، ص ٨٧ . مجهول : مصدر سابق ، ص ٢٠٧ .

(٤) محمد مقر : اللباس المغربي ، ص ١٥٦ ، رسالة ص ١٧٨ ، الكامبري : نوع من نسيج الكتان الأبيض الرقيق الناصع والتي اشتهرت بصناعته منطقة Cam brail شمال فرنسا . للمزيد انظر ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٢٠ .

كما اشتهر صناع فاس بإنتاجه البديع من المنسوجات الصوفية ، والتي يكثر استعمالها في البوادي وفي بيوت الطبقة المتوسطة ، ويضيف الصناع إليها القطع الخاصة بالجلابيب والتي تتسج من الصوف الخالص أو الممزوج بالقطن والحريير . واشتهرت أيضا بمنسوجاتها الحريرية الثمينة الشفافة ذات الذوق العالي ، ومنسوجاتهم الحريرية الثقيلة المطرزة بخيوط من الذهب أو الفضة ومصبوغة بالأرجوان .^(١)

كما كانت تباع البرانس في أسواق فاس وهي قلنسوة طويلة وهي أرجوانية اللون وتشبه القلنسوة التي يحملها التجار الأسبان للبيع في مدينة فاس^(٢) والأخمرة والمقنعة الخاصة بالنساء وتصنع من الكتان^(٣) .

وتعددت الألبسة التي كانت تباع في فاس ومنها الجبة والتي كانت يصنعها الأعيان على رؤوسهم ، والعمامة يضعونها على أكتافهم .^(٤)

وصنعت العباءة والتي استخدمها الفقراء بمدينة فاس والأعيان الذين اتخذوها واسعة مخيطة لها نصف أكماس تلبس فوق القميص ويوضع البرنس فوقها . وتميز اليهود بارتداء القلائس السوداء الطويلة والنساء يرتدين وشاحات للرأس والرقبة مبهرجة . ومن الملابس أيضا الإزار وهو رداء يغطي الجسم من الوسط حتى نصفى الساقين^(٥)

وقد عمل عدد كبير من اليهود في حياكة وتلوين الملابس وصقلها وتلميعها بألوان قوس قزح.^(٦)

(١) عبد العزيز العلوي : صناعة النسيج ، ص ٥٣ ، عثمان إسماعيل : الفنون ص ٤١٠ .

(٢) الوزان : ج ١ ، ص ٢٥٢ ، نوزي : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة أكرم فاضل ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٧١ م ، ص ٦٦ : ٦٩ ، ٢٠١ . عثمان إسماعيل : ص ٤١٠ .

(٣) بونيسكو : مرجع سابق ، ص ٤٢ ، نوزي : مرجع سابق ، ص ٥٣ .

(٤) نوزي : مرجع السابق ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٥) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٥١ ، محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٦٢ السيد عبد العزيز سالم : بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، العدد ١-٢ المجلد الخامس ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ ، ص ٢٤٥ .

Burckhardt (T): Fez City of Islam, p, 73.

(٦) ابن الحكيم: مصدر سابق، ص ١٣٧ . عبد الرحمن البشير : مرجع سابق ، ص ٩٣ .

ومن أهم السلع الموجودة في أسواق مدينة فاس الحلي الثمينة المصنوعة من الذهب والفضة وغيرهما من المعادن الثمينة المرصعة بمختلف الأحجار الكريمة مثل الألماس والزمرد الأخضر والأحجار الحمراء العالية القيمة والمنقنة الصنع والتي يتم تصديرها إلى البلاد الخارجية مع غيرها من سلع مدينة أخرى تصنع من النحاس ومن معدن التوتيا التي يصنع منها النحاس الأحمر فيصير أخضراً ، إلى جانب الفضة التي يصنعون منها الحلي ويصدرونها خارج فاس ، وهي متوفرة في البلاد وإن احتاجوا إلى استيرادها من الخارج فيساعدتهم ذلك على التفنن في إبداع ما ينتجونه .^(١) ومن الحلي في أسواق مدينة فاس الصدف الحسن والذي يقوم مقام الجواهر النفيس .^(٢)

ومن السلع المنتشرة بأسواق فاس المخروطات النحاسية والأدوات الحديدية كالسكاكين والسيوف وركابات الخيل وأدوات الخياطة والأدوات العسكرية .^(٣)

والصناعات الجلدية مثل أكياس النقود والأحذية الجلدية ، والأخفاف والنعال المزخرفة بالجلد والحريز ، ووجدت سلع أخرى منها أدوات الزينة ، والعمود والأدوية والترايع .^(٤)

لقد لعب اليهود القادمون من أسبانيا دوراً كبيراً في هذه الصناعات وخصوصاً صياغة الحلي ، فقد اكتسح العنصر اليهودي نشاط التجارة الداخلية فكانوا يمارسون الحرف في حبيهم بفاس الجديد وتخصصوا في صناعة الألبسة والمعادن الثمينة فعملوا في بيع الكتان والنحاس وخدمة الحديد .^(٥)

(١) بونيسكو : مرجع سابق ، ص ٤٦

Burckhardt (T): Fez City of Islam, p67.

(٢) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٣٥ .

(٣) الوزان : مصدر سابق ، ص ١٨٤ ، مارمول : مصدر سابق ، ص ١٤٩ .

(٤) العمري : ص ١٨٣ . ابن أبي زرع ، ص ٤٨ - ٤٩ ، الجزائى : مصدر سابق ص ٤٢ ، مارمول : مصدر

سابق جـ ٢ ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ، محمد عيسى الحريزي ، ص ٢٨٤ .

(٥) دوزى : مرجع سابق ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ . إبراهيم حركات: الاقتصاد في العصر المريني ص ١٣٩ ، نوال عبد العزيز: مرجع سابق ، ص ٢٥٠ ، روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية ص ٥٠٥ - ٥٠٦ .

Author (s) : The Jewish quarter of fez (1438 - 1912) . The journal of the society of Archite ctural Historians, vol. 60, No 3 (Sep, 201) p. 312

واشتهرت أسواق مدينة فاس بالزرايى المغربية التي تعتبر في طليعة ما تنتجه البلاد شكلاً وقيمة، وهى تشبه الزرايى المصنوعة في آسيا الصغرى في أشكالها وألوانها . والفخار مما تشتهر به مدينة فاس التي تفوق سائر ما تنتجه المدن المغربية الأخرى ، حيث تشتهر المنتجات الفاسية بدقتها وإتقانها في التزيين وبألوانها البارزة الوضاعة بالإضافة إلى تعدد أشكالها وتباين أوضاعها ، وقد نقل بعض الفنانين المهرة في صناعة الفخار من مدينة فاس إلى مدينة " أسفى " حيث زادت شهرة منتجاتها ^(١) بفضل صلاحية التراب الأسفى لها وبفضل اليد العاملة الفاسية ونكاء صناع تلك الجهة. ^(٢)

وعرضت في أسواق المدينة الأواني المنزلية المصنعة من الفخار المعدة للطبخ وكانت تأتي من الرباط. ^(٣) وقد تميزت المنتجات الفاسية الفخارية بدقتها وألوانها البارزة وتميزت أيضا بتنوع الشكل فبعضها كانت زخرفه هندسية متداخلة والبعض الآخر كان بالخط الكوفي التي تم تلوينها بالألوان الزرقاء والصفراء والحمراء . ^(٤)

ووجدت في أسواق فاس سلع أخرى ازدهرت تجارتها وهى تفسير الكتب وتذهيب أغشيتها الجلدية . ومن منجزات أرباب هذا الفن اعتناؤهم بتفسير الكتب على النموذج الأندلسي وتزليهم للظرف المزركش بالذهب ، على النمط الإفرنجي والنمط الفارسي .

فصناعة الجلد وفن التفسير أصبحا يعرفان في سائر البلاد الأوربية بالصناعة المغربية (ماركينوى) وذلك لجودتها وحسن الذوق الفني والدقة في صناعتها . ^(٥)

(١) يونسكو : مرجع سابق ، ص ٤٠ .

* أسفى : هي مدينة تقع على ساحل المحيط الاطلنطى بالمغرب ، ويكثر بها الأسماك ، ويصدر منها الفوسفات المستخرج من مناجم كشكايط للمزيد ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١٦٠ .

(٢) يونسكو : مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٣) البكري : مصدر سبق ، ص ٧٩ ، ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ ، روجيه لوطورلو : مرجع سبق ، ص ٥٦ .

(٤) روجيه لوطورلو : فاس قبل الحماية ، ص ٥٥٨ .

(٥) ابن عيئون : مصدر سابق ، ص ٧٣ - عثمان المنصوري : ص ٢٠٥ .

وقد شاع في تلك الأسواق بيع الرقيق وكان من السلع التي ازدهرت في مدن المغرب بوجه عام ومدينة فاس بوجه خاص ، وكان يُجلب من السودان الغربي ، وكان أهل فاس يعاملون الرقيق معاملة طيبة ، وقد اعتبروا جزءا من العائلة الفاسية. ^(١)

ومن أهم السلع بالأسواق الصناعات الخشبية ومنها أدوات الطعام والمكايل الخشبية، والأثاث والتحف والنوافذ والمزامير. ^(٢) والصناعات الزجاجية القوارير الزجاجية والتي يسرج بها في أول الليل وآخره بمسجد القرويين. ^(٣)

كما كان الملح من السلع الهامة التي تباع في أسواق مدينة فاس ، وقد تعددت أصنافه و أنواعه حتى أن بعضها لا يشبه البعض في اللون والصفات. ^(٤)

ارتبطت بعض السلع بأسواق مدينة فاس بالمساجد حيث كان العطارون يبيعون البخور المستخدم في تعطير المساجد ، والشامعون يبيعون الشمع المستخدم في إنارة المساجد ليلا ، والوراقون يبيعون الورق المستخدم في الكتابة. ^(٥)

ومن السلع التي انتشرت في الأسواق الفاسية صناعة السلال وقد امتنعت اليهود هذه الحرفة واستخدمت هذه السلال في التعبئة ، و أيضا كان بيع الخمر موجودا وكان لتحريم الخمر على المسلمين أثر كبير في احتكاره أهل الذمة وخاصة اليهود هذه الحرفة والتي كانت مرتبطة ارتباط وثيق بالإنتاج الزراعي حيث أنها كانت تستخرج من الكروم وكانت الخمر تباع سرا لعدم شرعية بيعها جهرا. ^(٦)

وهكذا أسهمت الأسواق الداخلية في ثراء مدينة فاس وزيادة نشاطها الداخلي ، كل هذا ساعد على زيادة العلاقات والمعاملات التجارية الخارجية لأسواق مدينة فاس .

(١) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ٥٦١ - مارمول : مصدر سابق ، ص ١٥٢ .

(٢) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٦٠ ، ٦٢ ، الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٥٥ ، مارمول : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٣) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ ، الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٦٨ .

(٤) مجهول : الاستبصار ، ص ١٨١ ، المراكشي : مصدر سابق ، ص ٢٤٢ .

(٥) عبد الوهاب الدبشي : مرجع سابق ، ص ٣٧ ، عبد الهادي التازي : جامع القرويين ، ص ٩٣ .

(٦) عبد الرحمن بشير : مرجع سابق ، ص ٩٧ .

الفصل الثالث

علاقة أسواق فاس بالأسواق الخارجية

- ١ - أسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأقصى
- ٢ - أسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأوسط
- ٣ - أسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأدنى
- ٤ - أسواق فاس وأسواق مدن مصر والحجاز
- ٥ - أسواق فاس وأسواق مدن الأندلس والدول النصرانية
- ٦ - أسواق فاس وأسواق مدن السودان الغربي

ارتبطت أسواق مدينة فاس بالأسواق الخارجية ارتباطا وثيقا منذ بداية الحكم المريني ، ساعد على ذلك حرص سلاطين بنو مرين على توطيد صلاتهم السياسية مع الدول المعاصرة . فتنشطت السفارات المرينية مع دول المغرب الأوسط و الأدنى والأقصى والأندلس ومصر والسودان الغربي والدول النصرانية (قشتالة وميورقة وفرنسا) ، وقد أسهمت هذه السفارات في دعم العلاقات التجارية بين فاس وبين سائر أسواق هذه الدول المعاصرة.

كما تدعمت العلاقات التجارية بين أسواق فاس وغيرها بفضل جهود سلاطين الدولة المرينية الذين قاموا بتوفير الأمن والاستقرار للطرق البرية والنهرية والبحرية ، وبفضل هذه الجهود قضوا على القرصنة التي تتعرض للقوافل التجارية سواء بالبر أو النهر والبحر، كما حفروا الآبار على هذه الطرق مما ساعد على قيام شبكة تجارية آمنة كان لها الأثر الأكبر في ازدهار أسواق مدينة فاس ، وجعلها تنبض بالحياة التجارية باستمرار . وقد ساعدت هذه الروابط التجارية على وصول أهم السلع التي يحتاج إليها سكان هذه المدينة في حياتهم كالذهب والرقيق والنحاس وغيرها من السلع التي جعلت من أسواق فاس الأهم بين أسواق مدن المغرب الأقصى .

وسوف نعرض في هذا الفصل العلاقة بين أسواق فاس وأسواق المغرب الأقصى ، وأسواق فاس والمغرب الأوسط ، وأسواق فاس والمغرب الأدنى وأسواق فاس وأسواق كل من مصر والسودان الغربي والأندلس ، وأهم السلع التي كان يتم تبادلها بين هذه الأسواق .

١- أسواق فاس وأسواق المغرب الأقصى

فرض المرينيون سيطرتهم على سائر المغرب الأقصى^(١) عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م مما ساعد على التواصل التجاري بين أسواق المغرب الأقصى وأسواق مدينة فاس أعان على ذلك موقع هذه المدينة. فقد احتلت مدينة فاس موقعا استراتيجيا بفضل وقوعها عند ملتقى طريقين رئيسيين أولهما يبدأ عند شواطئ البحر المتوسط عبر طنجة وسبتة وباديس القديمة ويمتد عبر الصحراء مجتازا سهل سايس بمدينة فاس ، وسلسلة الأطلس الأوسط والكبير ثم يسير محاذيا لوداي زير الى واحة تافيلات . والطريق الثاني يبدأ من المحيط الأطلسي متجها إلى المغرب الأوسط ، وتقع فاس عند تقاطع هذين الطريقين الرئيسيين .^(٢)

لقد أتاح سهل فاس الذي يدعى سهل الساييس فرصة كبيرة لمدينة فاس لزراعة كميات كبيرة من المحاصيل والفواكه ، فكان يزرع بمساحات كبيرة من الحبوب والفاكهة فساعد ذلك على وفرة الانتاج الزراعي بأسواق فاس فأعطى للمدينة فرصة للاتصال بالمحيط الأطلسي وموانئه مثل المعمورة والعرائش .^(٣)

وقد ربطت الطرق التجارية بين أسواق فاس وأسواق المغرب الأقصى ، فالطريق من مدينة سبتة لمدينة فاس يستغرق ستة أيام كما يذكر البكري ، ويحددها ياقوت الحموي والعمرى بعشرة أيام ، ومن خلال سبتة ارتبطت فاس بمدن الشمال الغربي .^(٤) فوجد طريق من مدينة سبتة إلى فاس وطريق بين فاس وسلا يقدر بأربع مراحل .^(٥)

• المغرب الأقصى : وهو يمتد من وادي ملوية شرقا حتى مدينة أسفى على المحيط الاطلسي غربا وجبال درن جلوبا وحدوده الشمالية فهي البحر الرومي (البحر المتوسط) للمزيد انظر ابن خلدون:مصدر سابق جـ ٦ ، ص ١٠٠ ، ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، طبع مدينة لين ابريل ، ١٣٠٢هـ ، ص ٨١ ، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٦ ، ص ١٣ .

^(١) ماجدة كريمة: العلاقات التجارية ، ص ١٧١ .

^(٢) ابن الخطيب: نفاضة الجراب ، ص ٣٢٧ ، الوزان: مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٦٥ ، المقرئ: مصدر

سابق ، جـ ٣ ، ص ٣٧٨ ، مارمول: مصدر سابق جـ ١ ، ص ٤٨٩ ، المنوني: ورقات ، ١٤٩ .

^(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ١١٥ ، ياقوت الحموي : مصدر سابق جـ ٣ ، ص ١٨٣ . العمرى : مصدر

سابق ، ص ١١٤ .

^(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١٠ ، ص ٢٣١ ، الوزان: مصدر سابق ، ص ٢١٣ .

تعد مدينة سبتة بحكم موقعها محطة للسفر والتجار فأصبحت مركزا لتصريف السلع التي يجلبها التجار من جميع الأقطار.^(١) كما تعد هذه المدينة أيضا الرئة التي يتنفس بها المغرب الأقصى ومحطة تربط بين إفريقيا وأوربا لهذا نجد سفن نابولي وجنوة ومرسلية محملة بمختلف السلع تتقاطر على ميناء سبتة ذهابا وإيابا .^(٢)

هكذا مدينة سبتة بفضل موقعها ارتبطت بشبكة من المراسي الساحلية ، ساعدت بالطبع على الاتصال بكل مدن الشمال الغربي من طنجة إلى الريف وسواحله . كما كانت لها خطوط اتصال عديدة مع أقطار البحر المتوسط الواقعة شمالا وخاصة الأندلس والمدن الواقعة جنوب هذا البحر.^(٣) وبهذا الأمر ساعد الطريق الذي يربط بين فاس وسبتة في اتصال المدينة الأولى بالمدن الساحلية الواقعة على البحر المتوسط بالإضافة الى الأندلس .

ومن مدينة سبتة يأتي إلى أسواق فاس التين والذي لم يكن نوعا واحداً ولكنه ثمانية وعشرين نوعا ، بالإضافة إلى الكروم والسكر والعطور ومعادن الكبريت ، والكبوط الكتاني الذي يأتي بكثرة لاسواق مدينة فاس .^(٤)

ويأتي من سبتة العنب وهو نوعان واللوز أربعة أنواع من أحدهما المر ، والزيتون ثلاثة أنواع والتوت نوعان أبيض وأسود والقراصيا ثلاثة أنواع فهي كانت محط القوافل التجارية.^(٥)

(١) اللمشقي : : نخبة الدهر في عجاب البر والبحر ، تحقيق ميكائيل بن يحيى ، المانيا ، ١٩٢٣ ، ص ٢٣٥ ،
العمرى : مصدر سابق ، ص ٩١ ، أمين الطيبي : مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

(٢) ماجدة كريمى : مرجع سابق ، ص ١٦٦ ، أمين الطيبي : النشاط الاقتصادي العلمي بمدينة سبتة المغربية
القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي ، ص ١٧٠ .

(٣) حسين مراد : القاضي عياض (دراسة فى النشأة والتكوين العلمى) مجلة الدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ،
معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، العدد ٢٦ ، سنة ٢٠٠٤ ، ص ١٦ .

(٤) السبتي : اختصار الأخبار ، ص ١٤ ، ٩٢ ، المراكشي : المعجب ، ص ٢٤٢ ، العمرى : مصدر سابق ، ص
٩١ ، القلقشندي : مصدر سابق جـ ٥ ، ص ١٥٧ ، الوزان : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ ، مارمول :
مصدر سابق جـ ٢ ، ص ٢١٥ ، المنونى : وراقات ، ص ١٤٩ .

(٥) السبتي : مصدر سابق : ص ٥١ ، ٥٥ ، ٧١ .

وبفضل موقع سبته البحري عمل الأغلبية من السكان في الصيد البحري، وتعددت أنواع الأسماك التي يتم اصطيادها وبلغت نحو مائة نوع ، واشتهرت أيضا باستخراج شجر المرجان وهو من أفضل الأنواع ، وكان يصنع منه خرزا ويصدر إلى أسواق مدينة فاس وسائر الأسواق الأخرى . ويأتي من سبته إلى فاس قويريات (ألواني لطاف) والأدوات النحاسية. ^(١) ويأتي إلى أسواق فاس العسل من بني تاودا وقصر عبدالكريم والشمع من الريف. ^(٢)

وقد توافد تجار فاس إلى كافة أسواق المدن المغربية لبيع سلعهم وجلب سلع يحتاجون إليها ، فتجار مدينة فاس وصلوا إلى مدينة مكناسة وجلبوا منها بالزيتون والعنب . ويذكر ابن الخطيب انتشار زراعات الزيتون والعنب في مكناسة وتعدد أصناف تلك الزراعات . ^(٣) لهذا أطلق عليها المؤرخون مكناسة الزيتون وذلك لكثرة الزيتون ، ويكثر بها أيضا الأجاص والعنب و يوجد منه نوعان الأبيض والأسود. ^(٤) كان التجار القادمون من فاس يقومون بشراء حب زيتون بحيرة مكناسة بخمسة وثلاثين ألف دينار ، وأمدت مكناسة فاس أيضا بالعنب ^(٥)

وقد ارتبطت مدينة فاس بالعديد من مدن جنوب المغرب الأقصى ، فكان هناك طريق يبدأ من فاس ويتجه جنوبا إلى مدن أغمات - مراكش - السوس الأقصى - نول لمطة والمسافة بين فاس ومكناسة الزيتون اثني عشر ميلا ، أو مسيرة يوم كامل وبين فاس وأغمات ثمانية عشر مرحلة. ^(٦)

(١) حسين مراد: مرجع سابق، ص ٢٠. أمين الطيبي : مرجع سابق ، ص ١٦٩ ، ١٧٣ .

(٢) السبتي : اختصار الأخبار ، ص ٩٤ . التادلي : التشوف ، ص ٣٣١ .

(٣) الزهري : مصدر سابق ، ص ١١٥ ، ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ . ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٤١ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٤٤ .

(٤) الاستبصار: مصدر سابق ، ص ١٨٧ ، ابن غازي : مصدر سابق ، ص ٥٧ ، مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٤٦ ، الوزان : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٥) الوزان : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ ، لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ٦٤٠ .

(٦) اليكري: مصدر سابق ، ص ١٦١ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٤٤ ، المراكشي : المعجب ، ص ٣٥٩ ، ابوالقداء : مصدر سابق ، ص ١٣١ .

وطريق آخر من فاس إلى أغمات ومراكش وسجلماسة عبر تارودانت*.^(١) وبين فاس ومراكش عشرة أيام ، وبين فاس وأغمات ثمان عشر مرحلة ، وفاس - سجلماسة ثلاثة عشر مرحلة.^(٢) وهناك طريق آخر يبدأ من فاس ويتجه إلى سجلماسة مروراً بصفرو ، ويعتبر هذا الطريق من أهم الطرق التجارية ومن مدينة فاس إلى صفرو مرحلة واحدة.^(٣)

تستمد مدينة سجلماسة أهميتها بكونها منطقة إنتاج مهمة ووقوعها في مفترق الطرق التجارية البعيدة المدى فهي تراقب وتغذى تجارة القوافل ، وتعتبر إحدى النهايات الرئيسية لطرق القوافل التجارية الصحراوية.^(٤)

ومن مدينة سجلماسة يأتي إلى أسواق فاس سلع عديدة منها الشب الأبيض والحناء والكمون والكرويا والقطن والعنب الذي يمتاز بجودته ، واشتهرت سجلماسة أيضاً بأنواع نادرة من التمور أشهرها نوع اسمه إرارة لا يوجد في أية مكان آخر .^(٥) وجد بسجلماسة نوعان من العنب الظلي لأنه يجفف في الشمس والعنب العذاري والعسلي وهو لا نوى له . ولديهم أفضل أنواع التمر حيث كان يسمى باليراري .^(٦)

(١) المراكشي : رسائل موحدة ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، أبو الفداء : مصدر سابق ، ص ١٣٥ .

* تارودانت : حاضرة بلاد السوس الأقصى ، وهي مدينة عامرة وكثيرة الفواكه وتشتهر بزراعة قصب السكر. للمزيد انظر الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٢) ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٩٠ ، أبو الفداء : مصدر سابق ، ص ١٢٣ ، العمري : مصدر سابق ، ص ١١٤ ، القلقشندي : مصدر سابق ج ٥ ، ص ١٦٣ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ١٤٦ ، عبد العزيز العلوي : فاس والتجارة الصحراوية ، ص ٥٨

(٤) ناصح محمد : جوانب من الحياة ، ص ٤٦٢ . ماي كول : الروايات التاريخية ، ص ٦٢ .

(٥) البكري : مصدر سابق ، ص ١٤٨ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٣٨ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ٢٠١ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٠٦ . بان على محمد البياتي : النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (٣-٥هـ / ٩-١١م) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٤ ، ص ٧٧ .

(٦) البكري : مصدر سابق ، ص ١٤٨ ، ابن الزيات : التشوف ، ص ٣٠٧ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ١٣٥ .
١
٣٠٥ ، القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ١٥٩ .

ومن السلع التي كانت تأتي من سجلماسة لفاس الصوف والذي يسمى باليراربة وهو من أجود أنواع الصوف .^(١) وبجانب ذلك صدرت سجلماسة النحاس والرصاص والكحل ولعنبر والشب .^(٢)

وكانت الحناء تأتي من أسواق سجلماسة ودرعة وكان للصناع يستخدمونها في صياغة المنسوجات بأسواق مدينة فاس ، واستعملتها النساء لتخضيب شعورهن والرجال لتخضيب اللحي، استعملت أيضا كدواء لصداع الرأس . وصدرت سجلماسة أيضا النيلج الذي يكسب المنسوجات لونا أزرقا باهتا .^(٣)

وفي صفرو ودرعه تنمو شجرة التالكوت التي استخدمت في صبغ الجلود ، كما حصلت أسواق فاس على الفضة من قلعة بن تادلة .^(٤)

ومن أغمات وماسة يأتي الكروم والتين والأرز ، والأبقار والحبوب والعنبر والسكر واللوز والجوز إلى أسواق فاس فكان التجار الفاسيون يقومون بشراء العنب من ماسة* ويقومون ببيعه للبرتغاليين .^(٥)

(١) اليعقوبي : كتاب البلدان ، بغداد ١٨٩١ م ، ص ١١٠ ، البكري : مصدر سابق ، ص ١١٧ ، ١٤٧ ، ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٢٤ ، الحميري : نفس المصدر ، ص ٣٠٦ ، العمري : مصدر سابق ، ص ٢٩٨ ، الوزان : مصدر سابق جـ ٢ ، ص ١٣١ .

(٢) القلقشندي : مصدر سابق جـ ٥ ، ١٥٧ ، مصطفى نشاط : إطلاقات ، ص ٨٧ .

(٣) ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٧٧ ، المراكشي : الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، ج ١ المطبعة الملكية الرباط ، ١٩٧٤ ، ص ٢٧٣ البادسي : المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الزيفي ، تحقيق سعيد إعراب ، الرباط ١٩٨٢ ، ص ٥٩ ، التادلي : التشوف ، ص ٢٢٥ . محمد الطويل : الفلاحة المغربية ، ص ١٨٢ .

(٤) للزهري : مصدر سابق ، ص ١١٥ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ٢٠٧ .

* ماسة : مدينة صغيرة على البحر تحمل إليها التجارات وهي قريبة من أغمات . للمزيد انظر اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٦٠ .

(٥) ياقوت الحموي : مصدر سابق جـ ١ ، ص ٢٢٥ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ، ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٢٣ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٣٣٠ ، التادلي : مصدر سابق ، ص ٤١٣ ، البغدادي : مرآة الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٩٨ ، محمد الطويل : الفلاحة المغربية ، ص ١٦٤ ، ١٦٨ .

ويأتي لأحياء مدينة فاس عنب زالج وزيتون التفات ومغيلة ويحمل منها أحمالا من الزبيب إلى فاس يومياً .^(١) والبرانس المصنوعة في نول لمطة وهي غالية الثمن ، فالزوج منها يساوي خمسين دينارا وتسمى بالسفارية.^(٢) واختص تجار نول لمطة بصناعه الجلود وتجارها وخاصة الدرق للمطية ، فالجلود والملح من أهم السلع التي كانت تصل أسواق مدينة فاس .^(٣) فالتجار الفاسيون ظلوا على اتصال وثيق بمدن صفرو ، وتازا ووزان .^(٤)

أما بالنسبة إلى السوس الأقصى والذي يمتد من جنوب وادي سوس إلى بلاد لمطة ، فالمسافة بين فاس والسوس الأقصى ثلاثين مرحلة ، فكان يصدر الى أسواق مدينة فاس السكر السوسي بالإضافة إلى الشب والنحاس المصبوغ والعاج والأبنوس ودرق اللط والعبيد المجلوبين من السودان الغربي.^(٥)

ويصل من السوس إلى أسواق فاس زيت ارجان والعسل والجوز واللوز .^(٦) والتمر وأشجار النيلة.^(٧) والثياب السوسية والتي تضم الثياب القطنية والصوفية التي تتسج بمدينة سجلماسة وهي من أجود الأنواع .^(٨)

(١) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٤٧ ، محمد مزين : فاس وباديتها ، ص ٤٩ ، ٦٣ .

(٢) الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٣٧ ، السبتي : اختصار الأخبار ، ص ٩٤ ، الحميري : مصدر سابق ص ٥٨٤ ، التادلي : التثوف ، ص ٣٣١ ، ٣٤٨ .

(٣) الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٣ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١٢٣ ، ابن سعيد : بسط الأرض ، ص ٢٣٤ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٨٤ ، الوزان : مصدر سابق ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

(٤) الوزان : مصدر سابق ، ص ١٦٩ .

(٥) الاصطخرى : مصدر سابق ، ص ١٤٦ ، الزهري : مصدر سابق ، ص ١١٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٤ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٦ ، ص ٢٠١ ، التادلي : مصدر سابق ، ص ٣٤٨ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ٢١١ . القشتالي نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، نشر هوداس ، الرباط ، ص ١٦٠ ، حسن حفطي علوي : النشاط التجاري بسجلماسة وعلاقته بمجالها القروي ، ضمن ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ، ص ٣٥ . محمد الطويل : الفلاحة المغربية ، ص ١٦٨ .

(٦) الزهري : مصدر سابق ، ص ١١٨ ، ١١٩ ، ابن الفقيه : مصدر سابق ، ص ٨٤ .

(٧) الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٣٩ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ٢١٢ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٨) الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١١٩ ، بان على محمد : مرجع سابق ، ص ٧٧ .

وصدرت مراکش السكر، وقد احتوت على أربعين معصرة للسكر ، كما صدرت أيضا زيت الزيتون فكان من أجود وأرخص وأطيب الأنواع .^(١)

كانت مدينة فاس تصدر العديد من السلع الهامة لأسواق مدن المغرب الأقصى ، ومنها المنسوجات المطرزة والصوفية والقطنية والكتانية والحريرية ، والبرانس المديونية.^(٢) والمصنوعات الحديدية كالمساكين وركاب الخيول والفخار الفاسي والأدوات والحلي الزجاجية.^(٣)

٢- أسواق فاس وأسواق المغرب الأوسط

ارتبطت مدينة فاس بصلات تجارية وثيقة مع العديد من مدن المغرب الأوسط ، وساعد على ذلك وجود شبكة من الطرق التجارية البرية او البحرية . ويوضح لنا الجغرافيون أن المسافة بين تلمسان حاضرة تلك البلاد وفاس تسع مراحل .^(٤) فالمسالك من فاس إلى وجدة وتلمسان كانت تمر عبر ممر تازة مما ساعد على ربطهما .^(٥)

حكم الزيانيون بتلمسان المغرب الأوسط وهم جزء من زناته من بني وسين ، من البدو واحتلوا إقليما كبيرا وصل إلى جبال الأوارس ، وعقب الغزوة الهلالية في القرن الخامس الهجري كان عليهم أن يهاجروا إلى السهول العليا في أوران ، ومع غزو الموحدين بدأ حظ بني زيان في الصعود وتعاونوا مع الموحدين .^(٦)

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٢١٠ ، الحميري: مصدر سابق ، ص ٥٤١ ، العمري : مصدر سابق ، ص ١:١٤ ، ابن سعيد: الجغرافيا ، ص ١٢٥ ، المنوني ورفقات ، ص ٣٠٠ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

(٢) الحميري : مصدر سابق ، ص ١٢٩ ، عبد العزيز العلوي : صناعة النسيج ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٥ ، فاس والتجارة ، ص ٢٦٥ ، بان علي : مرجع سابق ، ص ٧٧ ،

(٣) الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٦ الجزناني : مصدر سابق ، ص ٤٤ .

(٤) الحميري: مصدر سابق ، ص ٤٦ ، الجزناني : مصدر سابق ، ص ٤٤ .

(٥) ابن عذاري : مصدر سابق ، ص ١٥٤ ، هويكنز : النظم الإسلامية في القرون الوسطى ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٦) حسان طرابلسي : الزيانيون في تلمسان والحفصيون في تونس ، ترجمة قاسم عيده قاسم ، ضمن كتاب ابن خلدون والبحر المتوسط ، ص ٨٩ .

وفى عام ٦٣٣هـ / ١٢٣٢م ورث أبى يحيى بن زيان قيادة جميع فروع الأسرة عن أخيه (٦٣٠-٦٤٠هـ / ١٢٤٢، ١٢٣٢م. عانت تلمسان من الهجمات التي شنها ملوك بنو مرين عليها خلال عهد السلطان أبو يعقوب يوسف المرينى (٦٨١- ٧٠٣هـ / ١٢٨٢- ١٣٠٧) وخلال الحملة الخامسة فى عهد السلطان أبى الحسن ٧٣٧هـ / ١٣٣٧ م استولى المرينيون على كل ولايات المملكة ، وفرضوا حصارا على العاصمة وبني السلطان المرينى مدينة أخرى وأطلق عليها تلمسان الجديد .^(١) والراجح إن خضوع تلمسان لسلطان بنى مرين شجع على دفع حركة التجارة بين فاس وتلمسان وغير ذلك من مدن المغرب الاوسط .

كان يصل لأسواق مدينة فاس التمر من منطقة بسكرة والزاب بالجنوب الجزائرى وتلمسان ، والعنب المستطيل القبلى البالغ للحلاوة والعنب المستطيل العسلى الذى لا يوجد فى أكثره نوى ويستخرج منه الزبيب ، وإلى جانب ذلك الجوز واللوز .^(٢)

ومن أهم المدن مدينة بجاية^(٣) والتي تم التبادل التجارى والسفارات بينها وبين مدينة فاس، فأهلها مياسير تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى الصحراء.^(٤) ومن أهم السلع التي تصل من بجاية إلى مدينة فاس الشمع وبجانب الشمع العبيد حيث أنها كانت سوقا هاما للعبيد ، وكان السوق يقع بحومة المذبح ويبيع فيها العبيد السود .^(٥)

(١) ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٧ ، ص ٢٥٤ ، حناء طرابلس : مرجع سابق ، ص ٨٨ : ٩٠ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤م ، ١٣٩٤ ، ص ٢١ .
(٢) البكرى : مصدر سابق ، ص ١١٨ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٤٠ ، ٤١ ، العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١١ ، ابوالمحسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ، ص ٦٠ ، ٦١ ، صالح بعيزيق : بجاية فى العهد الحفصى ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة تونس ١٩٩٥ ، ص ٢١٢ .

(٣) بجاية : تقع فوق سطح جبل مظل على البحر المتوسط على خليج مفتوح على البحر ، فأتاح لها ذلك الميناء مكانا لرسو السفن . للمزيد انظر الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٧٨ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٨١ ، المقرئ : مصدر سابق ، جـ ١٠ ، ص ١٢٩ .

(٤) الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٧٨ .

(٥) ابن القاضي : درة الحجال فى أسماء الرجال ، جـ ٢ ، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٠١ ، عاشور بوشامة : مرجع سابق ، ص ١٨٩ . ١

٤- أسواق فاس وأسواق المغرب الأدنى

قاعدة المغرب الأدنى مدينة تونس ^(١) وقد قامت الدولة الحفصية ^(٢) بالمغرب الأدنى واتخذت من مدينة تونس عاصمة ، ويعتبر أبو زكريا الحفصي (٦٢٥-٦٤٧هـ / ١٢٢٨-١٢٤٩م) أول من أسقط بالإمارة من بني حفص . ^(٣)

قام تجار مدن المغرب الأدنى بتبادل السلع التجارية مع تجار مدينة فاس فمن مدينة قفصة ^(٤) تم تصدير الفستق إلى أسواق فاس . أما مدينة جربة ^(٥) فاشتهرت بالفلاح وصدّرت. ومن طبرقة ^(٦) وصل إلى أسواق فاس العسل والقطران والمرجان، والتين الذي يتميز بكبر حجمه وحلاوة مذاقه . كما تم بيع اللعائم السوسية التي كانت تأتي من مدينة قابس إلى أسواق فاس . ^(٧) ويأتي معدن الكبريت من برقة إلى أسواق مدينة فاس . ^(٨)

(١) الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١١٠ .

(٢) الدولة الحفصية : هي امتداد لدولة بني عبد المؤمن الموحدية ، فكانوا فرعاً من الموحدين وينتسبون إلى الشيخ أبو حفص يحيى بن عمر الهنتاني ، شيخ قبيلة هنتانة أحد بطون مصمودة التي قامت على أكتافها دولة الموحدين فورثت الدولة الحفصية كل ممتلكات الدولة الموحدية في أفريقية ، للمزيد انظر أبو عبد الله بن الشماخ : الأدلة البنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ٥٤ ، ٥٨ .

(٣) محمود إدريس على بك : طرابلس الغرب منذ الهجرة الهلالية الى بداية العهد العثماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٣٢٠ .

(٤) قصة : مدينة كبيرة كان لها سور عظيم من صخر جليل ، ولها أربعة أبواب ويكثر بها العيون والنخيل والزيتون وجميع انواع الفواكة ، وهي اكثر البلاد فستقا . للمزيد انظر البكري : مصدر سابق ، ص ٤٧ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٠٤ .

(٥) جربة : هي جزيرة في بحر افريقية اقرب بلادها إليها قابس ، وطول جربة ستون ميلا من المغرب إلى المشرق ، وهي ذات نخيل وكروم . للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ١٥٨ .

(٦) طبرقة : حصن على ساحل البحر وفيها آثار لأول ويقان عجيب وهي عامرة لكثرة تردد التجار عليها . للمزيد انظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٨٧ .

(٧) الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٣٤ ، البكري : نفسه ، ص ٤١ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٢١ ، ١٧٦ ، القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .

(٨) العمري : مصدر سابق ، ص ٧٩ .

ومن أهم السلع التي كانت تصدر إلى مدينة فاس النباتات العطرية وصناعات البلور والشمع^(١). كما وصلت إلى أسواق مدينة فاس مواد خام كالأصواف والجلود والنحاس والشب والملح والرصاص والمرجان والتمر من بلاد الجريد^(٢). بالإضافة إلى الجلود التي كانت تأتي من غدامس وجودته اطلق عليه الجلد الغدامسى *^(٣).

ومن أفريقية الفسنتق والزعفران واللوز والانتطاع ، ومن سرت الشب السرتي ومن صفاقس زيت الزيتون فهو من أجود الأنواع ، والصدف الصفاقسي^(٤) وهو يستخرج من البحر ويعرف بوبر السمك أو صدف السمك يستعمل في صنع الثياب الفاخرة . والدمش والبردي وريش النعام والقطور^(٥).

ومن فاس يجلب التجار التوابل والمواد الطبية ، والقمح والعنبر والأنسجة والأقمشة والورق والخشب والأسلحة والمجوهرات والعبيد^(٦).

(١) برنشفيك : تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥ م ، نقله حمادي الساحلي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ٤٥٨ .

(٢) القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٣٧٦ ، برنشفيك : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ .
* بلاد الجريد : تقع على طرف الصحراء في أفريقية وسميت بذلك الاسم لكثرة النخيل بها وهي واحات خصيبة كثيرة القواكه والثمار . للمزيد انظر الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١٥٠ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ١٥٢ ، المراكشي : المعجب ، ص ٢٤٢ .
* غدامس : مدينة قديمة أزيلت تقع على نهاية حدود تونس وليبيا في الجنوب ن وهي خصيبة عامرة وأكثر طعام أهلها التمر والكمأة . للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٢٧ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٢٦٨ ..

(٤) الصدف الصفاقسي : هو نوع يستخرج من قصر البحر وهو على شكل جذور البصل وعندما يجف يظهر نوعا من الصوف يمشط ويفزل وينخذ لحمه لأقمشة ملمسها كالحرير . للمزيد انظر القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ١٠٤ ، ١٤٢ .

(٥) البكري : مصدر سابق ، ص ٤٧ المراكشي : مصدر سابق ، ص ٤١١ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١٥٤ ، أمين الطيبي : جوانب من النشاط ، ص ٢٣٢ ، حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، دار الجنوب للنشر تونس ٢٠٠١ ص ١١ ، محمد إسماعيل : الوزارة في أفريقية في عهد الدولة الحفصية (٢٦٦ - ٩٨٢هـ / ١٢٢٧ - ١٥٧٤ م) رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ٢٠٠٩ ، ص ١٩٨ .

(٦) برنشفيك : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ . عاشور بوشامة : مرجع سابق ، ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

٤- أسواق فاس وأسواق مصر والحجاز

ربط الطريق الساحلي للبحر المتوسط بين مدينة الاسكندرية ومدينة فاس ، فالطريق يبدأ من الإسكندرية مروراً ببرقة وطرابلس ، ثم القيروان ومنها إلى صفاقس ومنها للمهديّة وسوسة ثم تونس وقسطنطينة ثم بجاية ومنها إلى وهران وتلمسان وصولاً إلى مدينة سبتة ثم إلى فاس .^(١)

وقد تطورت العلاقات بين الدولة المملوكية^(٢) والدولة المرينية عن طريق السفارات والمراسلات المتبادلة بين حكام تلك الدولتين ودعم الحج تلك العلاقات .

فمنذ بداية الدولة المرينية في عهد السلطان أبي يعقوب تم توجيه سفارة عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م كانت محملة بالهدايا للسلطان محمد بن قلاوون (٦٩٣- ٧٤١هـ/ ١٢٩٣- ١٢٤١م) كان بها أنواعاً وأصنافاً من الذخائر والخيل والبغال وحمل الهدايا فقية المغرب أبو الحسن التنسي.^(٣)

وأرسلت سفارة أخرى في ربيع الأول عام ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ، فأمر السلطان أبو يعقوب بإنشاء مصحف رائع الصنعة واستكثر فيه من معالق الذهب المنظم بخرازات الدرر

(١) شوقي عبد القوي حبيب : التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧ م / ٦٤٨-٩٢٢هـ) المجلس الأعلى للثقافة ، سنة ٢٠٠٠ ، ص ٦٥ ، ٦٧ .

(٢) الدولة المملوكية : حكم المماليك مصر والشام ، وانقسموا إلى قسمين مماليك بحرية (٦٤٨-٧٩٢هـ/ ١٢٥٠-١٢٩٠م) وهم الذين اشتراهم الصالح نجم الدين أيوب وبني لهم قلعة في جزيرة الروضة فعرّضوا بالمماليك البحرية، ومماليك الجراكسة نسبة إلى أصولهم التي ينتمون إليها. للمزيد انظر محيى الدين بن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، راجعه محمد على النجار، دار الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، سنة ١٩٦١ ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، المقريري : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج٢ ، مكتبة المعتبي ، بغداد ، ١٢٩٤هـ ، ص ٢٣٦ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ١ ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٠٨ ، ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ١٢٥ ، عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي ، ج ٢ ص ٢٠١ ، رضوان بن شقرون : من مظاهر العقيدة والسلوك عند المغاربة في العصر المريني ، مجلة المناهل ، العدد ٣٤ ، السنة ١٣ ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦ ، ص ٨٣ ، عبد الرحمن زكي : بناء القاهرة في ألف عام ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، المكتبة الثقافية ، دت ، القاهرة ، ص ٤٣ .

والياقوت لصاحب مكة وكان السفير المحمل بالهدايا للسلطان محمد بن قلاوون هو علاء الدين ايدغى الشهرزورى^(١) وكانت الهدايا عبارة عن أربعمائة من الخيل العرب واربعمائة من المطايا .^(٢)

قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإرسال وفد للسلطان المرينى ابى يعقوب عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٦ م ، حمل هدية للسلطان المرينى عبارة عن ثيابا وفيلة وزرافة وحيوانات نادرة .
فالسفارات المرينية المصرية ساعدت على التواصل التجارى خلال فترة الحكم المرينى لمدينة فاس .^(٣)

وقد أوضح لنا ابن مرزوق تفصيليا الهدايا التى أرسلها أبو الحسن إلى السلطان المملوكي " أما الأحجار فمنها الياقوت والزبرجد والزمرد : فمائة وثمانية وعشرون حجر من البناى العجيب " .

أما أحجار الزبرجد: فثمانية وعشرون . وأما الجواهر النفيس الفاخر المقدار فثلاثمائة وأربع وستون حبة "^(٤) . لم تكن هناك أي فواصل بين فاس والقاهرة فالعلاقات ظلت قائمة بين سلاطين المماليك وسلاطين بنى مرين .

ثم توجهت سفارة اخرى من السلطان أبى الحسن المرينى عام ٧٣٨ هـ على أثر فتح مدينة تلمسان عام ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م ، وقامت حظيت ولدة أبى الحسن باصطحاب هدية عظيمة

(١) علاء الدين ايدغى الشهرزورى : وصل المغرب هاربا أيام الملك المملوكي الظاهر ركن الدين بيبرس العلانى البندردارى الصالحى النجمى (٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م) إلى السلطان يعقوب وبعد وفاة السلطان يعقوب قربه السلطان يوسف وجعله وزيرا له . للمزيد انظر المقرئى : السلوك ، القسم الأول ، جـ٢ ، ص ٩ .

(٢) أبو القداء : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٤ ، ص ٤٦ ، ابن تغردى بردى النجوم الزاهرة جـ٨ ، ص ٢١٥ ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، المقرئى : مصدر سابق ، جـ٢ ، ص ١٥ ، محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق فى العصر المرينى الاول ، دعوة الحق ، العدد ٥ ، السنة ٨ ، مارس ١٩٦٥ ، ص ٦٣ ، ٦٤ . عبد الروهاب التنازى : مرجع سابق ص ٢٢٠ .

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق جـ٧ ، ص ٢٢٧ ، عبد الهادي التنازى : مرجع سابق جـ٢ ، ص ٢١٤ : إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، جـ٢ ، ص ٧٨

(٤) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٥٢ . محمد المنونى : ورقات ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

للسلطان المملوكي نزل لحملها ثلاثون قطارا من بغال النقل وضمت اربعمائة فرس وسيف من الذهب مرصع ولجم مسقطة بالذهب والفضة ، وثيابا وبرانس ومعاطف مطرزة بخطوط من الذهب ، وازرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفاخر المعلم بالذهب الصافي والأواني النحاسية ، وجلد لمطى مائتان ومن الجمال سبعمائة ، ومجموعة من الحيوانات الأليفة والصقور، ومجموعة من الأبنوس والعاج ، وقدرت هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار .^(١) فالعلاقة بين محمد الناصر وأبو الحسن المريني توضح مدى التبادل الاقتصادي القائم بين مصر المملوكية والدولة المرينية .

وكان لقوافل الحج دور كبير في ربط العلاقات بين المغرب ومصر والحجاز، فقد كانت التجارة الخارجية القائمة بينهم قد حملت كثيراً من المنتجات المرينية لمصر والحجاز وعادت بمنتجات مشرقية .^(٢)

فالصناعات المصرية كان لها رواج كبير في أسواق المغرب وخاصة مدينة فاس ومن أهم الصناعات صناعات المنسوجات الكتانية الرقيقة التي كان يصنع منها الملابس و العمامات ويعمل بها الخمر والأقمشة المطرزة بالذهب والحرير .^(٣)

واشتهرت مدينة تيس بتصدير المنسوجات المعروفة بالبوقلمون ، والإسكندرية الثياب الرفيعة ، وبجانب ذلك صدرت مصر الأواني الخزفية والزجاجية .^(٤)

^(١) ابن مرزوق : المسند ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، المقري : مصدر سابق ج ٦ ، ص ١٣٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٧ ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، محمد المنوني : ورقات ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، محمد المنوني : علاقات الغرب بالشرق أيام السلطان أبي الحسن المريني ، مجلة الأبحاث المغربية والأندلسية ، العدد الأول ، تطوان ، سنة ١٩٥٦ ، ص ١٢٠ : ١٢٣ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ٢ ، ص ٧٨ . جمال احمد طه : دور ميناء الإسكندرية وموانئ دول المغرب الإسلامي في ربط العلاقات المصرية المغربية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، جامعة جنوب الوادي ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

Marius(c); op, cit,p,p, 55:59.

^(٢) محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ٢٩٥ ، لوطورنو : مرجع سابق ، ص ٥٠ .

Marius (c) : Miscellanea Orientalia , p. 462

^(٣) احمد مختار العبادي : التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، المجلد السابع والعشرون ، مدريد ، سنة ١٩٩٥ ، ص ٧١ . ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص ٣٢٦ .

كانت مدينة فاس تصدر عدداً كبيراً من السلع إلى أسواق مصر منها العنبر والبلور الصخري والنحاس والقطران والذهب، وخامات الحرير والصوف والرقيق والفسق والجوز واللوز والفاكهة والعسل والمواد العطرية وزيت الزيتون والحنطة والسמיד.^(١)

٥- أسواق فاس وأسواق الأندلس والدول النصرانية

ازدهرت العلاقات الاقتصادية بين بني مرين والأندلس حيث بدأت الأسواق الأندلسية تنمو وتغزو الأسواق المغربية ، فوصلت الأيدي العاملة والأندلسية وعمل عدد كبير من المرتزقة النصارى^(٢) في النشاط التجاري في المغرب أيام الدولة المرينية وكانت مدينة قرطبة مركزاً تجارياً مهماً في المال التجاري الأندلسي ، وأصبحت مدينة فاس جزءاً من مجال التجارة الأندلسية، حيث وحدت الصلات الاقتصادية بين أسواق مدن الأندلس وأسواق مدينة فاس .^(٣)

عمل سلاطين بنو مرين على تأمين التجارة الداخلية والخارجية ، فقام السلطان أبو يوسف ابن يعقوب (٦٥٦-٦٨٥هـ / ١٢٥٨-١٢٨٦م) بفرض شروط تجارية على سانشو ملك

(١) ارشيبالد لويس : مرجع سابق ، ص ٣٢٦ ، نجلاء مصباح : مدن مصر الصناعية والتجارية في العصر الأيوبي ، رسالة ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٥٠ .

(٢) النويري: نهاية الأرب ، السفر ١٢ ، ص ٢٠ ، عفيفي محمود : الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، القاهرة ٢٠٠٢ ، ص ٢٠٨ . Marius (c): op. cit, p.55:65.

(٣) المرتزقة النصارى : يرجع وجودهم بالمغرب المريني بعد سوء تفاهم بينهم وبين حكامهم ، ومنهم قزمان الذي توترت علاقته مع ملك قشتالة الفونس العاشر وانضم هو وخمسين من أصدقائه لخدمة السلطان المريني أبي يوسف فضمهم في صفوف جيشه . للمزيد انظر : مصطفى نشاط : الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية . ضمن كتاب الغرب الاسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، تنسيق محمد حمام ، رقم ٤٨ ، ط ١ ، سنة ١٩٩٥ ، ص ١٢١ .

(٤) حسين مؤنس : وصف جديد لقرطبة الإسلامية ، مجلة المهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الثالث عشر ، ١٩٦٥-١٩٦٦ ، ص ١٦٤ ، أوليفيا ريمي كونستبل : التجارة والتجار في الأندلس ، تعريب فيصل عبد الله ، مكتبة العبيكان ، ص ٣٧ : ٧٦ . Dufourcq: op cit,p371 .

قشتالة^(١) بعد هزيمة جيوشه بمنطقة شريش عام ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م^(٢) وقد نصت على عدم الاعتداء على التجار المسلمين بقشتالة ورفع الضرائب عنهم^(٣).

ساعدت المعاهدات المبرمة مع الأطراف النصرانية كجنوة والبندقية ومارسليا على نمو أسواق فاس وقيساريتهما ، وتميز هذا العصر بتوثيق الصلات مع فرنسا وأسبانيا في الميدان التجاري ، بجانب الجمهوريات الإيطالية ، وقد أهدى أحد الجنوبيين عام ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م إلى السلطان أبي يعقوب يوسف شجرة مذهبة تغرد على أغصانها عصافير صناعية بحركات ميكانيكية^(٤).

قام السلطان أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٥٢هـ / ١٣٣١-١٣٥١م) بعقد معاهدتين تجاريتين مع وفد من مملكة ميورقة وأرغون^(٥) عام ٧٣٩هـ / ١٣٣٩م ، ومن خلالهما يسمح لرعايا ميورقة بالتجارة بالمغرب ، وعلى سلطان ميورقة توفير الأمن للتجار المسلمين ، والحد من الحيل التي قامت بها الدول القطلونية بجلب حوالي ٧٠ ك جرام ذهب من المغرب إلى أوروبا^(٦).

(١) قشتالة: تسمى القلاع اطل عليها المسلمون القلاع نظرا لكثرة قلاعها واعتبرها المسلمون إقليما فاصلا بينهم وبين أراضي النصارى الأسبان في الشمال ، ومن مدينتها برغش واماية . للمزيد انظر ابن الأبار : الحلة السراء، ج ١ ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) شريش : من كور شذوفة بالأندلس ، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلا على مقربة من البحر يكثر بها شجر الكروم وشجر الزيتون والتين . للمزيد الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٤٠ .

(٣) ابن أبي زرع : الانيس ، ص ٣٥٩ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٧ ، ٤٣٣ .

(٤) السلاوي: الاستقصا ج ٣ ، ص ٧٤ ، إبراهيم حركات : الاقتصاد المريني ، ص ١٣٥ ، عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي ، ص ١٧١ .

(٥) أرغون : هو اسم بلاد غربية بن شانجة وتشتمل على بلاد ومنازل وأعمال كثيرة ، للمزيد انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٢ .

(٦) ابن الحاج : فيض العباب ، ص ١٠٠ ، محمد المنوني : ورقات ، ص ١٤٣ ، عبد الهادي التازي : مرجع سابق، ص ١٩٤ .

ومع بداية حكم أبي عنان المريني للدولة المرينية (٧٤٩ - ٧٥٩ هـ / ١٣٤٨ - ١٣٥٨ م) عقد عدد من المعاهدات لضمان الحركة التجارية للمغرب ، حيث عقد صلحا مع ملك أرجون برדרو الرابع مدته أربعة عشر شهراً ، وهو يضمن حرية السفر والمتاجرة لرعايا الدولتين .^(١)

أرسل ملك البرتغال وفد إلى السلطان أبي عنان عام ٧٥٧ هـ / ١٣٥٨ م ، كما أرسل ملك قشتالة هدية عبارة عن بنغال وطلب منه عقد معاهدة صلح ، وأيضا صاحب مورقة طلب الصلح ، وعقد معاهدة مع جنوة للحد من عمليات القرصنة وتحديد نوعية الضرائب المفروضة على التجار الجنوبيين بالموانئ المغربية كل ذلك كان له اثره في التعاملات التجارية .^(٢)

وبموجب المعاهدة التجارية التي عقدها السلطان أبو عنان عام ٧٥٧ هـ / ١٣٥٨ م مع البيزيين صار وكلاء الشركات الميورقية والقطالونية والجنوية موجدين بمدينة فاس.^(٣) أعطت هذه المعاهدات امتيازات كثيرة للدول الأوربية مما أثر على التجارة المرينية .

اشتهرت الأندلس بصناعة المنسوجات الحريرية واحتلت مكانه كبيرة في المجتمع الاندلسي ، ومن أهم هذه المدن التي اشتهرت بالمنسوجات الحريرية المرية^(٤) Almeria

(١) ابن الحاج: مصدر سابق ، ص ١٠١ ، ١٠٢ Los Documents Arabs ,p. 205-206

(٢) ابن الحاج: المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، محمد المنوني : ورقات ، ص ١٤٣ . عبد الهادي التازي : مرجع سابق ، ص ١٨٣ . مصطفى نشاط : إطلاعات ، ص ١٥٧٤ Los Documents ;op,p.211.

(٣) عبد العزيز العلوي : علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية في المغرب المريني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب ، ص ٢٦٧ Dufourcq:cit.p.143

(٤) المرية: المرية هنية مرية ، بحرية برية ، محط التجار ، وبلد الكتان والأعناب والزيتون والرخام ، فهي مدينة كبيرة جنوب شرق الأندلس ، فتعتبر قاعدة الاتصال الاقتصادي بين أوروبا والمغرب الأقصى ، بنيت عام ٨٣٤ هـ / ٩٥٥ م ، على يد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ، وسقطت في يد الألبان عام ١٤٩٠ م / ٨٩٥ هـ فهي تسمى مريه النم . للمزيد انظر الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٥٦٢ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ . باقوت الحموي : معجم البلدان ، ص ١٩٩ .

قرطبة Cordaba لقتت^(١) Alcamte واشبيلية Sevilla^(٢) وغرناطة^(٣) ومالقة Malaga^(٤) ودلاية Delias^(٥)

حملت إلى أسواق مدينة فاس عدد كبير من السلع الأندلسية ، حيث اشتهرت الأندلس بإنتاج الرخام والخزف فالرخامة التي وضعت بمسجد القرويين بفاس كانت من الأندلس فكانت تكثر

(١) لقتت : هي إحدى مدن الأندلس على الساحل وبينها وبين دانية سبعون ميلا ، وهي مدينة صغيرة عامرة وبها فواكه من تين وأعناب وبها سوق ومنجد جامع وقصبة منبعة . للمزيد انظر الحميري : صفة جزيرة العرب ، ص ١١١ .

(٢) اشبيلية : المدينة المنبسطة ، وهي عامرة ويكثر بها شجر الزيتون والتين ، وأجود أنواع القطن وقصب السكر للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ١٤ .

(٣) غرناطة : معناها الرمانة ، فهي الشعار التاريخي لها تقع في واد عميق ، التين والأعناب والقسطل والجوز ، أصبحت عاصمة لبني الأحمر ، ومن أشهر مساجدها مسجد غرناطة الجامع ، ومن آثارها قصر الحمراء للمزيد انظر ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ٩٩ ، للقلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢١٦ ، ابتسام سالم : مدن لها تاريخ ، سلسلة إصدارات الفلق الإلكترونية ، (٢) ص ٧ .

(٤) مالقة : هي مدينة ساحل البحر المتوسط ، جنوب شرق الأندلس يرجع تأسيسها للفقهاء عام ١٢٠٠ ق.م ، وتشتهر بالأسماك المملحة ، ويوجد بها أنواع كثيرة من الفاكهة ، ولها شهرة واسعة في صناعة الفخار والمصنوعات الجلدية والحربية . للمزيد انظر المقرئ : مصدر سابق ج ١ ، ١٨٦ ، ياقوت الحموي : مصدر سابق ج ١٧ ، ص ٣٦٧ ، للقلقشندى : مصدر سابق ج ٥ ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٥) دلاية : هي من إحدى القرى التابعة لولاية المربة ، ويوجد بها الحرير والملح والأغنام . للمزيد انظر ابن الخطيب معيار الاختيار ، ص ٩٩ .

الادريسي : مصدر سابق ، ص ٢٠٢ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٨ ، المقرئ : مصدر سابق ج ١ ، ص ١٨٧ ، ج ٤ ، ص ٢٠٧ ، محمد احمد أبو الفضل : تاريخ المربة الأندلسية في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية ، ١٩٩٦ ، ١٧٠ ، أمل ربيع : مصدر سابق ، ص ١١٤ ، ريكاردو كوردوبادى دى لالاف الصناعات المتوسطية في القرن الرابع عشر ، ترجمة إسحاق عبيد ، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٤٦ .

الفنون الخزفية فوجد بمدينة فاس أنبة مصنوعة من الخزف استخدمه باعة الحليب يسمى بالمايورقي أو المالقي وكان الأكثر انتشاراً في الاستعمال .^(١)

وصدرت الأندلس لأسواق مدينة فاس الأحجار الكريمة المعادن كالباقوت الأحمر والمرجان ، والذهب والفضة والعاج والقصدير ، والزئبق والكبريت الأحمر وأيضاً معدن الكحل ، والبلور والزليج والعاج .^(٢)

اشتهرت الأندلس بتصدير كميات كبيرة من زيت الزيتون إلى مدينة فاس الذي كان يحمل من مدينة اشبيلية ، وكانت تصدر الاواني والتحف الزجاجية ، والفخار المذهب. ولكنرة مصانع الطراز باشبيلية وقرطبة ، قاموا بتصدير كميات كبيرة من الأقمشة المقصبة والمصممة لصنع الأريّة التي تلبس في الاحتفالات بمدينة فاس .^(٣)

كانت السفن الأندلسية وخاصة الآتية من اشبيلية تحمل بعض السلع من حبوب وأنواع من الغلات والطعام والفواكه كالخوخ والمشمش، ثم تعود بالتين والعنب والقطن وزيت الزيتون .^(٤)

انفردت مدينة شاطبة^(٥) وقرطبة بصناعة الورق التي ارتبطت بصناعة تفسير الكتب وتحولت من مجرد كسوة للكتاب إلى زخرفة وتلوين وتهذيب ، فوصل للمدن المغربية وأسواق

(١) الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٩٢ ، كولان : الأندلس ، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، سنة ١٩٨٠ ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، أمل ربيع : مرجع سابق ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) أمين الطيبي : مرجع سابق ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٣) العذري: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والممالك ، المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد ، ١٩٦٥ ، ص ٩٥ ، ٩٦ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٣٩ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ١٩ ، ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٢٠٨ ، المقري : مصدر سابق ج ١ ، ص ١٨٧ ، كولان : مصدر سابق ، ص ٩٩ ، ١٨١ ، عز الدين موسى : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

(٤) الحميري : مصدر سابق ، ص ١٩ ، ابن جبير : رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ص ٩٧ ، التاتلي: التشوف ، ص ١٦٩ ، كارمن تريولومان خوسية : الزراعة والطعام في القرن الرابع ، ترجمة إسحاق عبيد، مكتبة الإسكندرية ، ص ٣٠٦ ، عادل سعيد بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٧٢ .

(٥) شاطبة : هي من كوره بلنسية بمنطقة شرق الأندلس ، وهي مدينة جبلية حسنة يحيط بها الوادي ويعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ، ويعم المشرق والمغرب للمزيد انظر الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٩٢ ، الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٣٧ ، محمد القاسي : الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البيئة ، الرباط ، العدد ٣ ، ١٩٦٢ ، ص ٣٤ .

مدينة فاس . (١)

أخذت العلاقات الأندلسية ترتقي بصورة كبيرة فأساطيل الموانئ الأندلسية اشبيلية ومالقة والمرية أصبحت تنقل الصناعات المختلفة من الأغذية والمطرزات والسجاد والمجوهرات المرصعة والجلود والورق . (٢)

وكان يصل إلى أسواق مدينة فاس كميات كبيرة من الحرير الخام من مدينة غرناطة التي كانت تنتج بكثرة . (٣) ومن مدينة مرسية آلات السفر والسكاكين وآلات العروس، ومن المرية زيت الزيتون فكانت مختصة بعصر الزيوت . (٤) وإلى جانب ذلك الأحذية فوجد بمدينة فاس أنواع من الأحذية الأندلسية كالسباط وهو حذاء بدون كعب تبقى معه رقبة القدم مكشوفة . (٥)

كانت أسواق مدينة فاس مليئة بالسلع الأندلسية كالمنسوجات والزيوت ، والأحجار الكريمة الياقوت واللؤلؤ والعاج والفراء ، والمعادن كالزئبق والقصدير والرخام والخزف ، والعبود ، والكومون والزعفران والتين الاشبيلي فكان كبير الحجم ولونه أسود داكن . (٦)

كان التجار الأندلسيون يأتون بسلع عديدة من أسواق مدينة فاس كالعبود الزنوج ، وبعض المنتجات الزراعية مثل الفستق والتوابل ، وأيضا الأقمشة والمصنوعات اليدوية والذهب والفضة والعقاقير والعنبر، والصوف الخام . (٧)

(١) الإدريسي: مصدر سابق ، ص ١٩٢ ، ابن سعيد :المغرب في حلى المغرب ، ج١ ص ٤٢٤ ، أمل ربيع: مرجع سابق ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة نوقان قرقوط ، منشورات مكتبة الحياة ، ص ٥٩ . إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ٨٤ . ف . هاید : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في المصور الوسطى ، ج٤ ، ترجمة احمد رضا محمد ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ٢٢ .

(٣) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج٢ ، مطبعة الخانجي ، مصر والمثلثى بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ٤٩٥ المقري: مصدر سابق ج١ ، ص ١٨٧ .

(٤) توري : مرجع سابق ، ص ٦٢٥ ، محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

(٥) أوليفيا : مرجع سابق ، ص ٢٣٣ : ٢٧٧ ، عبد الله العروى : مجمل تاريخ المغرب ، ج٢ ، المركز الثقافي العرب ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٢٦ ، عادل بشتاوي : مرجع سابق ، ص ٧٤ .

(٦) عادل بشتاوي: مرجع سابق ، ص ٧٤ ، أوليفيا : مرجع سابق ، ٢٢٣ ، ٢٤٣ ، أمين الطيبي : مرجع سابق، ص ١٥٢ .

7 M.L . Demas Latrrie: Trats de Paix et de Commerce,Les Arabs deL' Afrique SePtentrionale,Paris, 1866, P 376

اكتسب البحر المتوسط في القرن الرابع عشر الميلادي ، الثامن الهجري دفعة حيوية من خلال التجارة مع بلدان الشرق من خلال طرق القوافل التجارية التي تصب في البحر المتوسط، فالقوافل كانت تصل لمدينة فاس التي كان بها جنسيات كثيرة من جنوبيين أو إيطاليين ، وقطالونيين وقشتاليين وبرتغاليين .^(١)

وقد وفرت مدينة فاس فنادق خاصة للتجار الأوروبيين وأقاموا بها كافة المرافق الضرورية للإقامة .^(٢) وجدت بأسواق مدينة فاس أنواع عديدة من الأقمشة ، منها قماش الكامبري (Cambray) وهونسيج الكتان الأبيض الدقيق الناصع ويأتي من منطقة Cambrai شمال فرنسا، والأقمشة الكتانية والحريرية والتي كانت تأتي من جنوة إلى أسواق مدينة فاس وجدت القلنسوة الأرجوانية .^(٣)

كان لظهور قوة بيزة وجنوة البحرية والاقتصادية في شطري البحر المتوسط ثراً واضحاً على سير التجارة الأوربية ، فحمل تجار المدينتين بضائع عديدة من أسواق فاس من ذهب وخبول وزيت الزيتون ، والأقمشة الكتانية ومواد الصباغة كالزعفران واللاك والعود والمسك والتوابل وخاصة الفلفل ، والتين المجفف ولوانى نحاسية وملح النشادر وجلود الماعز .^(٤)

سيطر الجنوبيون والبنادقة والقطالونيون على حركة التجارة بين ثغور البحر المتوسط فكانوا يتقننون جميع الأنشطة التجارية .^(٥)

(١) فيليبوسولا: البحر المتوسط للمركز الحيوي للقرن الرابع عشر ، ترجمة إسحاق عبيد ، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٦:٤٨ .

² Dufourcq ; OP , Cit, p. 70.

(٣) الوزان: مصدر سابق جـ١، ص٩٧، مارمول: مصدر سابق جـ٢، ص ١٧٥ ، المقرئ: مصدر سابق جـ٢، ص ٢٢٣ ، أمين الطيبي: جولنب من النشاط الاقتصادي في المغرب في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي من خلال رسائل جنيزة القاهرة ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ ، محمد مقر: مرجع سابق ، ص ١٥٧، ١٥٦ .
Millas (J.M):Vallicrosa,"ELCultivo Del Algodon en la Espana arabe,Bolet in de la real Academia de la historia 139, 1956, p.p 463 .

(٤) ارشبيالد لويس: القوى البحرية ، ص ١٢٩ ، ٣٩١ ، أمين الطيبي ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ ، عبد العزيز العلوي: مرجع سابق ، ص ٢٧٦ .

(٥) محمد عبد الله عنان: رواية مصرية عن المغرب والأندلس ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الخامس عشر ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٩٩ .

اتخذ الجنوبيون أسواق مدينة فاس منفذاً لبيع أقمشة جنوه والجلود والمصنوعات الجلدية والصوف والشب والورق ، وكان تجار مرسلية يصدرون السلاح والزرايبى والشمع والمعادن ويعودوا بالفضة والذهب والحبوب الزراعية . (١)

عمل عدد من التجار القطالونيين فى تجارة العبيد والتي يحصلون عليها من أسواق فاس. (٢) ومن السلع التي وجدت بأسواق مدينة فاس الشمع والجلد والكمون والسكر والحريير المصنوع من فرنسا ، ومن إيطاليا ومرسيليا ومالقة الفخار المذهب الفاخر. (٣)

ظل التجار النصارى يحملون مختلف البضائع إلى أسواق مدينة فاس ، مثل الودع ومصنوعات الزجاج والعمود ، وخصوصا لبنان جاوة والمسك فمدينة البندقية كانت تصنع الأقذاح والكؤوس واللؤلؤ والحلي ومصنوعات من عظام الحيوانات ، وبعض المواد الصباغية الخام وقطع الحديد الممغنط . (٤)

حصل التجار البنادقة على الدينارات الذهبية والنحاسية مما جعلهم يقوموا ببيع المنتجات الواردة من الشرق من بهارات وأحجار الشبة ، فجذبت البضائع للفاسية تجار البلاط الأرغوانى من الجلد المصنع والخام والأصداف ، والحبوب لانخفاض أسعارها . (٥)

(١) الإدريسي: مصدر سابق ، ص ١٧٦ ، أمين الطيبي: مرجع سابق ، ص ١٣٩. إبراهيم حركات : مرجع سابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

٢ M.L. Demas Latrie : op, cit, p.116 .

(٣) عبد الهادي التازى : التاريخ الدبلوماسي ، ص ١٩٢ . ريكاردو: مرجع سابق ، ص ٢٤٦ : ٢٤٩ . هايد : مرجع سابق ، ص ٢٢٢

Dafourcq: l'avia catalane, p.p 68 . M.L. Demas Latrie: op, Cit, P.215.

(٤) عبد العزيز العلوي : مرجع سابق ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٨ . مصطفى نشاط: ملاحظات حول المعاهدات التجارية، ص ١٦٢ .

(٥) مصطفى نشاط: ملاحظات حول المعاهدات التجارية ، ص ١٦٢ .

٦- أسواق فاس وأسواق السودان الغربي

أصبحت تجارة القوافل عبر الصحراء من أهم ما تميزت به التجارة بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني ، وأصبح السودان الغربي ^(١) مقصدا لهذه التجارة وخاصة مدينة مالي التي أصبحت إمبراطورية كبرى ، بعد أن استطاع سندياتا كاتيا (١٢٣٠-١٢٥٥م / ٦٣٠-٦٥٥هـ) توحيد السودان الغربي وإقامة إمبراطورية شاسعة ضمت كل الممالك التي قامت على انقاض مملكة غانا عام ١٢٤٠م / ٦٤٠هـ ، فأصبحت بمثابة ممرات للقوافل التجارية . ^(٢)

ساعدت العلاقات التجارية بين فاس والسودان الغربي على نشر الصلات الثقافية فلا يستبعد أن يكون العلماء قد مارسوا التجارة في بلد الذهب فقد ساهم العلماء بفاس فى العلاقات التجارية . ^(٣)

كانت القافلة التجارية المغربية والتي تخرج من مدينة فاس ، تسلك الطريق المسمى بطريق السلطان وهو طريق فاس سجماسة عبر صفرو ، وكانت تصلها بعد عشرة أيام وبوصول القوافل إلى سجماسة تعبر إلى تغازة وولاتة ومنها إلى مدن السودان الغربي ويعتبر هذا الطريق من أهم الطرق التجارية المغربية حيث ربط بين طرق التجارة الداخلية والخارجية للمغرب . ^(٤)

(١) السودان الغربي: أطلق الجغرافيون والمؤرخون والرحالة العرب في العصور الوسطى على المناطق الواقعة فيما وراء الصحراء الكبرى وشمال خط الاستواء ، والممتدة من البحر الأحمر شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا اسم السودان ، وعرفوا السودان الغربي بأنه المناطق الواقعة بين حوض نهري السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر والمجرى الأعلى لنهر فولتا والحوض والساحل. للمزيد انظر ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ١٢ ، ص ٤١٧ ، بوفيل تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، نقله للعربية أبو لقمة وآخرون ، ط ٢ ، بنغازي ، ١٩٨٨ ، ص ٢٩ ، أمين توفيق الطيبى : الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الإيجابي في السودان الغربي في القرون الوسطى ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥٩ . الهادي المبروك الدالي : لتاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٩ ، ص ١٧ .

(٢) العمري: مصدر سابق ، ص ٦٠ ، قاسم الزهيرى: الممالك الإسلامية القديمة في إفريقيا مملكة مالي ، مجلة دعوة الحق ، العدد الثامن والتاسع ، السنة الخامسة ، ١٩٦٢ ، ص ٦٦ . فيج جى دى : تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة وتعليق السيد يوسف نصر ، دار المعارف ط ١ ، ١٩٨٢ ، ص ١٩ .

(٣) عبد العزيز العلوي: فاس والتجارة ، ص ٧٨ .

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص ٣٠٥ ، عبد العزيز العلوي: علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية ، ص ٢٦٤ لوطورنو روجية : فاس قبل الحماية ، ص ٤١٨ .

Mauny,(R):TabLeau ge'ograPhique de L'OuesT aFricain ,d,apre's Les Sources 'ecrites,laTradition 'arch'eoloGie,DaKar,IFAN,1961,P.428-437 .

فتحكمت مدينة فاس فى طريقيين تجاريين دوليين وكان أهمهم الطريق الذى يتوغل فى الصحراء جنوبا الى السودان الغربى ، فالتجارة الصحراوية ارتبطت بتجمعات حضرية بفاس . (١)

يتضح لنا من خلال رحلة ابن بطوطة للسودان الغربى ان القافلة التجارية المتجهة إلى السودان الغربى تعتمد فى تحركاتها على (الكشاف) والدليل ، فالكشاف يقوم بإرسال الرسل للبدن التى يمرؤ بها لكى يقوموا باستقبالهم وتجهيز الماء والطعام ويحصل الكشاف على مائة متقال من الذهب . (٢) أما الدليل فكان عارف بأسرار المسالك الصحراوية وذلك لكثرة تردده عليها . (٣)

ويوضح لنا ابن بطوطة أن الدليل الذى كان برحلته لمالى كان أعور العين الواحدة مريض الثانية وهو أعرف للناس بالطريق . (٤) احتفظت السلطة المرينية بأسرار التجارة القوافلية واعتبرته سرا من أسرارها . (٥)

واجهت القوافل التجارية الكثير من الصعوبات والمشاكل ومنها قلة المياه ووهج الحر والرياح المفاجئة إلى جانب قاطعوا الطرق . (٦) ورغم ذلك النشاط التجارى بين فاس والسودان الغربى كان نشيطا ومستمرًا .

كانت للقافلة التجارية مواعيد محددة من السنة حيث يكون الجو ملائما لهذه الرحلات وغالبا تكون فى فصل الخريف . (٧)

(١) عبد العزيز العلوي : فاس والتجارة ، ص ٨١ .

(٢) ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص ٧٧٣-٧٧٥ ، ماجدة كريمي: العلاقات التجارية بين المغرب والسودان على عهد المرينين دعوة الحق العدد ٢٦٩ ، إبريل مايو ١٩٨٨ ، ص ٢٥٢. حسن حافطى علوي: التبادل التجارى بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى العصر الوسيط ، مجلة المناهل ، العدد ٣٣ ، منشورات المملكة المغربية ، ص ٢٥١ .

(٣) ابن خلدون: مصدر سابق ج٧ ، ص ٧٧ ، Mauny: Tableau ge'ograPhique, op,p.401

(٤) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٧٧٥ .

(٥) مصطفى نشاط : إطلالات ، ص ١٠٩ .

(٦) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ١١٣ ، أبو الفداء: مصدر سابق ، ص ١٣٧ .

(٧) ابن بطوطة: نفسه ص ٧٧٤ ، حسن حافطى علوي: مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

ويرى بعض المستشرقين ان القافلة كانت تنطلق في فترة الشتاء . (١) ويذكر لنا الوزان أن الطريق من فاس لتتبكت (٢) كان يوجد به عدد من الآبار ومكسوة بجلود الإبل وهذا الطريق للسفر شتاءً فقط حيث يكثر به الرياح التي كانت تحمل معها الأتربة فتعمل على تغطية الآبار . (٣)

لقد كانت القوافل تتجمع بمدينة فاس قبل أن تتحرك إلى أي مكان بالمغرب الأقصى متجهة إلى السودان الغربي ، وكانوا يفضلوا طريق فاس سجلماسة سواء للتجارة أو لموسم الحج . (٤)

تميزت مالي بنور تجاري مهم حيث أنها كانت بمثابة سوق كبير يستقبل الذهب من مختلف مناجمه واستقبال القوافل التجارية الآتية من شمال المغرب . (٥)

سيطرت مدينة فاس على التجارة الدولية التي تمتد إلى جنوبي الصحراء ، بحكم أنها قاعدة وحاضرة للمغرب الأقصى في العصر المريني . (٦)

و سيطرت مالي على تجارة السودان الغربي حيث يصفها كعت " كانت مملكة مالي غنية جداً ولم يكن هناك أجمل منها في العالم بأسره سوى الشام " . (٧)

ومن أهم ما يميز العلاقات بين فاس وإمبراطورية مالي هو اهتمام الحكام بطرق التجارة وتأمين المسالك ، وإمداد القوافل بالمياه عن طريق حفر الآبار على طول الطريق ، و في سبيل ذلك يتقاضوا ضريبة ربع دينار على كل حمولة للجمل الواحد . (٨)

Mauny : op ,cit 401.

(١)

(٢) تتبكت: تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى ، منحني نهر النيجر ويكثر بها التجار والحوادث مما جعلها أفضل المراكز التجارية بالسودان الغربي. للمزيد انظر الوزان: مصدر سابق، جـ ٢، ص ١٦٥، مارمول: مصدر سابق، جـ ٣، ص ٢٠١.

(٣) الوزان: مصدر سابق ، جـ ١، ص ٧٥ ، ٧٦ .

4 Brignon (J):histore du maroc , ca sa blanca, 1974,p,185.

(٥) ماجدة كريمي: مرجع سابق ، ص ١٩٥ .

(٦) الحموي: معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٣٠ ، الحميري: مصدر سابق ، ص ٤٣٤ .

(٧) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، نشر . هوانس ، ودولافوس ، باريس ، ١٩١٣ ، ص ٦٧ .

(٨) الوزان : مصدر سابق جـ ١، ص ٧٦ ، جـ ٢، ص ١١٢ .

ارتبطت أسواق مدينة فاس بأسواق السودان الغربي ارتباطا وثيقا ، وذلك لوجود علاقات الود والمجاملة منذ أيام السلطان أبى سعيد عثمان (٧١٠-٧٣١هـ / ١٣١٠-١٣٣١م) مع السلطان منسا موسى * .^(١)

توافدت السفارات والهدايا بين البلاط المرينى وبين بلاط نيانى فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى (٧٣١-٧٥٢هـ / ١٣٣١-١٣٥١م) ومنسا موسى ، وذلك بمناسبة فتح أبى الحسن المرينى لمدينة تلمسان .^(٢) رأس ابن بطوطة الوفد المرسل من السلطان أبى عنان المرينى (٧٤٩- ٧٥٩هـ / ١٣٤٨-١٣٥٨م) إلى إمبراطورية مالى فى عهد السلطان منسا سليمان .^(٣) قام السلطان منسا جاطة بارسال هدية فى عام ٧٦٢هـ للسلطان أبى سالم المرينى (٧٦٠-٧٦٢هـ / ١٣٥٩-١٣٦١م) ومن ضمنها زرافة جميلة .^(٤) وفى عهد مارى جاطة سافر إلى مالى آلاف التجار من المغرب الأقصى عن طريق الصحراء .^(٥)

كانت مدينة فاس دائما فى حاجة إلى كميات كبيرة من السلع التجارية من ذهب لسك العملات ، ورقيق للبلاط السلطانى وعاج وريش النعام ، فالمدينة كانت تحتوى على عدد كبير من

* منسا موسى : هو موسى بن أبى بكر بن سالم التكرورى ، ويلقب بالأشراف وكلمة منسا معناها الملك أو السلطان ، وكان من أعظم ملوك السودان الغربي وأوسعهم بلادا وأكثرهم عسكريا وأعظمهم مالا وأقهرهم للأعداء وأقدرهم على إقاضة النعماء . للمزيد انظر للعمري : مسالك الأبصار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٩٣ .

(١) السلاوى : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ١٥٢ ، إبراهيم حركات : سياسة المغرب الخارجية فى عهد بني مرين ، دعوة الحق ، العدد السابع ، السنة السابعة ، إبريل ١٩٦٤ / ذو الحجة ١٣٨٣هـ ، ص ٤٧ .

(٢) ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٧ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، السلاوى : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ١٥١ . إبراهيم حركات : سياسة المغرب ، ص ٤٧ ، محمد عبد العزيز الدباغ : بنو مرين من خلال رحلة ابن بطوطة ، دعوة الحق ، العدد السابع ، السنة الخامسة ، ١٩٦٢ ، ص ٣٩ . قاسم الزهيري : مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٣) بوفيل : مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٤ . مصطفى نشاط : مرجع سابق ، ص ٨٣ .

(٥) عثمان براىما بارى : جذور الحضارة الإسلامية فى الغرب الافريقى ، دار الأمين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٤١ .

السكان فوصل عددهم مائة ألف نسمة في الفترة ما بين القرنين العاشر والسادس عشر الميلادي /
الرابع والعاشر الهجري . (١)

ومن السلع الهامة التي كانت تأتي إلى أسواق مدينة فاس ، التبر والمسك والعنبر والجلد
والعاج والجوز والشب والأسواط التي تسمى بالسراقيات ، من خلال القوافل التجارية المارة
بسجلماسة أو عن طريق القوافل الآتية من مدينة ونقارة . (٢)

كان عدد كبير من تجار فاس يترددون على مدينة ولاته والتي كانت أكبر المدن التجارية
في السودان الغربي خلال القرنين الثالث والرابع عشر الميلادي / السابع والثامن عشر الهجري ،
حيث تمتعت بمكانة تجارية مرموقة . (٣)

ارتبط النشاط التجاري الصحراوي بالذهب والملح والرقيق والعاج ، وجليد اللط فهو من
أفضل أنواع الجلود والحناء ، والذهب الذي كانت مدينة فاس تستخدمه في صنع بعض
المنسوجات المطعمة به ، والأساور والأقراط التي يتم تصديرها مرة أخرى للسودان الغربي . (٤)

(١) الإدريسي: مصدر سابق، ص ٢٤٦، التالي: مصدر سابق ، ص ٢٨٢ روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية ، ص
٣٨٦ . عبد العزيز العلوي: مرجع سابق ، ص ٧٩ ،

Brignon (J): op. cit 185.

(٢) للبكري: مصدر سابق ، ص ١٥٩، الإدريسي: مصدر سابق ، ص ٢٥ ، الاستبصار: ص ٢١٤ ، القزويني :
مصدر سابق ، ص ٢٥، ابن الخطيب : الإحاطة جـ ٢ ، ص ١٩٢ ، عبد العزيز العلوي : فاس والتجارة
الصحراوية ص ٨٩ ، Mauny: op . cit ,376

ونقارة : في أرض السودان قريبة من غانة ، وهي جزيرة يحيط بها النيل من كل جهة ويتصرفون في التجارات
والبيضائع ، يزرعون الذرة وشجر التوت والتين بكثرة للمزيد انظر ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٦١١ .

(٣) السعدي: تاريخ السودان ، نشر هوداس وبنوا، باريس ١٩٨١ ، ص ٢١ ، ماجدة كريمي: مرجع سابق، ص ١٩٢
(٤) القزويني : مصدر سابق ، ص ٢٦ ، ابن سعيد : بسط الارض ، ص ٤٧ ، للمعري : مصدر سابق ، ص
٧٤ ، ٢٠٢ القلائشي: مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩ ، التالي : مصدر سابق ، ص ٢٨٢ ، الوزان : مصدر سابق
جـ ٢ ، ص ٢٦٣ ، مارمول : مصدر سابق ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، المقري : مصدر سابق ، ص ٢٠٥ ، احمد
الشكري: مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، ١٩٩٧ ، ص ٢٨ ،
ماجدة كريمي: مرجع سابق ، ص ٢٥٢-٢٥٤ .

كانت مدينة جاو من أهم المراكز الخاصة بتجارة الملح والعاج المستخدم في صناعة الآواني ومناير المساجد وتزين الخيول ، فكانت سوقا رائجا لتجارة الخيول ، وكانت مدينة جني^(١) ملتقى أرباب الملح من ونقارة والذهب من معدن بيتو ، ويرجع ذلك بفضل وقوعها على جزيرة فتوافر بها الأمن والهدوء اللازمين للنشاط التجاري وساعد على ذلك أيضا اهتمام حكام مالي بها ، فأصبحت من أكبر الأسواق التجارية بالعالم الاسلامي لاستقبال البضائع المغربية القادمة عبر الصحراء ، وبوجود القرصنة تحول الطريق إلى مدينة تنبكت .^(٢)

اشتهرت مدينة تكدا بالنحاس الذي يستخرج من صحراء أكاديس ، وكان هذا المعدن يحظى باهتمام تجار مدينة فاس لسد حاجاتها منه لاستخدامه في الصناعات النحاسية.^(٣)

ومن السلع الهامة بالسودان الغربي العبيد فكان تجار مدينة فاس يجلبون أعدادا كبيرة وكانت مدينة تنبكت أهم مراكز لبيع العبيد ، فوجد بفاس سوق الخضر لبيع وشراء العبيد ومنازل متخصصة لبيع العبيد فاستخدم الجوارى وفي القصور المرينية وعملوا في الطبخ ، والبعض الآخر انجبوا من السلاطين المرينيين أبناء ورثوا الحكم كأبي الحسن المريني.^(٤)

(١) جني: أسست مدينة جني حوالي ٨٠٠ ميلاديا ، تقع على خط عرض ٣٥-٣١ شمالا وخط طول ٩ شرقي جرينتش، للمزيد انظر دائرة المعارف الإسلامية ، مادة جني ، مج ٥ ، ص ١٤٥ .

(٢) الوزان: مصدر سابق ، ص ٢٦٣ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١١ ، محمود كعت : مصدر سابق، ص

Bovill: The golden trade of The moors p.102 : Mauny: op.cit.p.382.١٧٥

Djibril Tamsir Niane:Le Soudan Occidental Au temps des grands Empires , XI^e - XVI^e siècle . paris , 1965 .p.p 64,65.

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٧٩٩ ، زاهر رياض : الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة للذهب عبر الصحراء الكبرى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٢٤ ، محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، نشأته وإثاره ، إشراف نقولا زيادة ، مؤسسة الفليح للطباعة والنشر ، الكويت ، الجزء الأول ، ص ٤٨ ، فيج جسي دى : مرجع سابق ، ص ٤٠ ، ماجدة كريمي : مرجع سابق، ص ٢٥٣، ١٩٦٠ . بوفيل : مرجع سابق ، ص ١٦٦ . عبد الهادي لتازي: التاريخ الدبلوماسي ، ج ٧ ، ص ٥٢ .

(٤) ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١٧٦ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٧ ص ٢٠٥ ، الوزان: مصدر سابق، ص ٢٨٨ ، مارمول : مصدر سابق ص ١٣٥ ، السلاوي: مصدر سابق ج ٣ ، ص ٥٥ ، ٥٦ ، ماجدة كريمي : مرجع سابق ، ص ١٩٩ .

فكانت القافلة التجارية التي عاد فيها ابن بطوطة تضم ستمائة امرأة من الرقيق ، من مدينة تكدا وتنبكت التي اشتهرا بأهم مراكز العبيد التي كان يصل أعداد كبيرة منه لمدينة فاس.(١)

فوجد بمدينة فاس كمية كبيرة من العبيد مابين خمسة عشر وعشرين عبدا مقابل فرس واحد ، وإن دل ذلك فلا يدل إلا على الغلاء الباهظ الذي انتهت اليه هذه السلعة ، وكان السبب المباشر لغلائها هو انعدامها بالسودان الغربي . (٢)

استخدم سلاطين بنو مرين الخصيان في قصورهم بمدينة فاس الجديد وأصبحوا حرسا خاصا لهم ، واعتقوا البعض الآخر مثل السعود بن حرباش الهاشمي وعينه ابوبكر بن عبدالحق (٦٤٦-٦٥٦ هـ / ١٢٤٦-١٢٥٦ م) واليا على مدينة فاس ٦٤٩ هـ / ١٢٤٩ م . (٣)

استطاع ملوك مالي تحقيق أرباح وفيرة من خلال الرسوم التي فرضوها على العمليات التجارية الآتية من المغرب ومنها المنسوجات الحريرية المصبوغة ، والخيول التي كانت غالية الثمن . (٤)

ومن السلع التي وصلت من مدينة فاس إلى السودان الغربي ، خشب الصنوبر وخشب الأرز وخرز الزجاج من أساور وخواتيم ، والنحاس المسبوك والملون والصناعات النحاسية ، والآلات الحديدية والأحجار الكريمة والودع والملح والبخور والأصداف والسلع العطرية والقرنفل وتاسرغيت ، والحناء والتالكوت . (٥)

(١) ابن بطوطة: نفس الصفحة ، بوفيل: مرجع سابق ، ص ١٧٢ ، زاهر رياض: مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

(٢) الوزان: مصدر سابق ، ص ١٧٠ ، ماجدة كريمي: مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

(٣) ابن خلدون: نفس المصدر والجزء ، ص ١٩٩ ، السلاوي: مصدر سابق جـ ٣ ، ص ٨٥ ، الوزان: المصدر السابق ، ص ١٦٦ ، مارمول: مصدر سابق ص ١٦٥-١٧٣ .

(٤) الإدريسي: مصدر سابق ، ص ٧ ، الاستبصار: مصدر سابق ، ص ٢٢٠ ، الوزان: مصدر سابق جـ ٢ ، ص ١٦٩ ، ١٧٧ ، مارمول: مصدر سابق جـ ٣ ، ص ٥٤١ ،

(٥) الإدريسي: نفسه ص ٣٧ ، ٤٢ ، القزويني: مصدر سابق ، ص ١٩ ، الاستبصار: نفس المصدر ، ص ٢٢٢ ،

أبو الفدا: المختصر ، ص ٩٦ ، التادلي: مصدر سابق ، ص ٢٨٢ ، ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص ٧٧٩ .

تميزت مدينة فاس بالمنسوجات وصناعة النسيج والتي كانت تمد بيهم التجارة الصحراوية ، فكانت من أهم المدن المغربية في صناعة المنسوجات سواء المنسوجات المطرزة و الصوفية والقطنية والكتانية والحريرية . (١)

ويوضح لنا الوزان أن المنسوجات القطنية والأقمشة المجلوبة من مدينة فاس توجد بكثرة في مدينة تنبكت . (٢)

لاقت الصناعات الحرفية رواجاً كبيراً بالسودان الغربى ، حيث كان فى حاجة شديدة إليها ومنها الأواني والحلي النحاسية والأسلحة . (٣) والمصنوعات الحديدية كالكساكين وركاب الخيول والفخار الفاسى والأدوات والحلي الزجاجية . (٤)

وكانت للمنتجات الزراعية سوقاً رائجا بالسودان الغربى حيث كانت القوافل التجارية تحمل التين المجفف والزبيب، والحبوب من قمح وشعير والذرة والنباتات المعطرة للمشروبات. (٥)

وكان لليهود دور كبير فى التجارة مع السودان الغربى وكان لهم بمدينة فاس أسواق ومصانع ومكانة تجارية فى العهد المرينى ، حيث خصص لهم الأمير أبو يوسف يعقوب حى الملاح بالقرب من القصبة التى بها حاكم مدينة فاس . (٦) عمل اليهود على تنمية للتجارة

(١) الحميري : مصدر سابق ، ص ١٢٩ ، عبد العزيز العلوي : صناعة النسيج ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٥ ، فاس والتجارة ، ص ٢٦٥ ، Brignon (J):op,cit, p 155 .

(٢) الوزان: مصدر سابق، جـ٢، ص ١٦٥ .

(٣) الإدريسي: مصدر سابق ، ص ٢٣٢ ، ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ ، الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٣٤ ، عبد العزيز العلوي : فاس والتجارة ص ٨٦ ، إبراهيم حركات : طبيعة العلاقات ، ص ١٨٩ .

(٤) الجزنائى : مصدر سابق ، ص ٤٤ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٦ ، ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٨٠ ، Mauny : op.cit, p 374.

(٥) بوفيل : مرجع سابق، ص ١٣٤ ، ماجدة كريمي : مرجع سابق ، ص ٢٣٥ . محمد الطويل : الفلاحة ، ص ١٧٦ .

6- Corcs Davis : Jews of morocco under the marinade , The Jewish quarterly Review, IV .55, 1964 -1965 , pp 54:65 .

الصحراوية بطريق مباشر كتجار، وبطريقة غير مباشرة بالعمل كحرفين في مناجم النحاس والفضة. (١)

وبجانب اليهود وجد وكلاء تجارين من جنوة والبندقية للحصول على سلع السودان الغربى الأتية إلى أسواق مدينة فاس . (٢)

عمل عدد كبير من اليهود بالتجارة بمدينة فاس تحت حكم المرينيين فكانوا محتكرين صناعة الذهب والصياغة ، فكانوا يصدروا العسل والشمع والصوف والجلود ، وخير دليل على قيامهم بالعمل فى التجارة الصحراوية هى قيام الجالية اليهودية بالسودان الغربى برسم الخرائط التى وضحت معالم وثروات السودان الغربى ، منهم أبراهام كركس وانجلوندوليس . (٣)

وبذلك قامت أسواق مدينة فاس بدور كبير فى عملية التبادل التجارى بين أسواق المغرب كافة والسودان الغربى ، والأندلس ومصر والحجاز حيث ربطت العلاقات الدبلوماسية بين سلاطين بنى مرين وسائر الدول الأخرى بالعلاقات التجارية .

(١) Rosinberger : Les vieilles exploitations minières ler pàoTie, No17,p,75.
Brignon (J):op ,cit .p 155 .

(٢) ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١١٨ ، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ج٢ ، ص ٢٤٦ .

(٣) زاهر رياض : مرجع سابق ، ص ١٣٨ .

الفصل الرابع

المعاملات المالية والتجارية في اسواق فاس

أولاً: المقايضة

ثانياً: النقود

ثالثاً: الصكوك والحوالات

رابعاً: الموازين والمكاييل والمقاييس

خامساً: الأسعار

سادساً: الاحتكار

سابعاً: الضرائب والمكوس

ازدهرت أسواق مدينة فاس بفضل النشاط الكبير لحركة البيع والشراء فى تلك الأسواق المتعددة . وحيث أن الحركة التجارية ارتبطت بالمعاملات المالية فإن أساليب البيع والشراء وما يرتبط بها من مقايضة أو نقود وصكوك وغيرها خضعت لتنظيم الدولة تنظيمًا جيدًا ، بحيث صارت الحركة التجارية ومعاملاتها المالية تسير بأسلوب يقوم على النظام الذى وضعته الدولة لمواجهة أية انحرافات سواء فى عمليات المقايضة أو استخدام النقود أو الصكوك مع التأكيد على محاربة الغش ومراقبة دار سك النقود بالدولة .

وقد قام حكام بنو مرين بالعمل على تطوير الحركة التجارية وما ارتبط بها من معاملات مالية من خلال تعيين من يراقب الأسعار والموازن والمكاييل والمقاييس حتى يستقيم العدل والانضباط فى أسواق مدينة فاس ، والضرب على أيدي المخالفين وفحص شكاوى الناس ضد التجار أو ضد بعضهم البعض .

ومع اتساع نشاط الحركة التجارية فى مدينة فاس ظهرت بعض الحالات من الاحتكار من خلال احتكار بعض التجار لبعض السلع بهدف رفع أسعارها ، فتدخلت الدولة للقضاء على هذا الاحتكار لما فيه من أضرار بمصالح المستهلكين والتأثير على العدالة والانضباط المطلوبين لتسيير الحركة التجارية والمعاملات المالية على أحسن صورة تراها الدولة.

ومن الطبيعي أن يكون للدولة موارد من هذه الأسواق حيث تحصل منها على الضرائب من التجار مقابل حمايتهم والسهر على أمنهم والضرب على يد المفسدين فى الأسواق سواء كانوا لصوص أو تجار ، إلى جانب ما تحصل عليه الدولة من مكوس على السلع الواردة إلى الأسواق وكل هذا يمثل موردا من موارد الدخل التى حرصت الدولة المرينية على جمعها لتيسير شئونها . وفى البداية تقوم برصد وسائل التعامل فى أسواق مدينة فاس

أولا :المقايضة

تعددت وسائل التعامل فى أسواق مدينة فاس ومن بين هذه الوسائل التعامل بالمقايضة فى تلك الاسواق والمقايضة تعنى مبادلة سلع وبضائع بأخرى فالطعام كان يقايض بالزيت وتكون القيمة المحددة لسعر الطعام مساوية للقيمة المحددة لسعر الزيت .^(١)

كما سئل فقهاء فاس عن سعر البهيمة الصحيحة يقصد البقرة غير المذبوحة وتباع بالطعام أى مقابل الحبوب إلى أجل يرسم الذبح فقالوا بجواز ذلك .^(٢) كما يجوز بيع اللحم بالطعام.^(٣)

كما كان الحوت والسماك يقايض أيضا بالشعير والعصير فيكتال الشعير ليحدد ثمنه ويتم وزن العصير أيضا ليحدد ثمنه ، واخيرا يوزن الحوت ويحدد السعر وعلى هذا التحديد للسعر تتم عملية المقايضة .^(٤)

وأشار الونشريسي أيضا إلى عملية المبادلة والمقايضة بالأسواق من خلال مبادلة البيض بالنخال وذلك لانهما من باب الطعام بالطعام، فأورد مثالا للمقايضة لأجل عندما اشترى رجلا قمحا من آخر لأجل بثمن محدد ، فلما جاء الأجل أخذ الدائن زيتا عوضا عن القمح.^(٥)

فكان تجار المكائس المتجولين يستبدلون مكائسهم بالنخالة أو الرماد أو الأحذية القديمة ويبيعون النخالة إلى البقارين، والرماد إلى منظفي الخيوط والاحذية إلى الاسكافيين .^(٦) وأورد الونشريسي نازلة توضح جواز اقتضاء الطعام من ثمن الطعام والذي يبيع بالأجل فلا بد أن يكون من نفس صفة الطعام .^(٧)

وأشار الوزان إلى إن التعامل بالمقايضة لم يكن يتم فى أسواق مدينة فاس الداخلية وإنما تعدى الأمر إلى المعاملات الخارجية مع أسواق السودان الغربي ، وأسواق المدن الأوروبية مثل جنوا والبندقية . فكان يتم مقايضة الملح مقابل التبر وأيضا النحاس مقابل الأسلحة وهذا النظام لم يكن قائما لعدم وجود النقود وإنما لنقص الكميات المسكوكة وأيضا

(١) الونشريسي: مصدر سابق جـ ٥ ، ص ٢٣٨ .

(٢) المصدر السابق: جـ ٦ ، ص ١٢٥-١٢٦ .

(٣) المصدر السابق: جـ ٥ ، ص ١٠٤ .

(٤) المصدر السابق والجزء، ص ٣٦ .

(٥) المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٢٣٨ جـ ٦ ص ٧٥ ، جـ ١٠ ص ٤٣٦ .

(٦) الوزان: مصدر سابق ، ص ١٩١ .

(٧) الونشريسي : المعيار جـ ٥، ص ٩٠ .

لانتشار الدراهم والدنانير المغشوشة. ^(١) وكانت السلع التي يتم مقايضتها كما ذكر الوزان لها قيمة سعرية وعلى أساس هذه القيمة تتم المقايضة .

ثانيا : النقود

تعد النقود من أهم المظاهر الاقتصادية بالمغرب ، وخاصة مدينة فاس المرينية حيث انها تشكل مورد رئيسي للدولة من حيث التجارة الداخلية أو الخارجية ، لذلك حظيت باهتمام ملوك بني مرين الذين عملوا على تنظيمها وإدارتها ووضع علامة للسلطان للدلالة على جودتها وثبات عيارها . ^(٢)

وقد وجد بمدينة فاس خلال حكم الموحدين دارين للسكة * الأولى بعدوة القرويين والأخرى بعدوة الأندلسيين . وظلت على ذلك إلى أن قام الخليفة أبو عبد الله الناصر بن المنصور الموحدي (٥٩٥-٦١٠ هـ / ١١٩٩-١٢١٣ م) بنقلهما إلى دار بناها بقصبة فاس عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م ^(٣)

وبقيام دولة بني مرين أمر يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥ هـ / ١٢٥٨-١٢٨٦ م) المؤسس الحقيقي للدولة بإقامة دار للسكة في البلد الجديد أي فاس الجديد وبذلك نقلت دار السكة من قصبة فاس القديم إلى موقعها بالمدينة الجديدة بالقرب من دكاكين الصاغة وقصر السلطان . ^(٤)

(١) الوزان : مصدر سابق ، ص ١٩١ ، عثمان المنصوري : مرجع سابق ، ص ١١١ ، ١١٣

(٢) ابن أبي زرع : الأتيس المطرب ، ص ٤٨ ، الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٤٤ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٦ .

* السكة : هي اسم للطابع الذي يختم به على الدنانير والدراهم فهي مظهر من مظاهر سلطة السلطان أو من ينوب عنه . للمزيد انظر . المقريري : النقود الإسلامية (شذور النقود في ذكر النقود) ص ٦٩ . صالح بن قربة : مرجع سابق ، ص ١٣٠ . والمسكوك : هو الذهب المصفى الذي اتخذ شكلا معينا ليتخذ نقودا . للمزيد انظر السبتي : أثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد ، دراسة محمد الشريف ، المجمع الثقافي ١٩٩٩ ، ص ١١٠ .

Hazard: The Numismatic History of Late Medieval North Africa, New York 1952, p14.

(٣) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ ، ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١١١ .

(٤) ابن الحكيم: مصدر سابق، ص ١١١ ، عثمان إسماعيل : مرجع سابق، ص ٢٤٧ .

فكانت الدار تابعة للسلطان وهى عبارة عن بناية تحيط بساحة مربعة تشتمل على
غرف صغيرة يشتغل فيها العمال وفى وسط الساحة مكتب مخصص لأمين الدار
ومعاونيه.^(١)

العاملون بدار السكة

من أهم الوسائل التي قام بها الحكام المرينيون للمحافظة على دار سك النقود من الغش
هى تعيين العاملين بدار السكة كالناظر أو الأمين الذي يقوم بالإشراف على عملية السك
ومراقبة صياغة الحلى ويجب أن يكون عالما بالصناعة كتميز النقود وأوصاف المعادن ، وما
يصلحها وما يفسدها وأسباب غشها وما يزيله ، وأن يكون على دراية بأنواع الخطوط.^(٢)

وكان من أهم من شغل هذا المنصب عبد الحكيم على بن محمد المديوني الكمي وذلك
عام (٦٧٤هـ-١٢٧٥م) وذلك في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق إذ عين ناظرا لدار
السكة المركزية بفاس الجديد واشتغل بمنصبه هذا لمعرفته بالنقود وما يتعلق بها وأقام في هذا
المنصب نحو خمسين عاما .^(٣)

ولضمان شرعية الدراهم والدنانير التي تصدر من دار السك والتأكد من سلامتها
سواء من حيث جواز العيار او الوزن ، لابد أن يكون الأمين رئيس له السلطة المباشرة على
العمال في الدار فكان دائم الوجود فيها فيحضر فتحها والختم عليها عقب الانتهاء من
الأعمال.^(٤)

ويعمل بدار السك أيضا العدول وهم شاهدي عدل يعينهما الناظر ولا بد من معرفة
كل واحد منهم بما يطراً من المطالب ، ويكونا عالمين بما يشهدان فيه وإلا كانوا سببا لإضاعة
الأموال واختلال الأحوال ، ويقومون بتحذير السكاكين أن يطبعوا دينارا أو درهما إلا

(١) الوزان : مصدر سابق، ص ٢٨٣ ، محمد المنوي : ورقات ، ص ١٠٠ .

(٢) ابن الحكيم: مصدر سابق، ص ١١٢ ، ١٥٠ .

(٣) ابن الحكيم: مصدر سابق، ص ١١٢ ، ١٥٠ .

(٤) عبد الرحمن فهمي محمد: موسوعة النقود العربية وعلم النميات فجر السكة العربية ، دار الكتب ، ط ١ ،
١٩٦٥ ، ص ٢٣٦ ، صالح بن قربة : المسكوكات المغربية من الفتح إلى سقوط دولة بني حماد ، المؤسسة
الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٦ ، ص ١٣ .

بمعاونتهما مع مراعاة طبعها وختمها بخاتم السلطان ، ومن شهود العدول الذين كانوا فى مدينة فاس الفقيه يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف الشبوكى الحسن الفاسى . (١)

وبجانب الأمين والعدول وجد الفتاح ويعرف بالنقاش وهو من يقوم بوضع الرسم الذى ستسك عليه العملة النقدية ويكتب نصها وهذه العملية تعتبر أساس عمل دار السكة. فالفتاح لابد أن يكون بارع الخط امينا ومحترما لما يكتب على الدينار او الدرهم . (٢) أيضا كان هناك السكاكون الذين يتألفون من ثلاثة عناصر وهم المعلمون والعمالون والمتعلمون ، وكان لهم مهام كثيرة منها تسلم معدن الذهب والفضة والنقود المراد اعادة سكها ، ووزنها وتحقيق الدنانير والدراهم والإشراف على طبعها وضربها والتدقيق فى اشكالها واوزنها وعيارها. (٣)

ووجد أيضا العديد من العاملين بدار السكة منهم الخلاص وهو الذى يقوم بتصفية وتخليص المعادن من أية شوائب بها ، والسباك الذى تنحصر مهمته فى صهر المعادن وتحويلها إلى سبائك ، والمداد الذى يقوم بتحويل السبائك الى صفائح محكمة جاهزة للطبع ، والضراب أو النقاد يقوم بتحويل قطع السبائك إلى قطع مضبوطة لانتاج الدنانير والدراهم والضرب على الأجزاء المستديرة من كل معدن منها . (٤)

على أية حال لقد ساعد توافر المواد الخام اللازمة من ذهب وفضة ونحاس على قيام عملية سك العملة بمدينة فاس. (٥)

وقد ساعد على انتظام سك العملات بدار السكة المرينية هى قيام بعض سلاطين بنى مرين بإرسال الاموال لشراء المواد الخام الخاصة بها . فقام السلطان ابوالحسن المرينى (٧٣١-٧٥٢هـ/١٣٣١-١٣٥١م) بإرسال الف دينار من الذهب المطبوع وألف أوقية من

(١) المقري: مصدر سابق ج ١ ، ص ٢٩٢ ، رشيد السلاوى: قراءة فى النقود المرينية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط العدد ٢٣ ، ١٩٩٩ ، ص ١٨١ ، محمد المنونى ، ورقات ، ص ٩٣ .

(٢) ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١١٥ - ١١٧ عبد الرحمن فهمي : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ ، رشيد السلاوى : مرجع سابق ، ص ١٨٩ .

(٣) ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١١٧ - ١٢٠ ، رشيد السلاوى : مرجع سابق ، ص ١٨٩ ، عبد الرحمن فهمي : مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

(٤) رشيد السلاوى : مرجع سابق ، ص ١٨٩ ، عبد الرحمن فهمي : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٥) ابن الحكيم: مصدر سابق ، ص ١١٣ ، ١١٤ ، ابن خلدون: المقدمة ص ٣٢٤ ، محمد المنونى: ورقات فى الحضارة ص ١٣٢ ، صالح بن قربة ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

الدراهم المطبوعة للناظر وشاهدي العدل لشراء التبر والحلى والفضة اللازمة لعملية السك ، وكان ربحها يتم المحاسبة عليه في نهاية كل عام . (١)

وقد لعب المحتسب دورا كبيرا في مراقبة دور السكة والعمل على تنظيمها وإدارتها وان ظهرت حالات غش في الدراهم والنقود يبحث عن أحدثها ، فإذا ظفر به أناله اشد العقوبة ويطاف به بالأسواق لينكله ويشرد به من خلفه. (٢)

وقد اختلفت النقود من حيث السك والوزن مع قيام الدولة المرينية فوجدت عملات اجنبية ومغربية مما أدى إلى وجود حالة من الفوضى في قيمة النقود والمعاملات المالية . فعمل سلاطين بني مرين على مراقبة دور السكة ومنع حالات الغش حيث قام السلطان يعقوب بمنع قبول العملات الاخرى كالحفصية والمردنشية* والجنوية* والبجائية* ان لم تكن على قدر السكة المحلية وجودتها وذلك للحفاظ على قيمة العملات المحلية من العملات الأقل قيمة. (٣)

وكان لتعدد دور السكة المرينية في فاس وسجلماسة وسبتة وتلمسان وانتشار النقود الأجنبية أكبر الأثر في رواج التجارة لكن هذا لم يمنع ظهور عمليات التزوير والفوضى في قيمة النقود والمعاملات بالأسواق لاختلاف الوزن وقد استفاد من هذا الأمر الصرافون. (٤)

وقد بذل سلاطين بنومرين جهودا كبيرة وقاموا باجراء اصلاحات كبيرة لتحقيق وزن العملة سواء الذهبية او الفضية، فحرص يعقوب بن عبدالحق على إزالة أسباب خلاف التداول فانتهى من الدراهم المتعددة المطروحة في الأسواق ، والوافدة من بلاد المغرب والأندلس أحسنها والأكثر شيوعا وانتشارا . (٥)

(١) ابن الحكيم: مصدر سابق، ص ١٣٨ .

(٢) الونشريسي: المعيار ، ج٦ ص ٤٠٧ .

* المردنشية : نسبة إلى محمد بن سعد بن مردنيش بمدينة مرسية . للمزيد انظر ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق ، ص ٦٣ .

* الجنوية : عملات سكنت بمدينة جنوة الايطالية ، * البجائية : عملات سكنت بمدينة بجاية بالجزائر . للمزيد انظر ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٤٩ .

(٣) إبراهيم حركت: مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

(٤) ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٤٩ ، العمري : مصدر سابق ، ص ١٢٦ .

(٥) محمد المتونى : مرجع سابق ، ص ٩٨ ، رشيد السلامى : مرجع سابق ، ص ٢١٨ .

وهو الدرهم المحمدي نسبة إلى محمد الناصر المحمدي (٥٩٥-٦١٠هـ / ١١٩٨-١٢١٣م) وأصدر قراراً بقصر التعامل بها في الأسواق المرينية فقط . (١)

وخلال حكم السلطان أبي فارس عبدالعزيز (٧٦٧-٧٧٤هـ / ١٣٦٥-١٣٧٢م) كثرت أعمال التزوير في العملة ، فقام بأجراءات لابقاف ذلك فأمر برفع يد اليهود عن أعمال الصرف والصياغة ، واحضر اليهود الذين سبكوه وهددهم واستبرأ أمرهم . (٢)

وقام السلطان أبو الحسن المريني بمحاربة عملية غش النقود ، حيث قام بجمع الفقهاء بفاس وخاطبهم بالمشاركة مع الدولة للتصدي لهذه النقود الفاسدة ، فقال "فى بعض القضاة والفقهاء المزكين الذين يتولون قبض الزكوات ، فأنتم أعلم بهم وفى رفع الأمور التى تبلغكم وماتعم به المفاسد ، وكهذه الدراهم الناقصة التى يدخل على الناس بسببها الفساد " . (٣) فالدرهم الدخل الذى انتشر كان يقل عن درهم الكيل الشرعى بخمسين ويعادله من الدراهم الصغار ستة دراهم وخمسة درهم . (٤)

لقد كان لاختلاف أسعار الذهب والفضة من وقت لآخر سببا كبيرا فى اختلاف أسعار العملة وجودتها وكان لاختلاف الوزن أيضا دور فى نقص النقود بالأسواق. لهذا يرى البعض ان وزن المتقال المريني يساوى ٨٧ حبة ، وهو مايعادل ٤،٧٢٩ جرام ويعتقد البعض الآخر أن هذا الوزن يبلغ ٤،٩٦ وهو مايعادل ٨٤ حبة. (٥)

كانت أغلب العملات المرينية مستديرة الشكل وقليل منها مربع أو مستطيل فنجد منها نقود فضية مربعة ومستطيلة أيام السلطان عبد الرحمن بن أبى يفلوسن المريني(٧٧٦٧٨٤هـ/١٣٧٤-١٣٨٢م). (٦) وفيما يلي عرض لأنواع النقود المرينية بفاس والتي صدرت عن دار السك بفاس والتي كان يتم التعامل بها داخل الأسواق :-

(١) رشيد السلاوى : المرجع السابق ، ص ٢٢٢.

(٢) ابن الحكيم: مصدر سابق، ص ١٧٩ ، طاهر زاغب : مرجع سابق ، ص ٣٨٢ .

(٣) ابن مرزوق: مصدر سابق، ص ١٦٠ . مصطفى نشاط : إطلالات ، ص ٦٤ .

(٤) ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، الونشريسي: المعيار ، ج ٥ ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٥) رشيد السلاوى : مرجع سابق ، ص ٢٠٢ . عز الدين موسى : مرجع سابق ، ص ٢٩٨ .

(٦) عثمان إسماعيل: مرجع سابق، ص ٣٧١ .

أولاً- النقود الذهبية (الدينار الذهبي)

حافظ سلاطين بني مرين على الدينار الموحدى المربع الشكل ، لوزنه الجيد وارتفاع عياره. ^(١) و يوضح لنا Lovoix إن العملة المربنية كانت قطعة مستديرة وبداخلها مربع. ^(٢) لكن الدينار الموحدى اختلف عن الدينار المربنى من حيث الوزن والقطر ، فالدينار الموحدى لأمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف (٦٤٦-٦٦٥هـ / ١٢٤٨-١٢٦٦م) وزنه ٤,٥ غ وقطره ٣٠ ملليمتر. ^(٣) أما الدينار المربنى فكان يزن ٤,٦٠ غ وقطره ٣١ ملليمتر. ^(٤)

واختلف وزن الدينار الذهبى من حيث المتقال فى العصر المربنى ، فاشار المؤرخون الى مقدار الدينار من حيث الوزن . ^(٥) فيرى البعض أنه يساوى أربعة وثمانين حبا من حبوب الشعير . وحدد البعض الوزن بأنه يساوى اثنين وسبعين حبة من الشعير. ^(٦) وأوضح العمري إن الدينار الذهبى يعادل ستين درهما فضيا كبيرا أو مائة وعشرين درهما فضيا صغيرا. ^(٧)

ويشير البعض إلى إن الدينار يعادل ٤,٥٦ ج أي أنه يساوى على وجه التقريب ٦٩ درهما صغيرا. ^(٨)

(١) رشيد السامى : مرجع سابق ، ص ١٩١.

* الدينار الذهبى : عملة رومية مشتقة من denarius وهو وحدة وزن نصف متقال وزن سبيكة ذهبية. للمزيد انظر السبتي: مصدر سابق ، ص ١٤٠. فالتر هنتس :المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى ، ترجمة كامل العسلي ، عمان ، ١٩٧٠ ص ٢٩٠ ، احمد الشرباصى: مرجع سابق ص ١٦٣.

(٢) lavoix(h) : catalogue des moneyes mussel manes de la biblioteque nationale, vol. II , esagne et afrique, aris, 1891, p.440

(٣) لخطر درياس : كنز مزيان الذهبى ، حوليات المتحف الوطنى للأثار ، العدد الرابع ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ ، ص ٦١ .

(٤) لخضر درياس : جامع المسكوكات العربية ، الجزائر ، جـ ٢ ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ .

(٥) ابن الحكيم: مصدر سابق، ص ١٤٨.

(٦) ابن خلدون: المقدمة ص ٣٢٥ ، جـ ٦ ، ص ٤٦٥ .

(٧) العمري: مصدر سابق ص ١٢٥ ، ١٢٦.

(٨) المنوتى: ورقات ، ص ١٢٧.

في حين يرى النقشبندی أنه يزن ٤,٢٦٥ من الغرامات أي ستة وستين حبة. (١)
فأدى هذا التباين إلى وجود حالات من الغش في العملات .

وبكثرة حالات الغش حرصت الدولة المرينية على ضبط الوزن ، وذلك يمثل مؤشرا
قويا لما وصلت إليه من قوة واقتصاد بالمغرب الأقصى. (٢)

وقد حملت النقود المرينية عبارات دينية والقاب سلطانية ، ودار السك التي تم بها سك
العملة. (٣) ومن هذه الألقاب التي اتخذها ملوك بني مرين على نقودهم أمير المؤمنين
والمستول على الله ، ومن العبارات الدينية لاقوة الا بالله ، والتي استعان بها السلطان أبو
يحيى بن عبد الحق (٦٤٢-٦٥٦هـ/١٢٤٤-١٢٥٨م) ويوسف بن يعقوب وتم الضرب بها
بمدينة فاس وسجلماسة. (٤)

فوجد دينار لأبي بكر بن عبد الحق ووزنه ٤,٦٠ جرام وقطره ٣١مليمتر . (٥) وقد
سك في عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١م)
دينار ذهبي وكان يزن ٤,٦٠ جرام ويبلغ قطره ٢٨ مليمتر. (٦)

شهدت النقود الذهبية المرينية تطورا هاما في النصوص التي كتبت عليها وذلك في
عهد السلطان أبي عبدالله محمد الثاني (٧٥٩-٧٦٠هـ/١٣٥٨-١٣٥٩م) حيث حذفت

(١) النقشبندی : الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ، مطبعة الرابطة ، بغداد،
ج. ١٣٧٢، ١٩٥٣م، ص ١٢.

(٢) طاهر راغب حسين : تاريخ نقود دول المغرب من ٤٤١ إلى ٩٨٢هـ دراسة في التاريخ والحضارة ،
كلية دار علوم ، ط ١ ، ١٩٩٤-١٤١٥هـ ، ص ٣٥٢ .

(٣) ابن الحكيم: مصدر سابق، ص ١١٧، محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط ، دار
توبقال ، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٧، ص ٨٣.

(٤) vanberchem (m): titers califiens d, occidentin journal Asiatique2: serie, t.1x, Paris, (٥)
1907 p.296.

(٥) إبراهيم الجابر : مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٦) فرج الله يوسف : الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية دراسة مقارنة ، مركز فيصل للبحوث
الإسلامية ، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م ص ٢١٨. إبراهيم الجابر : المسكوكات الإسلامية ، متحف قطر
الوطني، ١٩٠٥ ، ص ٤١. lavoix(h) : catalogue op.cit,p.440.

العبارات الدينية المنقوشة وسجل بدلا منها الاقتباس القرآني "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تترصون "وكان ضرب مدينة فاس. (١)

وقد اختلفت أوزان الدينار مع اختلاف دور السكة وتعاقب السلاطين بدولة بنى مرين بالإضافة الى الحالة الاقتصادية ، فالدينار الذى تم سكته باسم أبى عنان فارس (٧٤٩-٧٥٩هـ / ١٣٤٨-١٣٥٧م) وزنه ٤,٦٠ جرام وقطره ٢٨ ملليمتر وهو من الذهب. (٢)

وخلال حكم السلطان أبو العباس أحمد الأول (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) سكنت العملة بفاس بوزن ٤,٣٥ جرام وقطرها ٣١ ملليمتر ، وأمر السلطان أبو فارس موسى (٧٨٦-٧٨٨هـ / ١٣٨٤-١٣٨٦م) بضرب دنانير ذهبية وزنها ٤,٢٥ جرام وقطرها ٢٩ ملليمتر كلها ضربت فى مدينة فاس فتباينت العملات واختلفت باختلاف الحكام. (٣)

قام السلطان أبو عنان المرىنى بسك نوع من الدنانير الذهبية يزيد عن الدينار المرىنى العادى فالدينار العادى يزن ٤,٦٠ جرام اما الدينار الجديد فقد كان وزنه يساوى وزن دينارين عادين أى انه يزن ٩,١٢ جرام. (٤)

ويرجع سبب اختلاف اقطار النقود يرجع إلى تعرضها بعد الإصدار إلى تدخل الإنسان من جديد عن طريق الدق والتطريق بهدف تحويلها الى حلى . (٥)

ولتسهيل عمليات البيع والشراء بالأسواق ، تم تقسيم الدينار الذهبى إلى أجزاء لتتم هذه العمليات ويلاحظ قلة الانصاف والأرباع والأثمان مما يدل على الرواج الاقتصادى، وضخامة أحجام المبيعات والتعاملات المالية والتجارية فى أسواق فاس بالعصر المرىنى.

ب- نصف الدينار

(١) رأفت النبراوى: النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجرى ، مكتبة زهراء الشرق ، ط١ ، ص ٢٠٠ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١.

(٢) جامع المسكوكات العربية، الجزائر، ج٢ ص ٤١ ، ٤٢

lavoix(h): catalogue op .cit ,p.440

(٣) رشيد السلامى: مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

(٤) المتونى : ورقات ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

(٥) رشيد السلامى : مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

وهو عبارة عن دائرة يتوسطها مربع واحد ، ووجدت نماذج أخرى رسمت عليها دائرتان حول مربعين اثنين أو ثلاثة مربعات داخل دائرتين . ويتراوح وزنه بين ٢ جرام و ٢,٢٥ جرام أى ما يعادل وزن ٤٢ حبة من وسط حب الشعير وقطره ما بين ٢٠ و ٢٥ ملليمتر .

ونقش عليه ما ينقش على الدينار . فنجد نصف دينار يرجع سكه لأيام السلطان أبى فارس عبد العزيز بن أبى الحسن (٧٦٧-٧٧٤هـ / ١٣٧٢-١٣٧٤م) وزنه ٢,٣٠ ج وقطره ٢٢ ملليمتر ، وآخر بعهد السلطان أبى فارس عبد العزيز أحمد (٧٩٦-٧٩٩هـ / ١٣٩٣-١٣٩٦م) وزنه ١,٨ ج وقطره ٢٢ ملليمتر .^(١)

ونصف دينار يعود إلى أيام السلطان عبد الله بن أبى سالم (٨٢٣-٨٣١هـ / ١٤٢٠-١٤٢٧م وكلها سكت بمدينة فاس .^(٢)

ج- ربع الدينار

كان ربع الدينار مستديرا ووزنه وقطره مختلفين فكان يتراوح وزنه ما بين ١ و ١,٣٠ جرام وقطره ما بين ١٢ او ١٩ ملليمتر .^(٣)

د- ثمن الدينار

يوضح لنا Lavoix أن ثمن الدينار المربى كان يحتوى على مربعين وسط دائرتين أو ثلاث مربعات داخل دائرتين ، ويختلف قطره ما بين ١٣ و ١٦ ملم ووزنه لا يتعدى ٠,٨٠ جرام ولكنها لم تكن منتشرة بكثرة بالأسواق .^(٤)

ثانيا- النقود الفضية

ضربت النقود الفضية على طراز السكة الفضية الموحدة ، حيث جاءت مربعة وتحيط كتابات الوجه والظهر مربعان متوازيان ، الخارجى من حبيبات متماسة ، وتنسب

(١) رشيد السامى: مرجع سابق ، ص ٢١٠.

(٢) رشيد السامى : مرجع سابق، ص ٢٠٩.

(٣) رشيد السامى: مرجع سابق، ص ٢١٢

Hazard: the numismatic, op.cit,p 195

Lavoix: op.cit, p.477.

⁴ Lavoix: op.cit, p.477.

بعض طراز النقود الفضية إلى السلطان أبي يوسف بن عبد الحق (٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م) فقد عمل على إيجاد نقد فضي مريني بحت ثابت الوزن.^(١)

أ- الدينار الفضي:

سكت بمدينة فاس دنانير فضية للتعامل بها في المعاملات المالية الخاصة بالأسواق، وقد أشار الونشريسي إلى وجود دنانير فضية بالمغرب في العصر المريني تم سكها بمدينة فاس، ووصفت بالجودة وصحة وزنها.^(٢) ويذكر ابن الخطيب أنه يتم للتعامل بالدينار الفضي بأسواق مدينة فاس.^(٣)

وأشار ابن الحكيم عن نصيب الزكاة التي تعادل مائتي دينار وأربعة وعشرين دينارا فضي صغيرة عشيرة.^(٤)

وقد أوضح المنوني أن الدينار الفضي يتكون من عشرة دراهم صغار، وتجزئته الدينار الفضي مماثلة للدينار الذهبي. فانتشرت النقود الفضية المربعة والمستطيلة في عهد عبد الرحمن بن أبي يفلوسن المريني، فكانت أكثرها مستديرة وليست مربعة أو مستطيلة.^(٥)

وانتشرت الدراهم اليعقوبية* والتي تنسب إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق وهي تساوي ثلث الدرهم الموحدى (المحمدي) نسبة إلى محمد الناصر والأوقية الواحدة تساوي ثلاثة وعشرين درهما، فالدرهم الواحد منها ثلاثة دراهم صغيرة ليسهل عملية البيع والشراء بالأسواق.^(٦)

ب- الدرهم الكبير*

(١) رأفت النبراوي: مرجع سابق، ص ٣٥١. طاهر راغب: مرجع سابق، ص ٣٨٢.

(٢) الونشريسي: المعيار جـ ٥، ص ١٨٩، ٢٧٢.

(٣) ابن الخطيب: نفاضة الجراب، جـ ٣، ص ٦٧.

(٤) ابن الحكيم: مصدر سابق، ص ١٤٧.

(٥) المنوني: ورققات في الحضارة، ص ١٢٨، ١٢٧، إبراهيم جركات: مرجع سابق، ص ١٢٣.

*الدنانير اليعقوبية المغربية نسبت في بداية الأمر إلى يعقوب المنصور للمزيد انظر ابن صاحب الصلاة: مصدر سابق، ص ٤٨٤، الزر كلّي: الإعلام، جـ ٣، ص ١١٧١.

(٦) ابن الحكيم: مصدر سابق، ص ١٢١، ١٤٩، ١٤٨.

*الدرهم: اسم عربي وهو مقدار من الوزن. للمزيد انظر السبتي: مصدر سابق، ص ١٤٠.

شاع استخدامه بأسواق مدينة فاس وكان يزن ٢٨ حبة من الشعير كما كان عند
الموحدين ١،٦١ جرام، فهو لم يحقق وزن الدرهم الشرعي، فالدرهم الشرعي يزن ٢،٩٣١ جرام
ويبرى Hazard أن أقصى قطر يمكن أن يصل إليه الدرهم المريني هو ١٥ مم وكان
لذلك الانخفاض والاختلاف تأثيره على الأسواق وعلى الوضع الاقتصادي داخل فاس.^(١)

أشار الوثنريسي إلى وجود مشاكل متعلقة بنقص الدراهم ، حيث يتم إرجاعها إلى
التجار والقائمين على الصرف وإعطائهم بدلا منها ذهبا .^(٢)

ويوضح أيضا انتشار الدراهم الناقصة والتي أجازها الفقيه ابن سراج فهي وزن فضة
بفضة.^(٣) ويجوز التعامل بها إذا علم الأخذ أنها ناقصة وتقبلها على ما هي عليه .^(٤)

ج - الدراهم الصغيرة

الدرهم الكبير يساوي ثلاثة دراهم صغيرة تساوي درهم كبير، وهو نصف درهم اسود
أي سدس درهم نقرة من معاملة مصر والشام فحين يقال درهم ويسكت لا يراد به إلا الدرهم
الصغير^(٥).

والدرهم المريني اختلف من حيث الوزن والقطر فوجد درهم مريني وزنه ٠،٩ جرام
وقطره ١٣ ملم وهو مربع الشكل .^(٦) ودرهم آخر للسلطان أبي يعقوب يوسف وزنه ٠،٥٠
جرام وقطره ١٢،٥ ملم .^(٧)

(١) العمري : مصدر سابق ، ص ١٩٣ ، رشيد السلاوي : مرجع سابق ، ص ٢١٧ . Hazard: op .cit, p . 327

(٢) الوثنريسي: المعيار جـ ٥ ، ص ٤٦ .

(٣) الوثنريسي : مصدر سابق ، جـ ٥ ، ص ٢٢٣ .

(٤) الوثنريسي : المصدر السابق والجزء ، ص ١٤ ، ١٦ .

(٥) العمري : مصدر سابق ، ص ١٩٣ ، محمد المنوني : ورقات ، ص ٩٨ .

(٦) لخضر دريس : ثلاثة نقود غير منشورة ، حوليات المتحف الوطني للأثار ، العدد السابع ، سنة ١٩١٩ هـ
/ ١٩٩٨ ، ص ٧ .

Hazard: op .cit, p 276

(٧)

د- ثلث درهم

وكان يضرب لتسهيل العمليات التجارية البسيطة ولسهولة الصرف والتداول داخل الأسواق.^(١)

هـ - القيراط

يعتبر وحدة تستعمل في الوزن أو كعملة نقدية يعادل وزن ٣،٣٦ حبات من الشعير ويزن ٠،١٩٤١ جرام ويساوي نصف درهم مريني صغير . وقد اختلف الفقهاء حول تحديد مقدار حب الشعير في القيراط فالمقدار الشرعي هو أربع حبات .^(٢)

فالقيراطين لا يتساويان مع درهم صغير.^(٣) وأشار الونشريسي إلى اختلاف وزن القيراط ومنع صرف درهم صغير بقيراطين.^(٤)

و- ربع درهم

يعادل ربع الدرهم نصف القيراط ولكنهما يختلفان من حيث مستوى الوزن فهو يساوي ٠،١١٥٥ جرام .^(٥)

ز- الثمن

الثمن والمسكوك الحسن الكيفية * ويعتقد من العبارة أن النقد حسن الصناعة وجيد العيار ووافي الوزن وهى عبارة الغرض منها الترويج لتداول النقود المضروبة وحث الناس على التعامل بها.^(٦)

(١) ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

(٢) الذهبي: تحرير الدرهم والمقال والرطل والمكيال وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر ، ضمن كتاب الكرملى: النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص ٧٧ . رشيد السلافي: مرجع سابق ، ص ٢٢١، ٢٢٢ .

(٣) ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٢٢ رشيد السلافي : مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

(٤) الونشريسي : المعيار ، ج ٥ ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٥) رشيد السلافي : مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

* الكيفية مصدر صناعي من لفظ كيف زيد عليها ياء النسبة للنقل من الاسمية إلى المصدرية ، وكيفية الشيء حاله وصفته * المسكوك : اسم مفعول من سك النقود أى طبعها وهى تعنى النقد المضروب فرج الله يوسف: مرجع سابق ، ص ٣٥: ٢٦ .

(٦) ابن الحكيم: مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

ثالثاً - النقود النحاسية

لم تجد النقود النحاسية رواجاً في المعاملات التجارية ، فهي صنعت لشراء المحقرات من المبيعات ، فالفلس المريني كان مربع الشكل مع اعتدال أركانه وزواياه. ^(١) وهو يعادل حبة واحدة من متوسط حبة الشعير أى حوالي ٠,٠٥٧٧٧ جرام. ^(٢)

ومع كثرة النقود المغشوشة والدرهم المحمولة عليها بالنحاس قام الفقيه ابن عرفة بمحاذنة السلطان بأمرها فهم بقطعها ، حتى لا تؤدي إلى أتلان رؤوس الأموال وأجاز الفقيه عبد الله العبدوسي في القرن الثامن الهجري تسكيك الإنسان الدرهم لنفسه على مثل سكة السلطان أو على أطيب منها ولكنه امتنع مخافة أن يطلع عليه فيعاقب ، وسداً للذرائع مخافة التلبيس على سكة السلطان فأجاز التعامل بالسكة المغشوشة بالنحاس وطبعها والتعامل بها بالأسواق. ^(٣)

ويتضح لنا أن اختلاف قطر ووزن العملات المرينية أثر سلبي على قيمة النقد وتداوله بالأسواق المرينية . فحظيت النقود باهتمام سلاطين مدينة فاس سواء كانت عملات ذهبية أو فضية مما ساعد ذلك على رواج التعامل داخل أسواق مدينة فاس فالنقود كانت من أهم أدوات النشاط التجاري داخل المدينة .

ثالثاً : الصكوك والحوالات

لقد أشارت المصادر التاريخية إلى استخدام الصكوك منذ عصر صدر الإسلام كوسيلة للتعويض عن دفع النقود، وهو أمر خطي يدفع بواسطة مقدار معين من النقود إلى الشخص المسمى فيه. ^(٤)

(١) المصدر السابق، ص ٩٨ .

(٢) محمد المنوني: ورقات، ص ٩٨ .

(٣) الونشريسي: المعيار جـ ٦ ص ٧٥، ١٢٢، ١٢٩.

(٤) البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية ، مكتبة المثنى ، بغداد ١٩٢٣ ص ٢٩ ، ابن منظور : لسان العرب دار المعارف ، ص ١٤٧٥ .

*الصك: بفتح الصاد مشددة وهو الكتاب يكتب فيه عن مال مؤجل وهو أقرار بالبيع أو الرهن، للمزيد محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق القاهرة، ١٩٩٢ ، ص ٣٣٢ .

ويعتبر الصك وثيقة ائتمان مضمونة لتحرير الديون واستيفائها ، ويجرى تحرير الصك بادراج اسم صاحبه ومقدار المبلغ الواجب دفعه رقما وكتابة وموعد الدفع فكانت الصكوك تصرف إما عند الصيارفة أو في بيت المال. (١)

وكان أغلب الصيارفة من اليهود، الذين اشتغلوا في صرف النقود وبيع المعادن النفيسة ومراطلتها وأشار الونشريسي إلى أن أغلب المشتغلين بالصرف هم من أهل النمة فهم " يستظهرون برسوم شرعية يديون على أناس وتواريخ الرسوم بعيدة التاريخ منها ما يكون عشرين عاما وأزيد ". (٢)

واستخدمت الصكوك في بلاد المغرب منذ وقت مبكر فيذكر ابن حوقل أنه شاهد في مدينة أودغست (جنوب المغرب الأقصى) صكا بقيمة اثنين واربعين ألف دينار بين تاجرين مغربين ، ولا بد أن يكون شاع استخدامه في باقي أجزاء المغرب . (٣)

فالتجار الصغار أصحاب الأسواق من الكتانين والقطنين والزياتين وغيرهم اعتادوا دفع أموالهم إلى الصيارفة ويكتبونها عليهم بدنانير، ويجلبون بها عليهم مايشترون منه. (٤)

فالصكوك كانت معروفة منذ وقت مبكر ، وكثرت مع معاملات المغرب بالغرب المسيحي ودخول الإيطاليين في التجارة ويشير الونشريسي أنها كانت موجودة بالمغرب ، فقد عرضت نازلة على القاضي عبدالسلام حول دين لرجل وأن هذا الدين بصك ، وتنازع الدائن والمدين في تمزيقه أو الاكتفاء بإبطاله ، فقضى ابن عبد السلام بإبطاله دون تمزيقه . وإن لم يكن في فاس فإنه طالما وجدت في بلد قريب منها وفي نفس الفترة بالقرن الثامن الهجري ، فلا بد أن تكون قد امتدت الى مدينة فاس. (٥)

(١) عاشور أبو شامة :علاقة الدولة الحفصية مع بلاد المغرب والأندلس ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٩١ ، ص ٣٦٣ .

(٢) الونشريسي : المعيار ، ج٥ ، ص٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٥ .

(٤) محمد فتحة : مرجع سابق ، ص ٣٠٤ .

(٥) الونشريسي : المعيار ، ج١٠ ، ص ٤٣٤ .

أما بالنسبة للحوالات أو ما أطلق عليها السفاتج فالسفتجة كلمة فارسية (سَفْتَة أي ورقة) ويذكر ابن منظور كلمة سفاتج من "سفتج" أي الخفيف والسريع ، ومن القول سفع فلان لفلان النقد أى عجلة .^(١)

وكان الصرافون يقومون بتحويل السفاتج إلى نقود مقابل خصم من المبلغ المحول وهذا النظام يسمح بتحويل الديون من أشخاص إلى آخرين ، ويسهل أداء الديون بين التجار دون تنقلهم شخصياً .^(٢)

فالحالة الواحدة كان يتعامل فيها من ثلاثة إلى أربعة أشخاص هم : الساحب وهو الذى يحررها ، ويسلمها مقابل مبلغ مالى أو بضائع ، والحامل وهو الذى يستلمها من الساحب، والمسحوب عليه وهو الذى يتلقى الحالة فى البلد الآخر ويتكفل بدفع المبلغ المدون فى الحالة ، والمستفيد وهو الذى يستلم المبلغ المدون فى الحالة من المسحوب عليه .^(٣)

وتوضح نازلة بالمعيار بعنوان " السلف بشرط الحالة " فسأل عن السلف بشرط الحالة ، فأجاب بأنه لا يجوز لأن الحالة بيع من البيوع فصار قد باع له تلك الدراهم بالدراهم.^(٤)

وتبين الحالة مدى اتساع نطاق التعامل فى المبادلات التجارية ، وأن الأمر يتعلق بعمليات بنكية وتقنيات تتصل باستعمال الشيك وبفضل ذلك عرف الغرب المسيحي الحالة عن طريق المعاملات التجارية التى كانت قائمة بين المسلمين والنصارى من الإيطاليين .^(٥)

(١) ابن منظور : مصدر سابق ، ص ٢٤٧٥

ويوضح محمد عمارة أن السفتجة هى البوليصا والحالة والإقراض لسقوط خطر الطريق ، وذلك كأن يكتب المستقرض للمقرض كتاباً يدفعه إلى نائبه ببلد آخر ليعطيه ما اقترضه على سبيل القرض لا على سبيل الوديعة . للمزيد انظر ص ٢٨٦ .

(٢) الونشريسي : المعيار ج ٥ ، ص ٨٨ - ٨٩ . أبو شامة ، مرجع سابق ص ٣٦٤ .

(٣) الونشريسي: مصدر سابق، ج ٩ ص ٨٧ . ج ٦ ص ٣١٥ - ٣١٦ . أبو شامة ، مرجع سابق ص ٣٦٤ .

(٤) كمال السيد أبو مصطفى ، جوانب فى الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية فى المغرب الإسلامى من خلال نوازل وفتاوى المعيار العربى للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ١٩٩٦ ، ص ٨٨ . محمد فتحة : مرجع سابق ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٥) الونشريسي : المعيار ، ج ٦ ، ص ١٣٠ : صالح بن قربة : انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحي في القرون الوسطى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الهلال للطباعة والنشر ، الرباط ، ط ١ ، ١٩٩٥ ص ١٩١ ، ١٩٠ .

قام المحتسب بدور فعال فى مراقبة الصيارفة وكان يتقدم واذا عثر على من يربى يقوم بعزله وإقالته من السوق .^(١)

رابعاً : الموازين والمكاييل والمقاييس :

عرفت مدينة فاس أنواعاً كثيرة من المكاييل والموازين^(٢) ، اختلفت أحجامها ومقاييرها من فترة لأخرى خلال العصر المرينى ، منها المد^(٣) ، القنطار^(٤) والرطل^(٥)

(١) ابن عبدون: مصدر سابق ، ص ٥٨ ، ابن الحكيم: مصدر سابق، ص ١٧٤ ، ابن الأخوة: مصدر سابق ، ص ٣٠ .

(٢) الميزان : هو الحاكم بين الدافع والقاطب وله شكلا أما مقنحة مرفوعة الأجانب أو مكورة مثل نصف كورة . للمزيد انظر ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٢٣ . أما الكيل فجمعه مكاييل وهو اسم يعم جميع ما يعاير به المكيالت. للمزيد انظر السبتي : مصدر سابق ، ص ١٢٥ .

(٣) المد : جمعه أمداد وهو مكيال اختلفت سعته باختلاف المكان والمذاهب وباختلاف وحدة القياس وهى كلمة لاتينية وهو ملء كف الإنسان طعاما ، وهو يساوى رطل وثلاث ويساوى ثمانين أوقية بمدينة فاس أى انه يساوى ربع صاع . للمزيد انظر البكري : مصدر سابق ، ص ١١٧ ، السبتي : مصدر سابق ، ص ٤٩ ، ١٢٦ ، الجرسيفى : مصدر سابق ، ص ١٠٤ ، ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٤٦ ، ١٤٣ ، محمد عمارة: مرجع سابق ، ص ٥٢٢ ، ٥٢٣ . أحمد الشرباص : المعجم الاقتصادي الإسلامى ، دار الجيل ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٤١٣ ، محمد ضياء الدين : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، ط ٣ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩ ، ص ٣٢٩ .

(٤) القنطار : أصله الجملة الكثيرة من المال ، فهو وحدة وزن تحسب بمضاعفة أوزان الأرطال المتوقعة ويساوى ١٠٠ رطل ، "وقال تعالى" (والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) سورة آل عمران الآية ١٤ للمزيد انظر: السبتي: مصدر سابق ، ص ١٤٢ هنتس : مرجع سابق ، ص ١٠٤ ، ٣٢٩ .

(٥) الرطل : هو اسم المقدار فى الموزونات من حديد أو نحاس أو حجر فالرطل الفاسى يساوى ٢١ درهماً ، ١١٠٨،٨ جراماً ويساوى ١٢ أوقية و ١٤٠ درهماً وهو من أكثر الوحدات استعمالاً . للمزيد أنظر السبتي : مصدر سابق ، ص ١٤٢ ، محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢ . هنتس : مرجع سابق ، ص ٣٦ .

والصفحة^(١) أو الوسق^(٢) والأوقية^(٣) وكلأ منها مرتبط بسلعة من السلع الموجودة بأسواق مدينة فاس.^(٤)

لعب المحتسب دورا كبيرا فى الأسواق ، فقد عمل على مراقبة الموازين والمكاييل للحد من حالات الغش ، وقد اعتنى المربنيون بهذا الموضوع فقاموا بتعديلات فى الموازين والمكاييل ، من الصاع والمد والقنطار ، والرتل والأوقية ، والوسق (الصفحة) منذ عهد أبني يوسف يعقوب واستمر ذلك الاهتمام .^(٥)

ويقوم المحتسب بدور كبير بأسواق مدينة فاس حيث يعمل على مراقبة البيع بالميزان داخل الأسواق ، ومنع وسائل الغش فيه حيث كان بعض اليهود يقومون بوضع حبيبات من الشعير بعد بلها بالماء فى أسفل الكفة ، فعمل المحتسب على مراقبتهم بصفة مستمرة لوضع حد لما يقومون به من محاولات للغش .^(٦)

يتولى المحتسب الإشراف على الأمين المشرف على صناعة الموازين التى يوجد منها العديد من الانواع كل نوع يخص سلعة ولها مادة معينة تصنع منها وأشكال مختلفة فموازين الفاكهة تكون مقدحة مرفوعة الأجناب ومعلقة مما ساعد ذلك على السرقة . وهناك موازين صنعت صناعها من الزجاج أو من الحديد ، ويتعهد البائع بتغييرها مرتين أو ثلاثاً فى العام . ويباع اللين فى مكبال مصنوع من الخشب.^(٧)

(١) الصفحة : هي القصعة العريضة وأثناء الطعام يسع ما يشبع خمسة وهو سبعة اثنا عشر مدا . للمزيد انظر محمد عمارة : مرجع سابق ، ص ٣٢٦ .

(٢) الصاع الشرعي يساوى أربعة أمداد والوسق ستون صاعاً وقال تعالى "تفقد صواع الملك ولمن جاء حمل يعير وأنا به زعيم" سورة يوسف الآية ٧٢ . للمزيد انظر ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٤٦ الونشريسي ج ٥ ص ٩٠ ، ج ٨ ص ١٤٤ .

(٣) الوسق : هو وسق حمل اى حمل جمل وهو ستين صاع . للمزيد انظر السبتي : مصدر سابق ، ص ١٣١ ، ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٤٦ .

(٤) الأوقية : وحدة وزن متداولة في وزن البضائع والسلع والوزن الشرعي لها ٤٠ درهما أما بالنسبة للمغرب ١٢ درهما وبالنسبة لفاش تساوى ١٣ درهما وثلاث . للمزيد انظر هنتس : مرجع سابق ، ص ١٩ ، ٧٣ .

(٥) السقطي : مصدر سابق ، ص ٢٧ .

(٦) السقطي : المصدر السابق ، ص ١٢٥ ، صبحي عبد المنعم : مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٧) ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٢٤ .

وجد ميزان بفاس يسمى القرسطون على مقربة من جامع القرويين ، فهو خاص بالتراهم والنقود. ^(١) وكانت وحدة الأوزان الكبيرة هي القنطار ووحدة الذهب المتقال، والفاكهة والخضر الارطال . ^(٢)

ويأمر المحتسب بضرورة النظر في صحة الموازين وصنوجها وأن تصنع من الحديد ولا يضاف لها الرصاص ، و يقوم المحتسب بالختم عليها بخاتم من عنده ، فالصنجات المصنوعة من الحديد يفضل أن تصنع من حجر واحد . وعلى البائع أن يمسح الكفة في كل وقت وعند كل وزن ، ولا يتركها حتى تتطلخ وتتقل وهذا يسعد في الغش . ^(٣) كما كان المحتسب يمنع البيع بمكيال غير معروف. ^(٤) ويتعهد المحتسب أيضا بمعاينة من يغش في الموازين والمكاييل على قدر مايرى من جرم ويقوم بإخراجه من السوق حتى يتوب عن جرمه ولا يعود مرة اخرى الى الغش. ^(٥)

أما بالنسبة للمكاييل فالرطل المريني يتم به وزن القمح والشعير وهو مقدار تسعة وستين درهماً من الدراهم الصغيرة ، أى أن الرطل مكون من ١٦ أوقية ، ١١٠٤ دراهم صغيرة وهي تعادل ٥٣٣،٢٨ جراماً من حساب ٣٣،٣٣ جراماً في الأوقية المرينية واستخدمت الأوقية في وزن الجبن والبصل . ^(٦)

وقد اهتم ملوك بنو مرين بتحقيق المكاييل المغربية فقام ملوكهم بتعديل المد النبوي حتى تكون مرجعاً في تحقيق الصاع والوسق . والصاع يساوى أربعة أمداد نبوية والمد في الأصل ربع صاع . فالمد رطل وثلاث ، والرطل مائة وثمانية وعشرين درهماً ويساوى ستة عشر أوقية ، والوسق ستون صاع فالصاع سعته ٦،٩٢٤ لترأ ، فكيل المد سعته ٣٦٥،٥٤٤ لترأ. ^(٧)

^(١) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٣٦ ، الوثنريسي : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ .

^(٢) العمري : مصدر سابق ، ص ١٤٢ .

^(٣) ابن عبد الرعوف: رسالة في الحسبة والمحتسب، ص ١٠٦، ١٠٧، ابن الأخوة: مصدر سابق، ص ١٤٤، ١٤٥ .

^(٤) الوثنريسي : المعيار ج ٦ ، ص ١٢٥ .

^(٥) الوثنريسي: مصدر سابق مج ٦، ص ٤٠٧ .

^(٦) ابن عذارى: البيان ج ٤ ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، ابن الحكيم: مصدر سابق، ص ١٤٦ .

^(٧) ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، العمري : مصدر سابق ، ص ١٤٢

الوثنريسي: المعيار ج ١ ص ٣٩٩، محمد المنوني : ورقات ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

أما بالنسبة للمد الفاسى فيسع من الطعام ثمانين أوقية ويطلق عليه اللوح ، وقد خصصت وحدة المد للمأكولات من زيت وعسل ولبن وزبيب . (١)

ويصنع المد من الخشب أو المعدن على شكل مخروط تتسع قاعدته عن القمة فهو أقرب إلى الشكل الأسطوانى . (٢)

وقد اختلف المد خلال حكم المرينيين من حيث سعته وشكله ومقداره، والزخارف الخارجية فوجدت بفاس العديد من أنواع الإمداد والتي ترجع للفترات الأولى للإسلام فأطلق عليه المد النبوي ، وقام Paul Pascon بدراسة حول المد فى عهد المرينيين أوضح من خلالها بعض النصوص التى قد وجدت على المد المرينى ، وأشكال المد حيث كان دائرى والكتابة التى نقشت عليه هل كانت حلزونية أم دائرية أو ضمن أقواس أو أعمدة رأسية. (٣)

تم تغيير الصاع المغربى إلى المد النبوى الذى يساوى مداً وثمان مد قروى فستون من الصاع تعادل الوسق الذى يسمى بالصحفة التى يوزن بها الحبوب. (٤)

وقد تم تحويل الصاع إلى المد النبوي على يد الملزورى المتوفى عام ٦٩٧هـ/١٢٩٨م. (٥)

وقد أعيد النظر فى تحقيق المد النبوى باقتراح من الوزير المرينى يحيى بن زيان بن عمر الوطاسى إلى السلطان عبد الحق المرينى (٨٢٣-٨٩٦هـ/١٤٢٠-١٤٦٤م). (٦)

(١) البكري : مصدر سابق ، ص ١١٧ .

(٢) الوزان: مصدر سابق، ص ٢٣٩ .

وجد بفاس أنواعاً من الموازين والمكاييل الشرقية والايطالية ويدل ذلك على عمق الاتصالات والعلاقات التجارية بين فاس والمدن الأخرى .

(٣) Paul Pascon: description des mudd ET s A' Maghreb INS, Hespres. Tamuda 1975 Txvi P.25

(٤) ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١٤٦ ، محمد المنونى : مرجع سابق ، ص ١٣٧ .

(٥) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٧ ، ص ٢١٩ ، الناصري : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ٩٠ ، عيد الرحمن الفاسى ، خطة الحسبة ، ص ٣٦ .

(٦) الناصري: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٤٩ .

فكان أول اجتماع لتحقيق المد بفاس حضره ثلاثة من كبار العلماء وهم عبد الله بن موسى العبدوسي ، ومحمد بن علي بن أملل المديوني، وأحمد بن عمر المزجلدي وحضر معهم الناظر في أحباس فاس أبو الحسن علي بن أحمد الحسيني السبتي الشهير بالكغاد .^(١)

فقاموا بتحقيق مقدار المد النبوي بالحساب واختبروا المد بيد أمين القبابين بفاس المسمى بربع الصاع فوافق وزنه ما أخرجه الحساب في المد النبوي وزنا وعددا وكيلا .^(٢)

وكان أول تعديل للمد قد تم على يد السلطان يوسف بن يعقوب وذلك في جمادى الأولى عام ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م ، وقام السلطان أبو سعيد الأول بإجراء تعديل آخر للمد على مد أخيه يوسف . ومن ثم قام السلطان أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٥٢ هـ / ١٣٣١-١٣٥١ م) بتعديل مدان على مد يوسف بن يعقوب في جمادى الآخرة عام ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م ورجب عام ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م وتم نقش اسم السلطان أبي الحسن المريني على المدان بمدينة فاس .^(٣)

وأوضح المد الخاص بأبي الحسن المريني مادة الصنع حيث صنع من النحاس الأصفر وشكله على هيئة مخروط ، وهذا المد موجود بمتحف البطحاء بفاس ، وهو بدون زخارف ، وسعة الفتحة تساوي ٨،٢ سم ، والقاعدة مسطحة تساوي حوالي ١١،٣ سم ، والارتفاع يساوي أيضا ١١،٥ سم ، والسعة ٠،٧٩٥ لتراً وكتب عليه بالخط المغربي بشكل دائري وهذا المد الذي تم تعديله في رجب عام ٧٣٤ هـ .^(٤)

(١) محمد المنوني : ورقات ، ص ١٣٨ .

(٢) محمد المنوني : ورقات ، ص ١٣٧ .

(٣) المنوني : ورقات ، ص ١٣٧ ، رشيد السلامي : مرجع سابق ، ص ١٩٨ .

(٤) اللونشريسي : المعيار ، ج ٢ ، ص ٧٣ ، محمد المنوني : ورقات ، ص ١٣٧ .

Paul pascon: cit,p.25

ونقش على المد الأول الذي تم تعديله في رجب ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م ، ما يلي :
بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً أمر بتعديل هذا المد المبارك مولانا أمير المسلمين أبو الحسن ابن مولانا أمير المسلمين أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين أبي يوسف ابن عبد الحق ، أيده الله ونصره . على المد الذي عدله الحسين بن يحيى البكري ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م بمد إبراهيم بن عبد الرحمن الجايشي ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م ، الذي عدل بمد الشيخ أبي على منصور بن يوسف القوامي ، وكان أبو على عدل مده بمد الفقيه أبي جعفر أحمد بن علي بن غزلون ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م ، وعدل أبو جعفر مده بمد أبي جعفر أحمد بن الأحظ ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، وعدل أبو جعفر مده بمد خالد بن إسماعيل ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م وعدل خالد مده بمد أبي بكر أحمد بن حمد ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م ، =

أما بالنسبة للمد الثاني الذي صنع في عهد أبي الحسن المريني فقد صنع من النحاس الأصفر، وصنع من ورقة واحدة بدون زخرفة، وسعة الفتحة فيه ٨،٢ سم والقاعدة حوالي ١١ سم، والارتفاع يساوي ١١،٩ سم، وسعته ٠،٧٩٦ لترأ وتم النقش والحفر عليه، وظهرت عليه تأثيرات مشرقية في بعض الحروف التي استخدمت في الكتابة على المد.^(١)

ووجد مد آخر للسلطان أبي الحسن مصنوع من النحاس الأصفر، وهو مخروط ومختلف عن المد المريني فهو يحف فتحته شريط سميك للثقوية، والكتابة داخل أربعة مناطق زخرفية ومزخرف بأوراق نباتية، وسعة فتحته ٨،١ سم، والقاعدة ١١،٥ سم، وارتفاعه

= وعدل أبو بكر مده بمد أبي إسحاق إبراهيم بن الشنظير ٤٠٣هـ / ١٠١١م، ومد أبي جعفر بن ميمون ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م وقد قام بتعديل مديهما بمد زيد بن ثابت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وذريته، وشرف وكرم، وكان تعديل المد الذي عدله الحسين بن يحيى البكري في شهر رمضان المعظم عام سبعة وستمئة، وكان تعديل المد الذي أمر بتعديله مولانا أبو يعقوب رحمه الله تعالى في جمادى الأولى عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م، وعدل الآن هذا المد المبارك متبركاً بالنبى صلى الله عليه وسلم، وأحصى سنته، في شهر رجب عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م بمدينة فاس حرسها الله تعالى والحمد لله رب العالمين كثيرا للمزيد انظر محمد المنوني: ورقات، مرجع سابق، ص ١٤٠، ١٤١.

Paul pascon: cit, p.p , 31-33 .

(١) عثمان إسماعيل: مرجع سابق، ص ٢٤٩ .

وفيما يلي ما كتب على المد الثاني :-

(بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، أمر بتعديل هذا المد المبارك مولانا أمير المسلمين أبو الحسن ابن مولانا أمير المسلمين أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين أبي يوسف ابن عبد الحق ، أيد الله ونصره : على المد الذي أمر بتعديله مولانا أبو يعقوب رحمه الله تعالى سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م على المد الذي عدل الحسين بن يحيى البكري ، بمد إبراهيم بن عبد الرحمن الجالشي ، الذي عدل بمد الشيخ أبي على منصور بن يوسف القوامي وكان أبو على عدل مده بمد الفقيه أبي جعفر احمد بن على ابن غزلون ، وعدل أبو جعفر مده بمد أبي جعفر أحمد بن الأخطل ، وعدل أبو جعفر مده بمد خالد بن إسماعيل وعدل خالد مده بمد أبي بكر أحمد بن حمد ، وعدل أبو بكر مده بمد أبي إسحاق إبراهيم بن الشنظير ، ومد أبي جعفر بن ميمون ، وكانا عدلا مديهما بمد زيد بن ثابت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وذريته ، وشرف وكرم ، وكان تعديله في الخامس عشر من رجب للفرد الذي من سنة تسع وخمسمائة ٥٠٩هـ / ١١١٥م ^(١) وكان تعديل المد الذي عدله الحسين بن يحيى البكري في شهر رمضان المعظم عام سبعة وستمئة ، وكان تعديل المد الذي أمر بتعديله مولانا أبو يعقوب رحمه الله تعالى في جمادى الأولى علم ثلاثة وتسعين وستمئة ، وعدل الآن هذا المد المبارك متبركاً بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وأحصى كذا لسنته ، وذلك في جمادى الأخير عام أربعة وثلاثين وسبع مائة بمدينة فاس، حرسها الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين كثيرا . للمزيد انظر : محمد المنوني : مرجع سابق، ص ١٤٠ .

١٠ سم ، وسعته ٧٣٣،٠ لتر . وقد نقش عليه كما نقش على المدين السابقين ولكن اضيفت عليه جملة لم تكن موجودة في المدين السابقين ، وهذا تبركا بسنته على يد سيدي الحاج مسعود البجاوي ، وكان الله له ولياً .^(١)

ومن خلال ذلك نجد أن المد المريني تطور تطوراً كبيراً خلال فترة حكم المرينيين للمغرب، فأختلف المد داخل الدولة المرينية من حيث السعة والشكل والزخارف الموجودة عليه، ولكن لم تختلف المادة التي صنع منها المد ، ونجد تطوراً آخر في الكتابة التي تم النقش بها على المد حيث كانت الكتابة بالخط المغربي وتطورت حيث تم ادخال الخط المشرقي في الكتابة على المد المريني كما هو الحال في المد الذي تم تطويره على يد أبي الحسن المريني في جمادى الآخرة عام (٧٣٤هـ / ١٣٣٣ م) بمدينة فاس.

كما استخدمت المقاييس في أسواق مدينة فاس وتندر المادة الخاصة بالمقاييس التي استخدمت في الأسواق، حيث نجد أن أبا عنان المريني قد قام بعمل هام وهو ضبط المقاييس المغربية فوجدت القالة او الذراعُ وهي قياس الطول الاسلامي ، وتم وضعها على بعض جدران فاس القديمة ، فكان بفاس مقياسين استخدمنا في قياس مختلف أنواع الأثواب.^(٢)

فالقالة الأولى كانت في المكتب القديم للمحتسب، بالساحة الصغيرة لباعة الحناء بسوق العطارين بفاس القديمة، وكتب على رخامة بيضاء، ونقش عليها بأطوار محفور حفراً بارزاً " الحمد لله أمر بعمل هذه القالة مولانا أمير المؤمنين أبو عنان أيده الله ونصره، وذلك عام خمسة وخمسين وسبعمائة."^(٣) وطول هذه القالة ٤٦ سم وهي خاصة بباعة الثياب الصوفية فسميت (بالقالة الدرازية) أي مقياس منسوجات الأطرزة.^(٤)

والثانية وضعت بشارع سوق العطارين وكتب عليها " الحمد لله " هذا قياس ذراع قالة القيسارية، وذلك عن أمر مولانا أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين أبو عنان أيده الله ونصره وذلك عام (٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م) وطول هذه القالة ٥٥ سم ، ويستعملها تجار

^١ Paul Pascon: op, cit, p.p. 31 – 33 Ibid; p.p. 33-35

^(٢) محمد المنوني : ورقات ، مرجع سابق ، ص ١٤١ .

.Bel (A) op ,cit, p 306.

^(٣) محمد المنوني : ورقات ، مرجع سابق ، ص ١٤١

Bel (A) Les; op ,cit, p. 307 .

^(٤)

وقد اختلف الفريد ببل عن المنوني في طول واتساع القالة حيث أشار إلى أن القالة الأولى طولها ٥١ واتساعها ٨ سنتيمترا .

الجوخ ونسيج الحرير والكتان فسميت القالة الكتانية وهى مقياس القطنيات ، كما تسمى القالة السوسية. (١)

خامساً: الأسعار:

لم تكن أسعار السلع بالأسواق الفاسية ثابتة فقد تأثرت الاسعار بالأحداث الداخلية التى مرت بها مدينة فاس كالفتن والحروب بالإضافة الى الظروف الطبيعية كالأمراض والأوبئة والمجاعات. فمع الرخاء يكثر الإنتاج وتفيض السلع عن الحاجة وتنخفض الأسعار، أما في أوقات المحن والكوارث يقل الإنتاج ولا يفي بحاجة السكان فترتفع الأسعار. فنجد الارتباط وثيق بين الظروف السياسية والطبيعية وأسعار السلع المعروضة بالأسواق. وقد اختلف العلماء المسلمون في مسألة تحديد الأسعار ، فأهل السنة وقفوا موقفاً سلبياً من التسعير وفضلوا حرية الأسعار، أما المعتزلة فنادوا بتدخل السلطة لتحديد الأسعار ورأت كتب الحسبة إلى ضرورة تسعير المواد الأساسية مع التركيز على أمر هام وأساسي وهو شرعية العمليات التجارية من البيع والشراء . (٢)

ويرى ابن خلدون أن تحديد الأسعار مرتبط بعدة معطيات أو عوامل من أهمها : تكلفة الإنتاج للبضاعة ، وذلك يتحدد بمقدار الربح الفائض عن سعر التكلفة ، وأن يكون كافياً لتوفير الكسب ، فاستمرار الرخص في عرض السلع قد يؤدي إلى فساد الربح وكساد السوق ، وتعود للتجار على السعر في البيع وتبعاً لذلك فمعاش الناس وكسبهم يكون في المتوسط .

ويوضح أيضاً وجود ارتباط بين ارتفاع المستوى الحضارى والأسعار فيقول : "كلما زاد العمران زادت الأعمال ، ثم زاد الترف تابعاً للكسب وزادت فوائده وحاجاته واستتبطت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمتها وتضاعف الكسب في المدينة " . (٣) وبوجود المرينيين بمدينة فاس زاد العمران بها حيث اهتم ملوكها بالمساجد والمنازل والأسواق فزاد بها العمران البشرى ، وزادت الأيدي العاملة بها ، فانتعشت التجارة و انخفضت الأسعار بأسواقها .

(١) محمد المتونى : ورقات ، مرجع سابق ، ص ١٤١ ، ١٤٣ .

Bel (A) Les; op, cit ,p P308-309 .

(٢) نجاة باشا: مرجع سابق، ص ٢٤ .

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٨٤، ٤٨٥ .

ويوضح لنا ابن خلدون أن قانون الطلب والعرض مؤثراً فى الأسعار وان لفصول السنة تأثيراً كبيراً فى أسعار السلع ، فالحبوب وخاصة القمح تكون أسعارها مرتفعة فى النصف الأول من السنة ، أما بفصل الخريف والشتاء تكون منخفضة جداً بالنسبة لأسعار الربيع ^(١) وللازمات الاقتصادية تأثير على الأسعار فالأزمات تؤدى إلى قلة العملة ، وفقدان قيمتها فيؤدى إلى ارتفاع الأسعار . ^(٢)

وقد لعب المحتسب دوراً هاماً فى تسعير الخضر والفاكهة فى الأسواق وفرضها على أصحابها فمن المعتاد أن يشتري الباعة المنتجات الزراعية من أصحاب المزارع والبساتين دون سعر محدد ثم يقوم أصحاب السوق بتحديد السعر حتى لا يششطون على الناس الأرباح. ^(٣)

ولم يكن للمحتسب ان يقوم بتسعير البضائع على أربابها ، ولم يفعل ذلك إلا فى سنين القحط وأن فعل ذلك كان محرماً . ^(٤)

ويقدم لنا ابن أبى زرع بعض أسعار السلع عام (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) أى فى فترة حكم السلطان يعقوب بن عبد الحق (٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م) وكان الدقيق بربع درهم والقمح الصفحة بستة دراهم ، والعسل ثلاثة أرطال بدرهم ، والزيت أربع أوقيات بدرهم ، والكبش الواحد بخمسة دراهم ، والنمر الثمانى أرطال بدرهم وصاع اللوز بدرهم . ^(٥)

ويؤكد ابن أبى زرع رخص الأسعار بالمغرب الأقصى فى عهد هذا السلطان حيث يقول : " لما ولى أمير المسلمين يعقوب ملك المغرب ظهرت سعادته وبركته على البلاد ، فكان القمح يباع بسبعة دراهم للصفحة الواحدة والبقول وبيع القطنى مالها رسوم ولا يوجد من يشتريها " ^(٦)

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٨٤ .

(٢) ابن تغردى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٦ القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٦٦٧ - ٦٦٨ .

(٣) الونشريسي : المعيار ، ج ٥ ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٤) ابن الأخوة : مصدر سابق ، ص ٢٧ ، الونشريسي : المعيار ج ٥ ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٥) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٣٠٢ ، إبراهيم حركات : مرجع سابق ص ١٢ .

(٦) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٩٤ - ٩٥ .

وفى الوادي يقومون بصيد الشابل الكبير فيبيع النقات الواحد بـ ١٣ درهما ورطل كبير منه بدرهم ونصف. ^(١) ويباع اللحم ثمانية عشر أوقية منه بدرهمين ، والعناب يباع الرطلين بدرهم نقرة ، والآجاصى بدرهم نقرة ، وكل طائر من الدجاج بثلاثة دراهم من الصغار . ومع حلول عام (٦٧٣ هـ / ١٢٧٤م) اجتاحت مدينة فاس مجاعة شديدة وارتفعت الأسعار فقام الوالي أبو عمران الدغوغى بفتح مخازنه لأهل فاس للحد من ارتفاع الأسعار. ^(٢)

كما ارتفعت الأسعار أيضا في عام (٦٧٩هـ/١٢٨٠م) بمدينة فاس بسبب المجاعة التى اجتاحت البلاد ، فبيع صاع القمح بعشرة دراهم ، بسبب غزو الجراد فيقول ابن أبى زرع: "أكل يقصد الجراد جميع زروعها فلم يترك بها مخضرا " مما أدى لارتفاع الأسعار ارتفاعا كبيرا وتضاعف ثمن القمح بحوالى عشرات المرات. ^(٣)

وارتفع الدقيق فأصبح ست أواقى بدرهم ، وصحفة القمح بأربعة دنانير ذهبية، وثلاثين زوجا مفصلة من الدباغ بستة دنانير. ^(٤)

وحين ساد البلاد الرخاء فى عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م رخصت الأسعار ويتبين ذلك من سعر القمح فقد بيع القمح بعشرين درهما للصحفة وصحفة الشعير بثمانية دراهم. ^(٥)

وتعود الأسعار إلى الارتفاع بحلول عام (٧٢٤ هـ / ١٣٢٤ / ١٣٢٥ م) بيع صحفة القمح بتسعين دينار وصحفة الشعير بثمانية دراهم ، وأوقيتين من العسل بدرهم وأوقية ونصف من السمّن بدرهم ، وأربعة أواقى من الدقيق بخمسة عشر درهم ، وخمسة أواقى من اللحم بدرهم وبيع اللبياض بالمدينة بدرهمين للرطل وعمدت الخضر بأسرها . ^(٦)

(١) مجهول : الاستبصار ، مصدر سابق ، ص ١٨٤ .

(٢) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، العمري : مصدر سابق ، ص ١٩٤ . سميرة المزكلى: المجاعات والأوبئة بالمغرب الوسيط ، ٥٣٤ - ٧٧٦ هـ / ١١٣٣ - ١٣٧٥ م ، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهنار - فاس ١٤٢٤-١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م ، ص ١٢٣ .

(٣) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٤٠٥ ، سامية مسعد : الحرب والطبيعة في المغرب الأقصى عصر بني مرين ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ ، ص ٢٢ .

(٤) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٤٦ .

(٥) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ٣٣٨ ، ٣٨٥ .

(٦) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٤٠١ ، السلاوى: الاستقصا ، جـ ٣، ص ١٧٦ .

لقد انخفضت الأسعار عام (٧٣٨هـ / ١٣٣٨) فوسق القمح كان يباع بأربعين درهم وحمل من قصب السكر يباع بثلاثة دراهم ، ورطل اللحم يباع بدرهم وطائر الدجاج بثلاثة دراهم للرطل.^(١)

وبعد انتهاء وباء الطاعون والذي استمر ثلاثة أعوام بمدينة فاس حتى عام (٧٥١هـ / ١٣٥١م) بيع صاع الحنطة بعشرة دراهم وأربعين من الباكور بدرهم .^(٢)

ويوضح لنا ابن بطوطة رخص سعر اللحم عام (٧٥٨هـ / ١٣٥٩م) حيث بيع ثمانية أواق من اللحم بدرهم .^(٣) وبمرور ثمانية عشر أعوام على انتشار وباء الطاعون ارتفعت الأسعار مرة أخرى عام (٧٦٣هـ / ١٣٦٢-١٣٦٣م) فبيع صاع الحنطة بخسة عشر درهماً، وأصبح ثمن الباكور عشرين بدرهم بعد أن كان أربعين بدرهم.^(٤)

لقد تباينت الأسعار مع حدوث المجاعات والأوبئة والأمراض فمع استقرار الأحوال الداخلية استقرت الأسعار، وأصبحت قليلة أما إذا حدث الاضطرابات ارتفعت الأسعار وزادت داخل الأسواق . وكان المحتسب دوراً كبيراً في مراقبة الأسعار بالأسواق ومنع الزيادة عليها ومن خالف ذلك عوقب بما يراه من الأدب أو الإخراج من السوق .^(٥)

سادساً : الاحتكار :

الاحتكار هو شراء قوت البشر والبهائم وجبسه انتظاراً لغلاء سعره فالمحتكرون يعمدون إلى إخفاء البضائع وتخزينها حتى تفقد في السوق ، فيشتد الطلب عليها ويرتفع ثمنها وخاصة في أوقات المحن والكوارث ، وكانت هذه الظاهرة منتشرة في الأسواق .^(٦)

فالاحتكار في الشريعة الإسلامية محرم ، فبائع الطعام ينتظر به غلاء الأسعار هو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع ، قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) من احتكر الطعام

(١) العمري: مصدر سابق ، ص ١٢٦ : ١٢٨ .

(٢) ابن عباد الرندي: الرسائل الكبرى، طبعة حجرية ، فاس ، ١٣٢ .

(٣) ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص ٦٥٨ .

(٤) ابن عباد: الرسائل، ص ١٧٦ .

(٥) الونشريسي : المعيار جـ ٥ ، ص ٨٥ ، جـ ٦ ، ص ٢٥٧ .

(٦) ابن بسم : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، حققه حسام الدين السامرائي ، المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص ١٨ ، الشيرازي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد البار المريني ، بيروت ١٩٨١ م ، ص ١٢ ، محمد عسارة : مرجع سابق ، ص ٣٣ .

أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره .^(١)

ويقول يحيى بن عمر: " فى المحتكرين: " إذا احتكروا الطعام ، وكان ذلك مضراً بالسوق ، أرى أن يباع عليهم أي يباع ما خزنوه من سلع ويكون لهم رأس مالههم والربح يتصدق به أدباً لهم وينهوا من ذلك ومن عاد ضرب وطيف به وسجن .^(٢)

وأشار الوثنيسي إلى وجود ظاهرة احتكار السلع بالأسواق ، فبعض التجار الجشعين كانوا يلجأون إلى احتكار الطعام فى السوق فيؤدى إلى ارتفاع الأسعار والإضرار بالناس ، فقد أمر الفقهاء بعدم التسعير بالأسواق خصوصاً فى أوقات الغلاء واحتياج الناس لهذه السلع .^(٣)

وكان على المحتسب مراقبة الأسواق فإذا رأى أحداً يحتكر صنفاً من السلع ألزمه بيعه حتى لا يرتفع سعره .^(٤) وبرغم جهود المحتسب إلا أن هذه الجهود لم تمنع الاحتكار .

فقد عمل بعض التجار على احتكار السلع الوافدة عليهم من البادية قبل وصولها للأسواق وشرائها بأبخص الأثمان ، ويقومون ببيعها فى الأسواق بأثمان مرتفعة لتحقيق أرباح كثيرة .^(٥)

ويرى ابن عبد الرؤوف أنه لا يجوز احتكار السلع من زيت وعسل وزبيب وتين ، وأنهى الجزارون عن شراء الضحايا فى زرائبها أيام عاشوراء من الجلابيين ، ثم يبعونها بعد انقضاء الموسم من الناس بالمراوحة مما يضر الناس ويزيد فى أثمان الغنم .^(٦)

(١) الوثنيسي : المعيار ، ج ٦ ، ص ٤٢٥ . عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، كمال أبو مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية ، ص ٧٣ ، سامية مسعد : أهمية كتب النوازل فى كتابة التاريخ الاقتصادي لبلاد المغرب الاسلامي ، الوثنيسي نمونجا ، ضمن ندوة للتاريخ والقانون للقطاعات المعرفية والاهتمامات المشتركة سلسلة ندوات ٢٢ ، الجزء الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مكناس ، سنة ٢٠٠٩ ، ص ١١٧ .

(٢) ابن الأخوة : مصدر سابق ، ص ٢٧ ، الشيرازي : نهاية الرتبة ، ص ١٢ .

(٣) يحيى بن عمر : أحكام السوق ، تحقيق محمود على مكي ضمن مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمطرد ، ١٩٥٦ هـ / ١٣٧٥ م ، العدد ١ ، ٢ ، للمجلد الرابع ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٤) نجاة باشا : مرجع سابق ص ٢٢ .

(٥) البرزلى : جامع مسائل الأحكام ج ٢ ، ص ١٥٧ .

(٦) ابن عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

وقد ساعدت الكوارث الطبيعية على نشاط حركة التجار المحتكرين في الأسواق فهذه الظروف أدت إلى قيام التجار باحتكار المواد الأساسية الضرورية مما تزايد عليها الطلب وأدى لارتفاع أسعارها .^(١)

فعندما طلب من أبي الحسن المزدغى أبو الفضل محمد بن الخطيب صاحب خطة التركات وخطيب جامع القرويين ، زمن السلطان أبي الحسن المريني تسديد ثلاثين ألف دينار ذهبية فقال " كان عندي زرع كثير معمولاً على إيدخاره إلى سنة يرتفع فيها السعر فيوفى ثمنه بالمال وزيادة".^(٢)

وقد حرص المرينيون على الحد من تأثير المجاعات والأزمات الاقتصادية التي كانت تستغل من قبل المحتكرين الذين كانوا يستغلون الناس أشجع استغلال بتخزين الطعام ورفع سعره. وللحد من تجاوزات هؤلاء المحتكرين كانت الدولة المرينية تفتح أبواب مخازن الغلال لتباع للناس بأسعار مناسبة ويتضح هذا حين تعرضت مدينة فاس لمجاعة عم ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م فحدث الغلاء وارتفعت الأسعار وللد من هذا أمر للسلطان أبو سعيد بفتح مخازن الغلال أمام العامة وكان المد من القمح يباع بأربعة دراهم في الوقت الذي كان التجار يبيعون المد بخمسة عشر درهما .^(٣) وإذا كانت الكوارث والمجاعات تؤدي إلى ظهور ظاهرة الاحتكار في الأسواق فإن حكام الدولة المرينية حدوا من جشع هؤلاء المحتكرين كما ذكرنا .

سابعاً: الضرائب والمكوس:

لم تكن الضرائب^(٤) والمكوس أمر مستحدث في فاس أيام المرينيين ، وإنما عرفتھا الدول التي قامت في بلاد المغرب قبل قبام المرينيين .

(١) عز الدين موسى: مرجع سابق، ص ٢٩٥

(٢) ابن مرزوق: مصدر سابق، ص ٢٢٣ - ٢٢٢ .

(٣) الونشريسي : المعيار جـ ٦ ، ص ٤٢٥

(٤) وذكرت كلمة الضرائب في غالبية المصادر التاريخية تحت اسم القبالات أو المكوس ، فالمكس هو رسم يدفعه التجار والحرفيون في الأسواق ، وقد اعتبر الفقهاء أن رسم المكس من الرسوم التي لا يجيزها الإسلام ، وغير موجود في الشريعة الإسلامية . للمزيد انظر صالح فياض أبو دياك : النظام المالي عند الحفصيين ، مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد ٢١ - ٢٢ ، السنة السابعة ، اشبيلية للنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٨٦ ، ص ٩٢ .

وقد اهتم المرينيون بالضرائب والمكوس ، وخصصوا لها ديواناً عرف بـديوان المجابى، ويسمى صاحبه متولى المجابى ومهمته هي تحصيل الضرائب بمختلف أنواعها ومن ضمنها ضرائب الأسواق وكان له عمال يساعدونه فى أداء مهمته .^(١)

وقد أشار الونشريسي إلى أن أسواق المغرب عرفت ضريبة تسمى مغارم الأسواق وكانت تجبى من التجار والباعة والصناع بالأسواق . وكان أصل وضعها عن اتفاق من أهل الحل والعقد قديماً لكون بيت المال عامراً أو قاصراً منها ، وأن تلك المغارم يجب حفظها وأن يولى لقبضها وتصريفها فى مواضعها الثقافات والأمناء.^(٢)

وقد عرف المغرب أنواعاً من الضرائب على الأسواق وتنقسم إلى نوعين المكوس والضرائب الجمركية فالمكوس كانت مطبقة منذ القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى بالمغرب.^(٣)

وكانت خزينة الدولة تعتمد على الضرائب والمكوس التى تفرض على المعاملات التجارية وكانت الضرائب تحمل أسماء أخرى كالقبالات *^(٤)

(١) صالح فياض أبو دياك :مرجع سابق ، ص ٩٢

(٢) الونشريسي : المعيار جـ ٥ ، ص ٣٢.

(٣) إبراهيم دسوقي أباطة : النظام الضريبي المغربي بين الماضي والحاضر ، مجلة المناهل - الرباط - المغرب ، العدد ٢ السنة الثمانية ١٩٧٥ / ١٣٩٥ هـ ، ص ٣١٥ .

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ٢، ص ١٢٥.

* القبالات: هي ضريبة تفرض على المبيعات فى الأسواق، للمزيد أنظر صالح بن قربة، مرجع سابق، ص ١٩١. فالقبالة : هي كلمة عربية أي الكفالة أو الضمان والالتزام ، كما أطلقت على قيمة القبالة من النقود سواء كانت ذهباً أو فضة ، وانقسمت القبالات إلى نوعين القبالات العامة والقبالات الخاصة ، فالقبالات العامة كانت تفرض من قبل الدولة أو من يمثلها من ديوان القضاء فكان القاضي يزاول عمله فى قبالة الحور والحوانيت والفنادق ، وقد كانت قبالات الضرائب جزء من القبالات العامة المفروضة على التجارة سواء الداخلية أو الخارجية ، أما القبالات الخاصة وهى بمعنى الكراء وشملت الاراضى الزراعية والفنادق ومعاصر الزيت والحوانيت وتدفع القبالة كل شهرين أو ثلاثة أو سنة حسب ظروف المستقبل . للمزيد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين ، تحقيق حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٩٧ ص ٤٥٩، ٤٥٨، صلاح أحمد عيد خليفة : القبالات فى المغرب والاندلس ق ٣ - ٦ هـ / ١٢ - ٦ م وأصولها التشريعية وتداعيتها التاريخية، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثامن، المجلد الأول، مارس ٢٠٠٠، ص ٥٢٥، ٥٥٣ .

وقد عرف نظام القبالة بنظام الالتزام ، وهو في الأصل ضريبة تدفع لبيت المال فكان يقصد بها الضرائب غير الشرعية ، وفرضت هذه الضريبة على أصحاب الحرف والصناعات والباعة والتجار بالأسواق ، وأصبحت موردا من الموارد الأساسية لخزينة الدولة. (١)

واستمر العمل بالقباللة والضريبة ، وشملت شتى الحرف والتجارات ، وكانت تتمثل في أن يتولى الجابي أو المتقبل التزام المال الموظف على الأسواق ، فيسلم المبلغ المطلوب للمخزن (بيت المال) على أن يؤخذ من التجار والحرفيين مبلغاً أكثر ارتفاعاً وعادة ما يقع تكليف أحد الحرفيين أو التجار لجمع المال وتسليمه للمتقبل. (٢)

وقد شددت الدولة في جباية القبالة واعتمدت على المتقبلين الذين أساءوا للناس في جبايتها وتحمل الدولة المبرنية المسؤولية في معاناة الناس إذ عينت متقبلين قساة مفترسين. (٣) ففرضوا الضرائب والمغارم والمكوس بلا رحمة. (٤)

وتشير المصادر إلى أن شخصا تقبل القرسطون في السوق بسبعين دينارا فأغني منه وقام بتوسيع القبالة وشملت سوق الخضر بأربعمائة دينار وجمع من ذلك أموالا كثيرة. (٥)

كما كان يجلس عند أبواب المدينة فئة من العمال لجباية ضريبة تسمى مكس الباب. (٦) فهذه الرسوم أسهل الضرائب من حيث الجباية لأن المدينة محاطة بأسوار عالية ولا يدخلها التجار إلا عن طريق الأبواب حيث يجبي منها الضرائب المفروضة عليهم. (٧) فالمتقبلين بهذه الأسواق كانوا لا يتركون شيئا يباع صغيرا أو كبيرا إلا أخذوا عليه قبالة حتى وصلوا إلى بيوت الفقراء وفرضوا عليهم القبالات ، فكانت مصدرا للغنى الفاحش والسريع. (٨)

(١) الوثائقي: المعيار جـ ٥ ، ص ٢٠٢ ، ٣١٣ .

(٢) هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، ترجمة أمين توفيق الطيبي ، الدار المصرية للكتاب ليبيا وتونس ، ١٩٨٠ ، ص ٩٥ .

(٣) ابن عبدون : مصدر سابق ، ص ٣١ ، ٣٢ ، الوثائقي: المعيار جـ ٣ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٤) ابن الخطيب : الإحاطة جـ ٢ ، ص ١٢٥ .

(٥) صالح فياض : مرجع سابق ، ص ٩٤ .

(٦) الوثائقي: المعيار جـ ٦ ، ص ١٥٢ .

(٧) هوبكنز : مرجع سابق ، ص ٩٢ .

(٨) صلاح أحمد: مرجع سابق، ص ٥٤١ .

وقد انتشرت ضريبة تعرف باسم المكس أو حقوق الأرض ، وهى تفرض على الأماكن التى تشغلها بضائع التجار حين تطرح للبيع بالأسواق أو على تكاكينهم فى الأسواق.^(١)

وقد وجدت ضريبة المكس التى تأخذ من التجار عند الانتقال من مدينة لأخرى وجامعها يعرف باسم المكاس .^(٢)

لقد تم تخصيص أماكن خاصة منعزلة عن بقى المتاجر لكبار التجار بحيث يمكن لمستخلص الضرائب أن يتفاوضوا فى عين المكان . وقد كان هذا النظام ما بين التأيد والرفض من قبل السلاطين المرينيين فالسلطان أبو سعيد (٧١٠-٧٣٢هـ/١٣١٠-١٣٣١م) أحل قبالة عامة تسمى للضمان محل جميع الضرائب .^(٣) وقام أبو الحسن المرينى بإلغاء معظم الضرائب وترك الزكوات والأعشار، ويلاحظ أن لفظ الضريبة كان متداولاً فى هذا الوقت.^(٤)

كانت الضرائب والمكوس تؤدى نقداً ، وقد تسمتخلص أسلحة أو ثياباً أو سلع أخرى وتم إنشاء نظام ضرائب جديد فى عهد أبى سعيد المرينى ، فأصبح السكان يؤدون ضرائب إضافية الى جانب الاعشار والزكاة والجزية .^(٥)

وعمل المحتسب على مراقبة البضائع الواردة والصادرة للمدينة واستخلاص الواجبات الضريبية عليها ، سواء فى مدخل المدينة أو داخل الأسواق ويخضع المحتسب فى عمله لقاضى المدينة.^(٦)

(١) ابن خلدون: المقدمة ، ص ٢٥ .

(٢) صلاح أحمد : مرجع سابق ، ص ٥٤٢ . هوبكنز : مرجع سابق ، ص ١١٥ .

(٣) ابن أبى زرع : الأئیس ، ص ٢٣٤ ، ليفي بروفنسال: محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة ، مراجعة عبد الحميد العيادى ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٨٢ .

(٤) ابن مرزوق: المسند، ص ٢٣٤ ، محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ٢٧٩ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ج٢ ، ص ١٢٠ .

والجدير بالذكر ان الرسول (ص) كان أول من أصلح من هذا النظام وبين للناس حلاله وحرامه وسرعان ما تغير عن إطار الشرع بسبب المخالفات الفردية .

(٥) ابن خلدون: مصدر سابق ج٧ ، ص ٤٩٦ .

(٦) ناصح محمد: جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب فى العصر الوسيط ق ٦هـ - ١٢م نمونجا، ص ٤٤٩ .

أصبحت الضرائب الجمركية إحدى أهم المصادر المادية التي كانت تعول عليها السلطة المرينية لعظم نفقاتها المرتفعة ، خاصة وأنها من أسهل الضرائب التي يمكن الحصول عليها.^(١)

وكان للجمرك موظف واحد يجبي الرسوم التجارية ويؤدى ثلاثين ديناراً فى اليوم للخرينة الملكية ويقوم بوضع حراس وكتبة عند كل باب من أبواب المدينة ، ويتقاضى الضرائب على كل السلع التى تساق الى مكتب الجمرك مصحوبة بحارس ويتقاضى الحراس والكتبة مرتباً يقدر بحسب مقادير البضائع ، فالحراس كانوا أحياناً يذهبون إلى خارج المدينة لملاقة البغالة ، حتى لا يقوم هؤلاء بتهريب بعض الأشياء ليتهربوا من دفع الرسوم الخاصة بها ، وأذا اخفوا شيئاً دفعوا ضريبة الجمرك مضاعفة ، وتبلغ الرسوم العادية دينارين عن كل ما قيمته مائة دينار ، أما ما يتعلق بثمار الزروع التى كانت تجلب منها كميات كبيرة فيصل رسومها إلى ربع قيمتها ، ولا يدفع أي رسوم عن القمح والخشب والأبقار والدجاج .^(٢)

أما بالنسبة للأغنام المجلوبة إلى فاس كان يدفع عن كل خروف فى الميسلخ رسماً مقداره درهمان فضلاً عن درهم للحاكم .^(٣)

لقد كانت مدينة فاس تجنى مبالغ طائلة من هذه الضرائب ، فحصيلته الضرائب فى مدينة فاس فى العصر المرينى بلغ مقدارها مائة وخمسين ألف دينار .^(٤)

ومملاً شك فيه أن هذه الضرائب قد أرهقت كاهل التجار داخل الأسواق بمدينة فاس ، لذلك قام بعض سلاطين المرينيين بإلغاء معظم الضرائب كما فعل أبو الحسن المرينى للمحافظة على الأسواق وقام بتعين من يشرف على هذا النظام .

أي أن هناك محاولات من بعض سلاطين هذه الدولة لإصلاح النظام الضرائبى من أجل تخفيف الأعباء عن كاهل الباعة والمستهلكين .

بعد هذا العرض للمعاملات المالية والتجارية فى أسواق مدينة فاس ، جاء الدور للحديث عن الحياة الاجتماعية للعاملين فى أسواق مدينة فاس فى العصر المرينى .

(١) الوزان: مصدر سابق، ص ٢٥٤ .

(٢) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٥١، ٢٥٠ ، إبراهيم حركات : الاقتصاد فى العصر المرينى ، ص ١٣٨ .

(٣) مصطفى نشاط: ملاحظات حول المعاهدات التجارية المغربية فى العصر المرينى الأول ، كلية الآداب ،

الدار البيضاء ، ١٩٨٩ م / ١٤٠٩ هـ ، القسم الثانى ، ص ١٦١ .

(٤) ليفي بروفنسال: مرجع سابق ، ص ٨٢ .

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعية للعاملين في الاسواق

- ١- العناصر السكانية للعاملين في الاسواق
- ٢- الوضع الاجتماعي للعاملين في الاسواق
- ٣- اثر المحن والكوارث على العاملين في الاسواق

أولاً: محن الفتن والاضطرابات السياسية

١- حصار مدينة فاس

٢- الثورات الداخلية

٣- الحروب الخارجية

ثانياً: محن الكوارث الطبيعية

١- محن القحط والجراد

٢- محن المجاعات والأوبئة

ضم مجتمع مدينة فاس العديد من العناصر السكانية التي كونت هذا المجتمع كالعرب والبربر والاندلسيين والسودانيين والأتراك وأهل الذمة (اليهود والنصارى). وقد ساهمت هذه العناصر فى نشاط اسواق هذه المدينة ، وقد تفاوتت نسبة الاسهام من عنصر لآخر وكان عنصر العرب والبربر من اكثر العناصر المؤثرة فى اسواق مدينة فاس حيث كان اكثر العاملين باسواق هذه المدينة من العرب والبربر، خاصة إن الوجود العربي والبربري يرجع إلى زمن تأسيس هذه المدينة، ويأتى فى المرتبة الثانية العنصر الأندلسي الذي سكن المدينة مع تأسيس عدوة الأندلسيين عام ١٩٢هـ / ٨٠٧ م ، واستمر هذا العنصر فى التوافد بسبب الظروف السياسية التي مرت بها الأندلس .

ويهتم هذا الفصل بابرار العناصر السكانية للعاملين فى أسواق مدينة فاس وأحوال كافة العاملين فى أسواق هذه المدينة ذلك من خلال دراسة أوضاعهم ومعرفة مستوى معيشتهم ، ومدى الثراء الذى يعيشه البعض ، والتدنى الذى كان يعيش فيه البعض الآخر وذلك من خلال معرفة مآكلهم وملبسهم الذي يرتدونه .

كما سيعرض هذا الفصل الفتن والاضطرابات والمحن التي داهمت مدينة فاس خلال حكم المرينيين ، ومدى تأثير هذه المحن على الاسواق سواء كانت محن سياسية او اجتماعية، أو محن المجاعات والأوبئة والتي كان لها اثر كبير فى تدهور أحوال مدينة فاس وارتفاع أسعارها بالإضافة إلى تدهور مستوى معيشة العاملين بأسواقها .

ومع هذه المحن ظهرت العديد من العادات السلبية مثل الرشوة والسرقة ونشاط قطاع الطرق وشرب الخمر وكان لهذه العادات تأثير على المجتمع الفاسي خلال حكم المرينيين .

١- العناصر السكانية للعاملين في الاسواق

سكن مدينة فاس العديد من العناصر السكانية التي أسهمت في ازدهار أسواق هذه المدينة كالبربر والعرب والأندلسيين والسودانيين والروم والأتراك وأهل الذمة وهذه العناصر هي العناصر الأساسية للمجتمع المغربي وفيما يلي تفصيل لهذه العناصر .

١- البربر

يعد البربر من أهم العناصر التي شكلت خريطة السكان بمدينة فاس^(١) عرفهم العرب بهذا الاسم من خلال الروم وقد انقسم البربر الى مجموعتين للبربر البرانس نسبة الى برنس ابن بر، والبربر البتر نسبة الى مادغيس الابتر .^(٢) ويمثل البربر الغالبية العظمى من عناصر السكان التي استوطنت بلاد المغرب منذ القدم وحتى الآن .^(٣) ويضم البربر البرانس عشر قبائل وهي أوربة وصنهاجة وكثامة ومصمودة وعجيسة واروريطة وازداجة ولمطة وهسكورة وجزولة ومزاية^(٤) ومن أهم قبائل البربر البرانس الصنهاجيين الذين يمثلون عنصراً مهماً من عناصر السكان في المغرب الأقصى.^(٥) أما البربر البتر منهم ضريسة

(١) إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس عصر المرابطين ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٩٧ ، ص ٨ .

(٢) ابن خلدون: مصدر سابق ج٦، ص ٨٩ ، محمد مقر: اللباس المغربي ، ص ٤٦ ، عبد المحسن طه رمضان: موضوعات في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى نهاية عصر الامارة ، ج١ ، كلية الآداب، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٠-٢٠٠١ ، ص ١١ ، حسن علي حسن : مرجع سابق ، ص ٢٩٣ .

(٣) حسن احمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٢٨ .

(٤) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، ط ٤ ، ص ٤٩٥ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج٦، ص ٨٩،٩٠ ، ابن الاحمر : بيوتات فاس الكبرى ، ص ١٢٩ ، السلاوي : الاستقصا ج١ ، ص ٣١ ، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ج١، ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي من الفتح الى بداية عصور الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) ج١ ، دار المعارف ، الاسكندرية ١٩٩٩ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٥) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص ١٣٧ .

ونفوسة واداسة وبنو لواته ومغراوة وبنى بفرن ومكناسة وزناتة .^(١) ويوضح لنا الادريسي انه كان يسكن حول فاس قبائل من البربر لكنهم يتكلمون العربية .^(٢)

وقد أعان ابن الأحمر في تحديد بعض القبائل البربرية التي سكنت مدينة فاس ونعتقد انه كان لها نشاط في أسواق هذه المدينة من خلال كتابه بيوتات فاس الكبرى فمن خلال رصده لبعض العائلات البربرية التي سكنت المدينة في الفترة الزمنية للدراسة.

وجدت عائلات وبيوتات بربرية تنتمي للعديد من القبائل البرنسية والبترية ، من هذه البيوت بيت السلاجي والسلجونيون قبيلة بربرية متعربة وذلك بفضل اختلاط أفراد تلك القبيلة مع القبائل العربية والبربرية بمنطقة فاس .^(٣)

وقد وجد بمدينة فاس العديد من الحوانيت في أسواق فاس للعديد من التجار البربر منهم بني شيبون الذين كان لهم زقاق بفاس قريب من باب عجيسة يقال له درب ابن شيبون، ولهم أملاك وجنات ورباع بفاس. واحترفوا جلب البقر والقمح والسمن والزيت والعسل والصوف والدجاج والفحم والخشب والفواكه والملح والأعواد والشطاطيب (المكنسة) لكنس الديار ويبيعه في أسواق مدينة فاس. هكذا كان لبنى شيبون وهو من البيوت البربرية التي سكنت فاس نشاط تجاري كبير إذ كانوا يتاجرون في الحبوب والمواد الغذائية والفواكه إضافة إلى التجارة في الدواب وغيرها .^(٤)

ومن بيوتات البربر التي كان لها نشاط تجاري كبير في فاس بني فذة، ويشهد على هذا النشاط أنهم كان لهم سوق بفاس بقرب الشهود يعرف بسوق ابن فذة يوجد في رحبة القيس . وامتد إسهام هذه العائلة التجاري ببناء فندق في السوق وكان هذا الفندق وغيره من الفنادق قد أسهمت في رواج الحركة التجارية إذ يشجع على قدوم التجار الغرباء إلى هذه المدينة.^(٥)

(١) ابن حزم: مصدر سابق، ص ٤٩٦ ، ابن خلدون : مصدر سابق ، ج٦ ، ص ٩٠، ٩١ . احمد عبداللطيف حنفي : المغاربة والإنديسيون في مصر الاسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي (٢١-٥٦٧هـ / ٦٤٢-١١٧١م) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج١ ، سنة ٢٠٠٥ ، ص ٤٠ .

(٢) الادريسي: مصدر سابق ، ص ٧٩ .

(٣) ابن الأحمر : بيوتات فاس الكبرى ، ص ٤٨ .

(٤) ابن الأحمر : بيوتات فاس ، ص ٢٢ : ٢٤ ، الكتاني : زهرة الأس ، ج١ ، ص ٥٥٧ .

(٥) ابن الأحمر : مصدر سابق ، ص ٨ .

وتمدنا بعض المصادر بالعديد من الإشارات التي توضح لنا إسهام العديد من العناصر البربرية في نشاط أسواق مدينة فاس وإذ كانت هذه المصادر لا تذكر صراحة النشاط التجاري لهذه العائلات في أسواق مدينة فاس . فأننا نرجح قيام هذه العائلات بنشاط تجاري كبير استنادا إلى ما جاء في هذه المصادر أن هذه العائلات لها ثروة والبدهيي إن هذه الثروة قد تحققت بفضل النشاط التجاري لهذه العائلات ومنهم بيت ينسب إلى قبيلة مغيلة^(١) يقال لهم بيت بني المغيلي الذين كان لهم زقاق في مدينة فاس كما كانت لهم ثروة كبيرة .^(٢) والراجح كما ذكرنا من قبل أن هذه الثروة تحققت بفضل نشاطهم التجاري.

كما سكن فاس بربر ينتسبون إلى قبيلة غماره^(٣) ومن أشهر بيوتات هذه القبيلة بيت بني الغماري وقد ارتفعت مكانتهم الاجتماعية في مدينة فاس بفضل نشاطهم التجاري في أسواق هذه المدينة ولذلك كان لهم زقاق بفاس يطلق عليه درب ابن حيون بالقرب من جامع القرويين وأسهمت التجارة في ثرائهم وهو ما دفع ابن الأحمر إلى القول أن هذا البيت بيت ثروة^(٤)

كما كان لبعض البيوت التي تنسب إلى قبيلة أوربة^(٥) نشاط تجاري في مدينة فاس من هذه البيوت بيت الأوربيين وكان هذا البيت قد حقق ثروة كبيرة من هذا النشاط فقد ذكر أيضا ابن الأحمر أن هذا البيت بيت ثروة .^(٦)

وتتعدد للبيوت التي تنسب لقبائل بربرية والتي كان لها نشاط تجاري في مدينة فاس والجدير بالذكر أن المصادر لم تذكر أية قبيلة بربرية تنتسب هذه البيوت من هذه البيوت بيت بني دبوس الذين كان لهم زقاق بفاس يعرف باسم عقبة ابن دبوس^(٧)

(١) قبيلة مغيلة : هي قبيلة من البربر، يسكنون مدينة فاس للمزيد ابن الأحمر : بيوتات فاس ، ص ٢١.

(٢) ابن الأحمر : مصدر سابق، ص ٢١ .

(٣) قبيلة غماره : غماره شعب من البربر والبرانس وهم سموا باسم والدهم غماره ابن مصمودة وهم غمروا في الجبال فسموا غمار وأطلق على الجبال اسمهم وهي تقع في شمال المغرب الأقصى ، للمزيد انظر ابن خلدون : مصدر سابق ج١ ، ص ٢١ .

(٤) ابن الأحمر : مصدر سابق، ص ٤٩، الكتاني: ملوه الأنفاس، ج١، ص ٢١١ .

(٥) قبيلة أوربة : هي قبيلة شهيرة من البربر البرانس ، وتشتمل على بطون وعوائل كثيرة مثل جاية ونقاسه ومزيانة وعظمت تلك البطون فيما بعد حتى صارت في عداد القبائل وكان موطنها بجبل زرهون ، ولهم حومة الوربية بفاس . للمزيد انظر : ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج٢، ص ٢٦

(٦) ابن الأحمر : مصدر سابق، ص ٥٢-٥٣، ابن عيوشون : مصدر سابق ، ص ٢٠٤

(٧) ابن الأحمر : مصدر سابق، ص ٢٦ : ٣٧ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج١ ، ص ١٣١ ، ابن

عيوشون : مصدر سابق ، ص ٣٤٣ .

أما بيت بنو زنوبة البربري فقد كان له مزارع زيتون وجنات بأحواز مدينة فاس .^(١) وهذا يرجح تجارتهم في الفاكهة وخاصة الزيتون الذي كان يباع للمعاصر . وكان بيت بنو حنون من البيوتات البربرية التي كان لها نشاط تجارى كبير فقد كانوا يملكون أموالا كثيرة تحققت من خلال التجارة ولشهرتهم كان لهم زقاق بجانب جسر الصباغين يسمى جزاء بن زكون .^(٢)

وبيت بني المصمودى وهو بيت ترف ولهم زقاق يسمى مصمودة .^(٣) وأخيرا بيت بنو عبودة وكان لهم درب باسم هذا البيت يسمى درب ابن عبود وكانوا يتاجرون على ما يعتقد في الخضر والفاكهة فقد كانت لهم جنات وأمالك في مدينة فاس .^(٤)

ب- العرب

كان لقيام دولة الادراسة بالمغرب الأقصى عام ١٧٢هـ / ٧٨٨م اثر كبير في ازدياد أعداد العرب ، ومع بناء مدينة فاس عام ١٩٢هـ / ٨٠٧م وصل عدد كبير من القيروان إلى فاس واتخذوا عدوة القرويين مكانا لهم، وانهالت أفواج من الهجرات العربية إلى مدينة فاس من قبائل قيس والازد والصنف ، واستمر نزوحهم حتى عهد إدريس الثاني ٢٠٢هـ / ٨١٧م .^(٥)

وبحلول القرن الخامس الهجري نزحت أعداد كبيرة من العرب بسبب الهجرة الهلالية .^(٦) وكانت من بين القبائل التي نزحت لمدينة فاس قبائل بني سليم والتي كانت من

(١) ابن الأحمر : مصدر سابق، ص ٢٦ : ٣٧ ، ابن القاضي: جذوة الاقتباس ، ج ١ ، ص ١٣١

(٢) ابن الأحمر : مصدر سابق، ص ٤٠

(٣) ابن الأحمر: مصدر سابق، ص ٥٢-٥٣ ، ابن عيشون : مصدر سابق ، ص ٢٠٤ .

(٤) ابن الأحمر : مصدر سابق ، ص ٤٠ .

(٥) الجزنائي: مصدر سابق ، ص ٢٦ ، ابن عذارى: ج ٢ ، ص ٧٧ . حسن علي حسن : مرجع سابق ، ص ٣٠٧

مصطفى ضيف : اثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (٥٢٤-٨٧٦هـ / ١١٣٠-١٤٧٢م) دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، ص ٤٣ ، ٤٢ .

(٦) محمد مقر: مرجع سابق، ص ٥٣ ، عز الدين موسى: مرجع سابق ، ص ٩٣ .

اغني العناصر وأعرقها بالإضافة إلى قبائل بني هلال، وقبائل المعقل التي حصلت على أقطاعات كبيرة من الدولة. (١)

استفاد الموحدون من القبائل العربية الموجودة بالمغرب عامة وبمدينة فاس خاصة، فضموا عدد كبير منهم إلى الجيوش الموحدية والتي كانت في جهاد مستمر بالمدن الأندلسية. (٢)

وضممت مدينة فاس عرب بني رياح وبني عدى وبني جشم، وأشهر بطونهم سفيان والخلط وبنو جابر والعاصم، وكان موطنهم بمدينة فاس وضواحيها وكان لقبيلة رياح دور كبير في عهد بني مرين. (٣)

وكان للعرب دور كبير في حروب بني مرين مع الموحدين في عام ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م، تحالف الأمير كانون بن جرمون أمير عرب سفيان مع الأمير يحيى المريني (٦٤٢-٦٥٦هـ / ١٢٤٤-١٢٥٨ م) ضد الخليفة الموحدى السعيد. (٤)

وبعد قيام الدولة المرينية استمرت القبائل العربية في التحالف مع بني مرين فقد لعبت القبائل العربية دور كبير في غزو السلطان أبي الحسن المريني (٧٣١-٧٤٩هـ / ١٣٣١-١٣٤٨م) لتلمسان فقد عملوا على تحريض هذا السلطان للقضاء على الحفصيين. (٥)

وقد ادعى بنو مرين النسب العربي الشريف إذ يرجع بعض المرينيين نسبهم إلى العرب فهم يرفعون نسبهم إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) والبعض إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. (٦)

(١) مارمول : مصدر سابق جـ ١، ص ١٠٦ ، مصطفى ضيف : مرجع سابق ، ص ٥٧ ،
G.Morcais; les Arabes, p.365

(٢) مصطفى ضيف: مرجع سابق، ص ٨٧.

(٣) ابن أبي زرع : الأتيس ، ص ٩٧ ، ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٦ ص ٢٦ ، الفشتالي : مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا ، تحقيق عبد الله كنون ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المطبعة المهدية الرباط ١٩٦٤ جـ ٢ ص ١٩ ، محمد شقرون : مظاهر الثقافة ، ص ٢٠ .

(٤) مصطفى ضيف: مرجع سابق، ص ١٠٨ .

(٥) مصطفى ضيف: مرجع سابق، ص ١٨٠.

(٦) مصطفى ضيف: مرجع سابق، ص ١٦١.

وقد عمل عدد كبير من العرب في الفلاحة وبيع الفاكهة والخضر والخبز وبيع لبن الابقار، والحريز المنسوج والغبر المنسوج وغزل ونسج الكتان وبيع العطور وسبك الشمع^(١). وبجانب ذلك عمل عدد من العرب في تجارة الملح سواء مع بلاد السودان أو الدول النصرانية^(٢).

تتعدد البيوتات العربية التي سكنت مدينة فاس والتي كان لها نشاط تجاري بأسواق هذه المدينة. فتمدنا المصادر بإشارات عديدة عن هذه العائلات العربية التي سكنت مدينة فاس. ومن البيوتات التي كان لها ثروة كبيرة وأسهمت في النشاط التجاري بيت السلاجي فهم بيت ثروة وكانوا من العرب القيسيين ويرجح أن ثروتهم تحقق من خلال التجارة^(٣).

كما سكن مدينة فاس عرب من كنانة ومنهم بيت بني حنين الذين كان لهم زقاق بفاس فقاموا بأحداث رحا به يقال له ميزاب ابن حنين والذي يقع بحومة الصفاح من عدوة الأتلس فكان هذا الميزاب يمدهم بأرباحا كثيرة^(٤).

وبجانب ذلك كان هناك بعض البيوتات التي تنسب إلى عرب قريش كبيت بني عتيق وكان لهم درب يدعى ابن عتيق بفاس. ومن المرجح ارتفاع مكانتهم الاجتماعية بمدينة فاس بفضل نشاطهم التجاري بأسواق هذه المدينة^(٥).

ومن البيوتات العربية أيضا بيت بني حاج لهم زقاق بفاس يسمى درب أبي الحاج بطالعة القرويين^(٦) وأخيرا بيت القوري وكانوا يتاجرون في الخضر والفاكهة على ما نعتقد حيث كان لهم جنات وأمالك كثيرة بمدينة فاس^(٧).

(١) مصطفى ضيف: مرجع سابق، ص ١٦١.

(٢) ابن الأحمر: مصدر سابق، ص ٢٣.

(٣) مصطفى ضيف: مرجع سابق، ص ٣٠٨.

(٤) ابن الأحمر: مصدر سابق، ٤٤، ٤٥، ابن القاضي: جنوة الاقتباس ج ٨، ٣، ابن عيشون: مصدر سابق، ١٩٣.

(٥) ابن الأحمر: مصدر سابق، ٥٢، ابن القاضي: جنوة الاقتباس ج ١ ص ٢٤٣.

(٦) ابن الأحمر: مصدر سابق، ٤٤، ابن القاضي: جنوة الاقتباس ج ١ ص ٢٤٤.

(٧) ابن الأحمر: مصدر سابق، ٦٥.

وقد تبو العرب مناصب عالية في الدولة المرينية كالجيش والادارة^(١) ولم يتمكن بنو مرين من الاستغناء عنهم فكانوا يقومون بأعطائهم الاراضى الاكثر جودة بمدينة فاس فاستغل العرب هذه الأراضي بزراعتها وتوفير السلع التجارية الخاصة بالأسواق من خضر وفاكهة^(٢)

جـ - الأندلسيون

وفد عدد كبير من الأندلسيين إلى المغرب الأقصى واستقرت أعداد كبيرة منهم في مدينة فاس منذ بداية حكم الدولة الإدريسية^(٣).

وازدادت أعداد الوافدين في عهد إدريس الثاني اثر ثورة الريض بقرطبة ، حيث قرر الأمير الحكم الأول (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢٢م) هدم الريض ففر عدد من السكان إلى شمال المغرب الأقصى ثم نزلوا مدينة فاس وأقاموا بعدوة الأندلسيين^(٤).

وبحلول عام ٢٦٠هـ / ٨٧٤م هاجر عدد كبير من الأندلسيين وذلك اثر انتشار المجاعات والأوبئة التي أصابت العدو الأندلسية^(٥).

(١) محمد شقرون : مرجع سابق ، ص ٢٩ ، محمد العروي: مجمل تاريخ المغرب جـ ٢ ، ص ٩٨ .
(٢) محمد شقرون : مرجع سابق ، ص ٣١ . وبجانب ذلك قام عدد من ملوك بني مرين بمصاهرة العرب فتزوجوا عدد من نسايتهم فتزوج السلطان عبد الحق بن محيو (٥٩٢-٦١٤ هـ / ١١٩٥-١٢١٧ م) من شريفة عربية من بني على شرفاء الحسين اسمها سواط النساء وأنجبت أولاده عبد الله وإدريس وعبد الرحمن . وتزوج السلطان يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥ هـ / ١٢٥٨-١٢٨٦ م) من حرة علوية تسمى أم العز بنت محمد بن حازم العلوي . وعائشة بنت أمير عرب للخلط وأنجب منها عثمان بن أبي يعقوب والذي تولى الحكم عام (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) . وتزوج الأمير عبد الله بن يوسف المريني مولدة عربية اسمها زيانة وأنجب منها سليمان الذي تولى الحكم في (٧٠٨-٧١٠ هـ / ١٣٠٨ - ١٣١٠ م) . وأيضا تزوج أبو سعيد عثمان (٧١٠-٧٣١ هـ / ١٣٣٠-١٣٣١ م) ابنة زعيم بني حميد عامر بن إبراهيم بن يعقوب من عرب عامر بن زغبة . للمزيد انظر : ابن الأحمر: روضة السنين ، ص ١٦-٢٣ ، ابن الأحمر النفحة السرينية ص ٢٩ . السلاوي : الاستقصا جـ ٣ ، ص ٩ ، ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ، ص ٢٨٨ ، مصطفى أبو ضيف: ص ١٦٢ .

(٣) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٣٠ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ جـ ٢ ، ص ٢٠٤ .
(٤) ابن الأثير : الكامل، جـ ٦ ، ص ١٩٨ ، ٢٢٩ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، الإسكندرية ١٩٨٥ ، ص ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ص ٢٨١ ، ٢٨٣ ، أمل ربيع : مرجع سابق ، ص ١٤ .
(٥) أمل ربيع: مرجع سابق، ص ١٤ .

وكان لانحلال الدولة الاموية بقرطبة اثره في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، في هجرة اعداد كبيرة من الأندلسيين للمغرب الأقصى ونزل أكثرهم بمدينة فاس بعدوة الأندلسيين .^(١) وبجانب ذلك كان حرص الولاة من المرابطين والموحدين على تشجيع هجرة التجار والمزارعين والصناع والحرفيين المهرة من الأندلسيين للمغرب ، فاستقادت مدينة فاس من هجرتهم في الزراعة والصناعة والتجارة .^(٢)

كما هاجرت جاليات أندلسية إلى فاس بسقوط المدن الأندلسية الكبرى وخاصة بنسبية عام (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) فمن شرق الأندلس اتجهت الهجرات إلى مدينة غرناطة ، ومنها إلى المغرب وخاصة فاس.^(٣)

وكانت لسياسة سلاطين بني مرين اثر كبير في هجرة أعداد كبيرة من الأندلسيين من الفقهاء والقضاة والعلماء والذين نزلوا بمدينة فاس فاستعانوا بهم في إدارة شئون الدولة.^(٤)

ومع تدخل بنو مرين في الحدود الايبيرية فيما بين القرن الثامن الهجري/ الربع الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي ، والقرن التاسع الهجري أربعينيات القرن الخامس عشر نزحت أعداد كبيرة من سكان الأندلس إلى مدينة فاس .^(٥) فكان للأندلسيين دور فعال في مجالات شتى ومنها الزراعة حيث نقلوا العديد من الحاصلات الزراعية إلى المغرب كغرس أشجار الزيتون، وأشجار التوت التي اعتمدوا عليها في تربية دودة القز وأنواع عديدة من الفاكهة كالعنب والتين والتفاح والخوخ .^(٦)

(١) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦ ، ص ٣٨٢ ، المراكشي: الذيل والتكملة ، ص ٥٥٢ .

(٢) الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٤٢ ، أمل ربيع : مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٣) المقري : أزهار الرياض ، ج٢، ص ٣٩١ وللمزيد انظر المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول القسم الأول ، ص ٢٤١ ، ٢٦٨ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ . ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦ ص ٣٨٢ .

(٤) المقري : أزهار الرياض ، ج٢، ص ٥٢٩ ، محمد المنوني : ورقات ، ص ١٤٥ .

(٥) ماريا خوليو ميلا لوبيير دي باروس : الهجرات ونزوح السكان ، ترجمة محمد عبد القنى ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٦) ابن خلدون : المعرج٦ ، ص ٧١١ . الكتاني : مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٩٠ ، ٤٦٧ ، محمد زروق: الأندلسيون وهجراتهم خلال القرنين ١٦-١٧ ، أفريقيا للشر ، الدار البيضاء ١٩٩١ ، ص ٢٦٦ ، أمل ربيع: مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

كما تفوق الأندلسيون في تخطيط البساتين وساهموا في تطوير بعض التقنيات الخاصة بالري، فكانت أول ناعورة بفاس لتنظيم الري بواسطة المهندس الاندلسي أبو عبد الله محمد بن الحاج الأشبيلي (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) وذلك في عهد السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني . وانتقلت العديد من الصناعات الأندلسية إلى مدينة فاس والتي كان لها رواج كبير في أسواق المدينة ، كصناعة الزجاج والورق ، وصناعة المنسوجات . ^(١) وعملوا في تقطير عصارة الزهور وتزيقها لاستخراج العطور ^(٢) وبجانب ذلك عملوا على إدخال صناعات جديدة بمدينة فاس مثل صناعة غطاء الرأس وهو ما يسمى بالشاشية أو الطربوش بمدينة فاس . ^(٣)

هكذا أحدث الأندلسيون رواجاً اقتصادياً باستقرارهم في هذه المدينة كان تأثيره واضحاً في ازدهار أسواق هذه المدينة .

وقد عمل عدد كبير من الأندلسيين كمرتزقة في الجيوش المرينية مقابل رواتب مجزية. ^(٤) ولهذا شكل هؤلاء المرتزقة قطاعاً مهماً من المستهلكين للسلع والبضائع التي كانت تعرض في أسواق مدينة فاس بفضل رواتبهم المجزية .

وقد امتلك عدد من الأندلسيين حوانيت بأسواق مدينة فاس فكان أبو الحسن علي بن محمد صالح الاندلسي وهو من أهل غرناطة قد انتقل إلى مدينة فاس وامتلك حانوتاً في قيسارية فاس. ^(٥) واشتهرت أعداد كبيرة من البيوتات الأندلسية بمدينة فاس منهم بيت التجيبي وبنو جزي وقد وفدوا في العصر المريني . ^(٦) وبيت ابن الحاج السلمي. ^(٧)

(١) للجزائري : مصدر سابق ، ص ٤٤ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٣٧ .

(٢) الدكالي : الإتحاف الوجيز ، ص ٦٤ ، أمل ربيع : المرجع السابق ، ص ١١٠ ، ١١١ .

(٣) لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ١٣٥ .

(٤) محمد المنوني : نظم الدولة المرينية ، مجلة البحث العلمي الرباط ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، مايو /

أغسطس ، ١٩٦٤ .

(٥) ابن عيشون : مصدر سابق ، ص ١٧٦ .

(٦) ابن الأحمر : نثر الجمان ، ص ٣٥٦ ، المقرئ : نفح الطيب ، ج ٧ ، ص ٢٧٧ .

(٧) الكتاني : زهرة الأس ، ج ١ ، ص ٣١٦ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ج ١ ، ص ٣٠٥ .

ومن أهم من سكن مدينة فاس من هذه الجاليات الأندلسية بيت أولاد الزريعي وكان لهم جنان خارج باب بني مسافر يسمى جنان الزريعي فكان لهم بذلك اثر كبير في أسواق مدينة فاس فالجنان كانت تنتج الفاكهة التي كانوا يبيعونها في الأسواق .^(١)

كما يتضح الإسهام الأندلسي في ازدهار الحركة التجارية في أسواق فاس من خلال عدد من البيوت الأندلسية منها بيت أولاد الغرناطي الأندلسيين فكان لهم دور عديدة بدرب الغرناطي بعدوة الأندلسيين ، فعمل عدد منهم في التجارة بمدينة فاس .^(٢) وبيت بنو القباب الذين اشتهروا بالزراعة فامتلكوا جنان داخل بيت الفتوح فعملوا على توفير السلع الزراعية بالأسواق .^(٣)

وبيت ابن فارس الأندلسيين الذين احترف بعضهم للدباغة بدار الدباغة شواره من حومة البليدة والبعض الآخر احترف حرفة الخرازة ، وأيضاً عمل بعضهم في حرفة الدلالة.^(٤) وبيت المرادي من البيوت الأندلسية التي عملت بحرفة الدباغة والصباغة وعمل البعض منهم في الفلاحة بمدينة فاس .^(٥)

واشتهر بيت السيوني حيث كان الفقيه التاجر السيد عبد المالك بن عمر بن خلف أباً مروان يتاجر بأمواله في أسواق مدينة فاس .^(٦) وبيت قزمان كان أكثرهم من التجار الذين عملوا على ربط أسواق مدينة فاس بالأسواق الخارجية وكان لهم عدد كبير من الحوانيت بمدينة فاس . هكذا كان للأندلسيين اثر كبير في ازدهار أسواق المدينة حيث عملوا على إدخال كل ما هو جديد إلى أسواقها.^(٧)

(١) الكتاني: زهرة الأس، ج١ ، ص ٤٦٧ ، ٤٦٨

(٢) الكتاني: تحفة الأكياس، ج٢ ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٣) الكتاني: المصدر السابق والجزء ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

(٤) الكتاني: مصدر سابق ، ج١ ، ص ٤٣٨ .

(٥) الكتاني: المصدر السابق والجزء ، ص ٤٧٥ .

(٦) ابن القاضي: جنوة الاقتباس ج٢ ، ص ٤٤٣ ، ٤٤٤

(٧) الكتاني: تحفة الأكياس، ج٢ ، ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

يرجع الوجود السوداني بالمغرب إلى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي منذ أيام عيسى بن يزيد الأسود (١٤٠-١٦٥هـ / ٧٥٧-٧٧٢م) - أول حكام الدولة المدراوية (١) وجد عدد من السودانيين بمدينة فاس في عهد المرابطين والموحدين وبمرور الوقت زاد عددهم (٢).

وترتبط فاس بالسودان الغربي بعدة محاور فاس - أغمات (مراكش) - السوس الأقصى نول لمطه (٣) ويعتبر الطريق المباشر فاس - سجلماسة مرورا بصفرو من أهم الطرق والذي عرف بطريق السلطان ، ومن سجلماسة كانت القوافل تواصل طريقها إلى السودان الغربي عبورا بمحطات تجارية صحراوية هي أودغشت وغانة (٤).

فأصبحت تجارة القوافل عبر الصحراء من أهم ما تميزت به التجارة بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني ، وأصبح السودان الغربي مقصدا لهذه التجارة وخاصة مدينة مالي فأصبحت بمثابة ممر للقوافل التجارية (٥).

وقد كانت مدينة فاس دائما في حاجة إلى كميات كبيرة من السلع التجارية السودانية وخاصة الرقيق للبلاط السلطاني ، فهو من السلع الهامة بالسودان الغربي فكان تجار مدينة فاس يجلبون أعدادا كبيرة منه وكانت مدينة تنبكت أهم مراكز لبيع العبيد . وكان بمدينة فاس

(١) قامت الدولة المدراوية في مدينة سجلماسة (١٤٠-٣٤٧هـ / ٧٥٧-٩٥٨م) على يد عيسى بن يزيد الأسود وكان صاحب ماشية كثيرة، فاجتمع إليه أربعين رجلا من قوم الصفرية وولوه أمرهم فشرعوا في بناء سجلماسة وقيام دولتهم . للمزيد انظر : ابن الصغير المالكي : أخبار الأئمة الرسنمين وسيرهم ، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي ١٩٨٦، ص ١٠٨

(٢) ابن القطان: نظم الجمان، ص ١٠٩، ابن عذاري: البيان جـ ٤، ص ٢٤ ، حسن علي حسن : مرجع سابق، ص ٣٢٣ ، إبراهيم حركات : المغرب ، ص ٢٢٣.

(٣) ماجدة كريمي : العلاقات التجارية بين المغرب والسودان في العصر المريني ١٧٦.

(٤) عبد العزيز العلوي: فاس والتجارة للصحراوية، ص ٥٨.

(٥) العمري: مصدر سابق ، ص ٦٠، قاسم الزهيري: الممالك الإسلامية القديمة في إفريقيا مملكة مالي، ص

سوق الخضر لبيع وشراء العبيد به ومنازل متخصصة لبيع العبيد والجواري وقد استخدم الجواري في القصور المرينية ومنازل أثرياء هذه المدينة وعملوا في الطبخ^(١) فقاموا بعمل أصناف من الحلويات مثل الجوزنيقات والقاهريات والكنافات والقطائف والمشهيات التي تباع بأسواق مدينة فاس.^(٢)

ذ - الأتراك:

لقد بدء نزوح الأتراك للمغرب منذ عهد الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عام (٥٧٤هـ / ١١٧٨م)^(٣) وأطلق عليهم الغز وهي اسم لقبيلة تركية كانت تعيش في سهول أواسط آسيا .^(٤)

ويبلغ عدد الغز في موقعه العقاب عام ٦٠٩هـ / ١٢١١م عشرة آلاف جندي.^(٥) واعتمد عليهم المرينيون خلال حكمهم للمغرب الأقصى و كان عددهم كبير^(٦) وكان أشهرهم إيدغدى الشهرزورى^(٧) ومن خلال ذلك قام الغز الأتراك بدور هام في حركة الشراء حيث كانوا يشترون ما يحتاجونه من سلع من أسواق مدينة فاس من خلال الرواتب التي يحصلون عليها من الدولة .

ظ - أهل النمة:

(١) ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١٧٦ ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٧ ص ٢٠٥ ، السوزان: مصدر سابق، ص ٢٨٨ ، السلاوى: مصدر سابق جـ ٣ ، ص ٥٥ ، ٥٦ ، مارمول : مصدر سابق ص ١٣٥ ، ماجدة كريمي : مرجع سابق ، ص ١٩٩ .

(٢) مجهول: الاستبصار ، ص ٢١٦ .

(٣) ابن خلدون: مصدر سابق جـ ٦، ص ٣٧١ .

Dozy: R. Supplement .Ouxdict ionnaires Arabes 2 Tomes Leiden- Paris, 1927.p210.

(٤) ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص ٣ .

(٥) للنميرى : فيض العباب ، ص ٢٢٣ .

(٦) ابن أبى زرع : الأكنيس ، ص ٣٠٢ ، محمد المنولى : ورقات ، ص ٧٠ .

(٧) نوال عبد العزيز: مرجع سابق، ص ٢٣٨ .

ومع قيام إدريس الأول بتأسيس دولة الادارسة (١٧٢هـ/٧٨٨م) وجد عدد من القبائل المتهودة في منطقة زرهون قرب فاس ، ومع تولى إدريس الثاني سمح لهم بالسكن داخل أسوار مدينة فاس القديمة ^(١) وذلك نظير ضريبة الرأس والتي تبلغ ثلاثين ألف دينار سنويا ^(٢)

كما هاجرت أعداد كبيرة من اليهود إلى المغرب بعد تعرضهم للاضطهاد والقتل بمدينة غرناطة عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ، حيث قام الناس عليهم وقتلوا منهم أكثر من ثلاثة آلاف واخذوا أموالهم . ^(٣)

وتمتع اليهود في العهد المرينيين، فتمتعوا بالتسامح الديني والمودة من قبل بعض الحكام الذين سمحوا لهم بمباشرة طقوسهم الدينية ^(٤)

وخصص لهم في فاس الجديد أول ملاح لليهود. وقام السلطان يعقوب المريني بتخصيص حامية لرد كل اعتداء محتمل عليهم. وفي سنة ٧٩٤هـ/١٢٩١م هاجر عدد كبير من اليهود الأندلسيين إلى مدينة فاس وكان لهم تأثير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية. ^(٥)

فقد شكل اليهود طبقة كبيرة في مدينه فاس وامتلكوا كثير من الدور بالمدينة ^(٦) وعمل هؤلاء اليهود بالتجارة وحققوا من خلالها أموالا طائلة ^(٧)

وتعددت نشاط اليهود في الأسواق فعمل عدد منهم في خياطة الملف والثياب ونسج العقد (الأزرار) ونسج القلنسوة وتبطينها وصبغها ، وعدد منهم عمل في صناعة مغاليق الأبواب في

(١) ليفي يروفتسال : الإسلام في المغرب ، ص ٤٥

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

(٣) الونشريسي : المعيار ج ٢ ، ص ٢٥٠ ، ج ١١ ، ص ٣٠٠ ، إبراهيم حركات : مرجع سابق ،

ص ٩٤

May shatz miller; un Facteur Ethnique dans une revolution Social medievale: lerole courtisans Juifs Sous es merinides, P.295.

(٤) إبراهيم حركات: مرجع سابق، ص ٩٥.

(٥) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٥٩ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ٢٠٢ .

Shatz miller; op.ci t, p297 .

(٦) محمد الحبيب الخوجة : مرجع سابق ، ص ١٢

Author (S): op, cit, p312 .

(٧) ابن الأحمر : بيوتات فاس ، ص ٢٤ .

سوق البلاجيين بفاس ، وعمل عدد منهم في بيع وإصلاح النمل المخروز .^(١) وامتلك عدد من اليهود بفاس القديمة دكاكين للجزارة يبيعون فيها اللحوم.^(٢)

واشتغلت أعداد من النساء اليهود في التطريز كتطريز السروج والجلد وفي صناعة الأمشاط فكان لهم بفاس خمسة عشر دكانا لصنع الأمشاط^(٣) وقد عمل الكثير من اليهود حمالين لنقل السلع في الأسواق ، وعمل البعض الآخر منهم كدلالين على السلع بأسواق مدينة فاس وعمل عدد منهم في بيع الخمر . واحتكر عدد منهم أعمال الصرافة والصياغة وقد عمل عدد كبير من اليهود بالتجارة بمدينة فاس تحت حكم المرينيين فكانوا محتكرين صناعة الذهب والصياغة ، فكانوا يصنعون العسل والشمع والصوف والجلود^(٤) وتحكموا في التجارة مع السودان وميورقة.^(٥) فعمل اليهود على تنمية التجارة الصحراوية بطريق مباشر كتجار ، وبطريقة غير مباشرة بالعمل كحرفين في مناجم النحاس والفضة.^(٦)

وبجانب ذلك عملوا في الصباغة وخاصة صباغة الحرير والبعض منهم عملوا كجلاسون يقومون ببيع نوع من الأحذية يسمى القرف يباع في أسواق مدينة فاس.^(٧)

والوجود النصراني في بلاد المغرب قديم وقد زادت أعدادهم نتيجة هجرات نصرانية من الأندلس فقد هاجرت عناصر كثيرة من النصاري بعد حادثة تغريبهم في بلاد المغرب وأبعدهم عن الأندلس بسبب تحالفهم مع الفونسو المحارب ملك أرغون عام ٥١٩هـ/١١٢٥م.^(٨)

وتزايد أعداد النصاري منذ عهد المأمون الموحدى عام ٦٢٤ هـ/١٢٢٦م فبدأت الطوائف المسيحية تبرز بصورة واضحة بالمغرب ، عندما أمده فرناندو الثالث ملك قشتاله

(١) ابن الأحمر : بيوئات فاس ، ص ٢٤ . انظر الشكل التوضيحي رقم ١ ، ص ٢١٧ .

(٢) مارمول : مصدر سابق جـ ٢ ، ص ١٥١ .

(٣) مارمول : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ ، لوطورنو : فاس عصر بني مرين ، ص ١٣٤ ، ١٣٧ .

(٤) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ جـ ٢ ، ص ٢٤٦ ، زاهر رياض : مرجع سابق ، ص ١٣٨ ، ١٣٧ .

(٥) مصطفى نشاط : اطلاعات ، ص ٦٧-٧٠ .

(٦) Rosinberger : Les vieilles ; p.75. Brignon (J):op,cit .p 15 .

(٧) إبراهيم القادري : الإسلام السري ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٨) مجهول : الحلال الموشية ، ص ٩١ ، ٩٧ ، ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٦٩ ، ٧٣ .

بفرقة من الجند النصارى بلغت عشرة آلاف فارس برسم الخدمة والجواز. ^(١) وكان لهم منطقة خاصة بهم في مدينة فاس الجديدة تقابل فاس القديمة على ضفة نهر فاس ^(٢)

وقد قام بعض التجار النصارى بحمل مختلف البضائع إلى أسواق مدينة فاس، مثل الودع ومصنوعات الزجاج والعمود، وخصوصا لبان جاوة والمسك التي يجلبونها من مدينة البندقية وأيضا الأقداح والكؤوس واللؤلؤ والحلي ومصنوعات من عظام الحيوانات، وبعض المواد الصباغية الخام وقطع الحديد الممغنط. ^(٣)

٢- الوضع الاجتماعي للعاملين في الأسواق

تفاوتت أوضاع العاملين في أسواق مدينة فاس في طرق المعيشة اليومية إضافة إلى أوضاعهم الاجتماعية، بسبب الثراء الذي تحقق لبعضهم على حساب البعض الآخر. ويأتي على رأس الطبقات العاملة في أسواق هذه المدينة طبقة التجار وخاصة كبار التجار وهم تجار الجملة الذين ينتقلون بسلعهم بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك وتجاوزت تجارتهم آلاف الدنانير وكان لهم أعوان من الخدم والعبيد ^(٤)

ويرجع ثراء هؤلاء التجار إلى أنهم كانوا على اتصال دائم بالتجار الأوروبيين وقد حققوا أرباح هائلة من هذه التجارة. وامتد نشاطهم إلى بلاد السودان الغربي فقاموا بتنظيم القوافل التجارية التي تحمل المنتجات القاسية إلى أسواق السودان الغربي، ويحملون سلع تلك الأسواق إلى أسواق مدينة فاس ^(٥)

أما داخل مدينة فاس فقد امتلكوا أعدادا كبيرة جدا من الحوانيت، وأعان تشجيع سلاطين الدولة المرينية هؤلاء التجار في تحقيق الثراء الكبير فقد استفادوا من جو الأمن والأمان الذي ساد في هذه المدينة والطرق التجارية وحققوا ثروات كبيرة ^(٦)

(١) ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص ٢٥٠.

(٢) إبراهيم حركات: مرجع سابق، ص ٩٦.

(٣) عبد العزيز العلوي: مرجع سابق، ص ٢٦٦، ٢٦٨. مصطفى نشاط: ملاحظات حول المعاهدات التجارية، ص ١٦٢.

(٤) ابن الأبار: التكملة ج ١، ص ٤٢٩، ناصح محمد: جوانب من الحياة، ص ٢٦٦، عز الدين موسى: مرجع سابق، ص ٢٧٩.

(٥) محمد عيسى الحريري: مرجع سابق، ص ٢٩٥.

(٦) ابن مرزوق: مصدر سابق، ص ٤٢٩، عز الدين موسى: مرجع سابق، ص ٢٧٩.

وعاش هؤلاء التجار في مستوى اجتماعي راقى فكانت منازلهم ومستوى حياتهم المعيشية أقل بقليل من مستوى الطبقة الحاكمة من الأمراء والحكام. من حيث سعة العيش وتعدد مظاهر الترف. وقد اختلفت ثروة هؤلاء التجار من تاجر إلى آخر^(١) فكان للفقيه التاجر محمد بن محمد بن محمد الورغمي ثروة كبيرة فكانت تركته حين توفي تقدر بثمانية عشر ألفا ذهبا ما بين حلى ودراهم وطعام وكتب ، وأن دل هذا فهو يدل على الثراء الذى وصل اليه هؤلاء التجار .^(٢)

أما صغار التجار فكانوا يكترون حوانيت صغيرة فى أسواق مدينة فاس ، ويؤدون كرائها شهريا او سنويا .^(٣) وهؤلاء التجار كانوا يعانون من تدنى مستوى معيشتهم واتخذ أكثرهم الحوانيت مقرا للسكن.^(٤) فقد كانوا يأتون فى نهاية السلم الاجتماعي بمدينة فاس^(٥) ولقد ضمت مدينة فاس عدد ٩٢٨٠ حانوتا وقيسارتان وكانت أغلبية هذه الحوانيت مخصصة لصغار التجار.^(٦)

ويعد تجار التجزئة من صغار التجار وانقسم تجار التجزئة الى فئتين الاولى منها كانت تباع المنتجات الثمينة كالقمشة الرفيعة والاحذية والحلى فى اماكن ثابتة كقيسارية فاس، والفئة الأخرى كانت تباع المنتجات الاستهلاكية اليومية من المواد الغذائية كالحبوب والفاكهة.^(٧)

وبجانب تجار الجملة والتجزئة وجد التجار الجائلين الذين لا يستقروا فى مكان واحد وكان عدد كبير منهم يربحون أموالا تكفى لمعيشتهم .^(٨)

(١) ناصح محمد : جوانب ، ص ٢٦٩ ، مكانة التجار ، ص ٧٧ ، روجية لوطورنو : فاس عهد بني مرين ، ص ١٥٩ .

De mas Latrie ; op, cit. p.p 85; 89

(٢) احمد بابا التبتكى : نيل الابتهاج جـ٢ ، ص ١٣٤

(٣) الونشريسي : المعيار ٨ ، ص ٣٠٠ ، ناصح محمد : مكانة التجار ، ص ٧٨ .

(٤) ناصح محمد : جوانب من الحياة ، ص ٢٦٩ ، روجية لوطورنو : فاس فى عهد بني مرين ، ص ١٦١ ،

(٥) عز الدين موسى : مرجع سابق ، ص ٢١٥ .

(٦) ابن أبى زرع : الأئيس ، ص ٤٨ ، ناصح محمد : مكانة التجار ، ص ٢٦٩

(٧) روجية لوطورنو : فاس فى عهد بني مرين ، ص ١٦٢ ، ١٦١ ، الحريرى : مرجع سابق ، ص ٢٩٥ ،

عادل عبدالعزيز : مرجع سابق ، ص ٢٦٠ .

(٨) عز الدين موسى : مرجع سابق ، ص ٢٨٣

وجد في أسواق مدينة فاس الوسطاء والعاملين في التجارة بجانب التجار^(١) وهم الدالين والسماصرة والحمالين ومرافقي القوافل والمكلفين بالحراسة ، هؤلاء كانوا أكثر العاملين في المجال التجاري بالأسواق فقرا .^(٢) والجدير بالذكر أن السماصرة والدالين كانوا لا يحظون باحترام من الجمهور .^(٣) وقد عمل عدد من الصناع في أسواق مدينة فاس خاصة أن عددا كبيرا من السكان عملوا كصناع بالحرف المتنوعة وكان لكل حرفة سوق معين بأسواق مدينة فاس^(٤) كصناعة النسيج فكانت قيسارية فاس تضم ٣٠٩٤ دارا للنسيج و١١٦ دكانا للصباغة وطبخ الغزل^(٥) وقد ضمت القيسارية أيضا عدد كبير من الحرف كالحدايد والنجارين والدباغين وصانعوا أعمال البناء .^(٦) فالعمال الذين يعملون كإجراء كانوا يتسمون بقلة الدخل ويعيشون عيشة فقر أما أصحاب الورش الصناعية والقائمون عليها كانوا يعيشون في مستوى عالي^(٧) لقد اعتمد العاملون في الأسواق على المأكولات الشعبية والفاكهة والتي تضم الاجاصى والرومان وذلك لرخص أسعارها^(٨) واعتمدوا أيضا على الحبوب وخاصة الشعير والخبز واللبن وثرثرة الفول بالسمن.^(٩)

والمرى وهو ادام يصنع من الشعير او للقمح ويصنعه العاملون من العسل المحروق والخبز المحروق .^(١٠) وثريد بازن وهو ما يعرف بالبركوس ، فهو نوع من انواع الكسكسو ويعتبر من اهم الوجبات التي يعتمد عليها اغلب سكان المغرب عامة ومدينة فاس خاصة .^(١١) وهذا النوع استخدموا فيه الكرنب واللنت والجزر والخس والفول الاخضر والقرع والباذنجان والكسكسو الفتياني والأسفريا .^(١٢) وطعام الفرس (المخلل) والبلاجة واللمتونية والسنيوسك.^(١٣)

(١) الونشريسي : المعيار ج٨ ص ٣٥٥ ، ناصح محمد: جوانب من الحياة ، ص ٢٧٠ .

(٢) الونشريسي : المعيار ج٨ ص ٣٥٥ ، ناصح محمد: جوانب من الحياة ، ص ٢٧٠ .

(٣) الونشريسي : المعيار ج٥ ، ص

(٤) ابن عذاري: البيان ج١ ، ص ١٤٥

(٥) عبدالعزيز العلوي: صناعة النسيج ، ص ٥٢ .

(٦) ناصح محمد: مكانة التجار ، ص ٨١

(٧) ناصح محمد: مكانة التجار ، ص ٨٢

(٨) المقصد الشريف: ص ١٠٥ ، ابن رزين ، مصدر سابق ، ص ٨ ، ٧

(٩) ابن صاحب الصلاة: مصدر سابق ، ص ٣٤٧ .

(١٠) مجهول: كتاب الطبخ ، ص ٨٢ ، ابن رزين : مصدر سابق ، ص ١٧٩ ، التميمي : المستفاد ، ص ٣٥

(١١) التميمي : مصدر سابق ، ص ٥٣ .

(١٢) مجهول: الطبخ ، ص ١٦٩ - ١٨١ ، ابن رزين: مصدر سابق ، ص ٨٧ ، مرمول: مصدر سابق ج ١ ص ١٦٢ .

(١٣) مجهول: الطبخ ، ص ٢٦ ، ٤٩ ، ٢١٣ .

والتارفت والكعك^(١) ويضاف إلى ذلك الألبان بمشتقاتها التي كان لها دور كبير في غذاء العاملين في الأسواق حيث اعتمدوا عليها في حياتهم اليومية ، فالجبين والمجبينات وخاصة من البان البقر والاعنام كان يأكلها العامة في أسواق مدينة فاس .^(٢) فالوزان يوضح انه كان يباع في اسواق مدينة فاس كميات كثيرة من الالبان يوميا^(٣)

لم يكن لباس العاملين بالأسواق يختلف كثيرا عن لباس الخاصة من اهل فاس ، فنجده لا يختلف الا من حيث اتقان النسيج والخياطة فالعاملون كانوا يلبسون منسوجات من الصوف الخشن ويتخذون منها العمائم وغالبا يلبسونها دون خياطة^(٤)

وكانت البرانس لبس العامة وهي قلنسوة طويلة ارجوانية اللون ، وكان العاملون يرتدون البرانس المصنوعة من الصوف .^(٥) وبجانب ذلك وجدت العمائم وهي تيجان العرب وتختلف من حيث المكانة الاجتماعية لحاملها ومعها الطليسان على العمامة^(٦)

والطليسان هو الغفارة وعبارة عن رداء طويل وعرضه قصير يلقي على الكتفين واستخدمه العامة والعاملون بالأسواق على شكل مدور ومثلث ومربع^(٧)

ووجد المآزر وهو لباس يغطي القسم الأدنى من البدن من الوسط حتى منتصف الساقين وكان يصنع من الكتان وكانت السراويل وهي من الالبسة الشعبية المشتركة بين

(١) مجهول : الطيخ، ص ٢٠٧

(٢) مجهول : الطيخ ، ص ١٩٩، ابن رزين : مصدر سابق ، ص ٣٢ ، ابن عيشون : مصدر سابق ، ص ٧٣ :

(٣) الوزان : مصدر سابق جـ ١، ص ٢٣٤

(٤) روجية لوطورنو: فاس في عصر بني مرين ، ص ٩٨ ، ناصح محمد : مكانة التجار ، ص ١٩١، ١٩٠

(٥) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٥٢ ، نوزي: مصدر سابق : ص ٢٠١ ، سحر عبد العزيز سالم : ملابس الرجال في الاندلس في العصر الاسلامي ، ندوة الاندلس ، الدرس والتاريخ ، جامعة الاسكندرية ، كلية الاداب ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ص ١٨

(٦) احمد بابا : مصدر سابق جـ ١، ص ١٥ ، الوتشرسي : المعيار جـ ٢ ، ص ٢٥٥ مصطفى ابوضيف: مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

(٧) نوزي: مرجع سابق ، ص ٢٨٠ ، محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٨٤ ، سحر عبد العزيز: مرجع سابق، ص ١٠ - ١٤

الرجال والنساء. ^(١) وقد صنعت القلائس او القلنسوة وهي من البسة الرأس المحببة من لبد مستطيلة . ^(٢)

ومن ملابس العاملين في الأسواق الشاشية التي كانت تتسج من الصوف أو شعر الماعز ^(٣) والقميص وقد دخل فاس عن طريق الصناع الاندلسيين الوافدين وقد صنع من الصوف والقطن ^(٤) وكان شكل القميص بسيط وقد لبسه صائدي الاسماك بمدينة فاس ^(٥) والتشامير وصنعت من الصوف والقشابة من الصوف والقطن والجبة التي صنعت من الصوف ^(٦) ووجدت العباءة وهي لباس الفقراء وهي قصيرة من الصوف . ^(٧) فكانت طبقة الحمالين والصيادين والسقايين والعمال يعيشون حياة بسيطة ويلبسون أرذل الثياب ، كالأردية الصوفية البسيطة . ^(٨)

وكان لباس العامة من البربر كساء من صوف ومطرفة من ارجون وجموسا غليظا على الرأس. ^(٩) لقد كان اللون الأبيض لباس الحفلات الرسمية والدينية بمدينة فاس . ^(١٠) أما النساء فكانوا يرتنون فساتين عريضة الاكمام مخيطة من الأمام وتلتف بالحائك وتتلثم ، وتتخذ الحلى من الفضة من اقراط واساور. ^(١١)

^(١) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٥١ ، دوزى : مرجع سابق ، ص ٣٥ ، محمدمقر : مرجع سابق ، ص ١٦٢ ، السيد عبدالعزيز : بعض مصطلحات العمارة ، ص ٢٤٥

^(٢) ابن القاضي : جذوة الاقتباس : ج ١ ، ص ١٧٧ ، مارمول : مصدر سابق ج ٢ ، ص ١٧٥ ، سحر عبدالعزيز : مرجع سابق ، ص ٩ ، دوزى مرجع سابق ، ص ٢١ ، محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٨٢ .

^(٣) التميمي : مصدر سابق ، ص ٣٣ ، لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ١٣٥

^(٤) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٢٠ ، محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٥٦

^(٥) محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

^(٦) محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

^(٧) مارمول : مصدر سابق ج ٢ ، ص ١٧٦ ، دوزى : مرجع سابق ، ص ٩٠ ، محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٦٨ .

^(٨) المقرئ : أزهار الرياض ج ٤ ، ص ٤ ، روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٥٢ ، عبد الوهاب منصور : قبائل المغرب ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٦٨ ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، عبد السلام بن سوده : حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس ، مجلة دعوة الحق ، العدد ١ ، السنة ١٤ ، ص ١٠٧ - ١١٦ .

^(٩) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ ، عثمان اسماعيل : مرجع سابق ، ص ٤١٠ .

^(١٠) عبد الهادي التازي : جامع القرويين ، ص ٤٣٨ ، محمد المنوني : ورفات ، ص ١١٣

^(١١) عثمان اسماعيل : مرجع سابق ، ص ٤٩٤

وقد كان لبس اليهود العاملين بأسواق فاس البرانس او القمصان او الجبة ويضعون عليها رقعة مخططة بها ورقة اخرى على الصدر مصبوغتان بالزعفران، وكذلك النصارى ولكن صبغتهم كانت تسمى بالأعبر التي تستخرج من العصفاء .^(١)

وإذا تطرقنا إلى الأحذية التي يلبسها العاملون في الأسواق فنجدها تتميز بأنها نعال من الجلد المتقنة الصنع او من الدوم او الحلقاء او من الجلود المستعملة .^(٢) فالنعل كان يستخدم لوقاية القدم من على الارض ويتكون من فراش من الجلد توضع فوقه القدم ويشد إليها بواسطة سيرين ويلبسه معظم العاملين بأسواق مدينة فاس^(٣)

وبجانب ذلك وجدت البلغة ويلبسها البربر والعامه.^(٤) وهي مصنوعة من الجلد ومن النبات مما يجعلها لاتدوم لوقت طويل .^(٥)

وانتشرت القبقاب (القباقيب) وهي تستعمل عندما يكون الطقس رديئا وصنعت من الأخشاب حتى تقاوم المياه .^(٦) ووجد السباط وهو حذاء غير مرتفع بدون كعب وتكون القدم مكشوفة ، والقرق وهي نعال سمكة من الفلين وكنت تباع في سوق القراقين^(٧) والخف ويلبس في القدمين إلى الكعبين ويصنع من الصوف او الجلد ويباع بقيسارية فاس .^(٨)

٣- أثر المحن والكوارث على العاملين في الأسواق

لقد تأثر العاملون بالأسواق بالأحداث السياسية والكوارث سواء الطبيعية او الغير طبيعية والتي كان لها تأثير مباشر على الاسواق والعاملين بها .

(١) الونشريسي: المعيار جـ ٢، ص ٢٥٧.

(٢) ناصح محمد: مرجع سابق ، ص ١٩١.

(٣) محمد مقر: مرجع سابق ، ص ١٨٤ ، ١٨٥.

(٤) الونشريسي : المعيار جـ ١ ، ص ١٣ ، محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٨٥.

(٥) الوزان: مصدر سابق ، جـ ١، ص ٣٥٨ ، محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٨٥.

(٦) الوزان: مصدر سابق ، جـ ١، ص ٢٤٣ ، لوطورنو: فاس عصر بني مرين ، ص ١٣٤ ، محمد مقر :

مرجع سابق ١٨٧.

(٧) الونشريسي: المعيار جـ ١، ص ١٣ ، محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٨٨.

(٨) ابن القاضي : جنوة الاقتباس جـ ١، ص ٧٢ ، ابن عيشون : مصدر سابق ، ص ١٨٥ ، ١٨١ .

أولاً: محن الفتن والاضطرابات السياسية

يعد الصراع على الحكم أهم العوامل السياسية التي أدت إلى اضطراب أسواق مدينة فاس.

فمع استيلاء بنو مرين على الحكم بدأ الحقد يدب في نفوس بني عسكر واستغل الموحدين هذه الخلافات فعملوا على إضعاف المرينيين ^(١) من خلال تحالفهم مع بني عسكر وعرب بني رياح ضد الأمير المريني عبد الحق بن أبي محيو (٥٩٢-٦١٤هـ / ١١٩٥-١٢١٧م) وجموع من بني مرين والتقى المعسكران عند وادي يسو عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م ، فانهمز بنو مرين في بداية الأمر ولكن سرعان ما استطاعوا تنظيم صفوفهم حتى انتصروا على الموحدين ^(٢)

١- محن الحصار وأثرها على أسواق فاس

دخل الأمير أبو بكر بن عبد الحق مدينة فاس مع أواخر شهر ربيع الأول من عام (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) ودخلها بعد حصار دام لمدة عام فقام أهل فاس بمبايعته بالرابطة عند باب الشريعة ، وكان أول من بايعه الشيخ الفقيه عبد الله القشتالي ثم الفقهاء والأشياخ ، بدخول الأمير أبي بكر مدينة فاس استقامت له أمور المغرب وتمهد له الملك وقدمت عليه الوفود للبيعة ، وتهنئت البلاد وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات وتحركت التجارة. ^(٣) ثم خرج أبو بكر من مدينة فاس سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م إلى معدن العولم من بلاد فازار ، واستخلف عليها مولاة التسعود بن خرباش الحشمي ، فأجتمع نفر من أشياخ فاس إلى قاضيها أبي عبد الرحمن المغيلي ، وتأمرؤا على خلع الأمير أبي بكر وقتل مولاة التسعود ، وأن يبعثوا بيعتهم إلى المرتضى الموحدي ، ولما وصل الخبر إلى الأمير أبي بكر شدد الحصار على مدينة فاس عام (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) فبعث أهلها للأمير يطلبون منه الأمان والعفو مقابل مائة ألف دينار. ^(٤)

وقد أدى هذا الحصار على مدينة فاس إلى نقص السلع الغذائية بالأسواق وارتفاع أسعارها ، مما أدى لقيام أهل المدينة بتسليمها للمرينيين .

(١) ابن أبي زرع : النخيرة، ص ٣٣ ، السلاوي : مصدر سابق ج٣ ص، ٧ .

(٢) ابن أبي زرع : الأئیس ص ٢٩٩ ، النخيرة ص ٨٧ ، ابن مرزوق: مصدر سابق ، ص ١١٥ .

(٣) ابن أبي زرع: مصدر سابق ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤، السلاوي: المصدر السابق والجزء، ص ١٤، ١٦ .

(٤) ابن خلدون: مصدر سابق ، ص ٢٣٠، ٢٣١ ، ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٢٩٤ .

وكان للأحداث الأخيرة في عمر الدولة المرينية أثر كبير على أسواق مدينة فاس، حيث هيمن بنو وطاس على السلطان عبد الحق المريني عام (٨٣١هـ / ١٤٢٧م) وسرعان ما انتخب السلطان المريني وأوقع بهم ولم ينجوا منهم سوا بعض الوطاسيين وكان على رأسهم محمد الشيخ الوطاسي .^(١) وقد اندلعت الثورات ضد السلطان عبد الحق لاستعانتته باليهود في إدارة الحكم ، وانتهت الثورات بمقتل السلطان المريني يوم الجمعة ١٧ رمضان ٨٦٩هـ / ١٤٦٥م وببيع أهل فاس الشريف أبا عبد الله الجوطي على المدينة.^(٢) وأثناء هذه الأحداث تعرضت أسواق مدينة فاس للنهب والسرقة فلم تكن السلع الموجودة بالأسواق تكفي لسد احتياجات السكان بالمدينة .

٢- الثورات الداخلية

كان لضعف سلاطين بني مرين دور كبير في قيام الثورات ضد الدولة المرينية. فمع وفاة السلطان أبي عنان المريني آخر سلاطين بني مرين الأقوياء بدأ الضعف يدب في الدولة، واستطاع الوزراء السيطرة على سلاطين بني مرين وعلى الحكم. ففي عام ٧٦٠هـ / ١٣٥٩م سيطر الوزير الحسن بن عمر الفودي على البلاط المريني حيث قام بحجب السلطان السعيد بن أبي عنان (٧٥٩-٧٦٠هـ / ١٣٥٧م)^(٣) وذلك لصغر سنه وضعف شخصيته فاشتعلت الثورات ضد السلطان المريني^(٤) ولم يكن السلطان الصغير ووزيره قادرين على إخماد هذه الثورات.^(٥)

ومع تولي السلطان أبي سالم المريني الحكم عام (٧٦٠-٧٦٢هـ / ١٣٥٨-١٣٦٠م) قامت ضده العديد من الثورات^(٦) حيث استبد الوزير ابو عبد الله بن مرزوق الخطيب بالسلطان وحاشيته واصبح العامة يتحينون الفرصة للفتك بالسلطان ووزيره^(٧)

(١) السلاوي : الاستقصا، ج٤ ، ص ١١٩.

(٢) السلاوي : نفس المصدر والجزء ، ص ٩٨ ، ١٠٠ ، مصطفى ضيف : مرجع سابق ، ص ١٩٣ .

(٣) ابن خلدون: مصدر سابق ، ج٧ ص ٣٣٦ ، ابن الأحمر : النفحة النصرية ص ٥٥ ، روضة النسرين ص ٣٠

(٤) المقرئ : نفح الطيب ج ٥ ، ص ١١٥، السلاوي : الاستقصا ج٤ ، ص ٦ ، الحريري : مرجع سابق ،

ص ١٧١

(٥) مجهول: الحل الموثية، ص ١٥٠.

(٦) ابن الأحمر: للنفحة، ص ٦٦ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة ج١ ، ص ٣٠٨

فأرسل الوزير عمر بن عبد الله كل من عمر بن عبد الله شعيب بن ميمون بن وردار ، وفتح الله بن عامر لقتل السلطان بفاس فقاموا بقتله وحملوا رأس السلطان الى عمر بن عبد الله عام ٧٦٢هـ/١٦٦١م. (١)

وبولاية السلطان أبي زيان المريني عام (٧٧٤-٧٧٦هـ/١٣٧٤-١٣٧٦م) بدأ عمر بن عبد الله يحكم قبضته على الدولة بسبب ضعف السلطان وسعيه الى المال والثروة ، فقام عبد الرحمن بن يفلوسن بثورة ضده مما ادى الى اضطرابات وقتل بمدينة فاس. (٢) انتهت بمقتل السلطان ابو زيان عام ٧٧٦هـ/١٣٦٦م على يد عمر بن عبد الله. (٣) وإعلان دولة السلطان أبي العباس الأولي بالمغرب عام (٧٧٦هـ/١٣٧٤م) حيث ثار عليه الوزير ابوبكر بن غازي فأمر السلطان بقتله. (٤)

وبتولي السلطان موسى بن أبي عنان (٧٨٦-٧٨٨هـ/١٣٨٤-١٣٨٦) الحكم كثرت الثورات ولم يستطيع السيطرة عليها (٥) ولم يهدئ بال السلطان أبي العباس حتى استعاد الحكم مرة أخرى عام (٧٨٩-٧٩٦هـ/١٣٨٧-١٣٩٣م) ومع ولايته الجديدة لفاس أصبحت الأوضاع بالمدينة تزداد سوءا حيث أصبح الحكم منقسم بين السلطان أبي العباس وعبد الرحمن يفلوسن ، فأصبحت فاس تحت حكم أبي العباس ومراكش تحت حكم عبد الرحمن بن يفلوسن ، فالدولة المرينية انقسمت لقسمين منفصلين ولكل منهما شئونه السياسية والمالية والإدارية. (٦)

وبوفاة السلطان أبي العباس عام (٧٩٦هـ/١٣٩٢م) تولى ابنه ابوقارس عبد العزيز عام (٧٩٦-٧٩٩هـ/١٣٩٣-١٣٩٦م) الذي كان بعيدا عن الحكم حيث كان محب للعزلة والشعر فاستمرت الثورات ضده والاضطرابات (٧)

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ج١ ، ص ٣٠٨

(٢) ابن خلدون: مصدر سابق ج٧ ، ص ٣١٨ ، السلاوي : الاستقصا ج٢ ، ص ١٢٨ .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢ ، ص ٤١ ، ابن الأحمر: روضة النسرين ، ص ٣٢ ، ابن خلدون : مصدر سابق ، ج٧ ، ص ٣١٨ ، عبد الباسط : نيل الأمل ج١ ص ٣٨٧.

(٤) ابن حجر العسقلاني: انباء الغمر بابناء العمر فى التاريخ ، تحقيق الفنى السيد عبدالله بن احمد العلوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٦ ، ج١ ، ص ١٥٨-١٥٩ ، عبد الباسط : مصدر سابق ج١ ، ص ١٣٦

(٥) عبد الباسط : المصدر السابق ج٣ ، ص ٢١٤ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ج٢ ، ص ٥٥

(٦) السلاوي : الاستقصا ج٢ ، ص ١٣٥

(٧) السلاوي: الاستقصا ج٤ ، ص ٨٠ ، إبراهيم حركات : مرجع سابق ج٢ ، ص ٥٨ .

قامت خلال حكم السلطان عبد الحق بن ابي سعيد (٨٢٣-٨٦٩هـ / ١٤٢٠-١٤٦٤م) العديد من الثورات في كل بلاد المغرب بسبب نكبة بني وقاصة التي أطاح من خلالها بالوطاسين. (١)

كانت الثورات المستمرة واستبداد اليهود في عهد سلاطين بني مرين الضعفاء أثرا كبيرا في الحياة الاقتصادية والأسواق بمدينة فاس . لقد أدت الثورات التي أصابت الدولة المرينية إلى انهيار الزراعة وكثرة المشاكل بين الفلاحين حول حصة للمغارة وحصة المياه وبالتالي تدهورت الزراعة بمدينة فاس . (٢) ويتضح ذلك من خلال مشكلة السقي بين اركان وهم مزارعون يقطنون اعالي وادي فاس وأهل مزدغة السفلى وهم يسكنون أسفل الوادي فصارت بينهم مشكلة على من يقوم بسقي أرضه أولا من يسكنون الأعلى أم من يسكنوا بالأسفل. (٣) وتوضح هذه النازلة نقص المياه اللازمة للزراعة وتغير المناخ المفاجئ فكان للثورات اثر في ترك الفلاح لأرضه حيث كان الثوار يقضون على كل ما يقوم الفلاح بزراعته فعزف الفلاح عن زرع أرضه. (٤)

وقد فرض على أهل القيسارية بفاس مبالغ مالية كهدية للسلطان و الإطردوا من القيسارية ، ومن يرفض ذلك يضرب ويصادر أمواله فقام الناس بتقديم شكواهم إلى ناظر الاحباس . (٥)

وبجانب الحروب والثورات التي وقعت بالدولة المرينية فقد أدى ازدياد نفوذ اليهود في البلاط المريني إلى العديد من الاضطرابات والفتن بأسواق مدينة فاس. (٦)

(١) السلاوي: مصدر سابق والجزء ، ص ٩٨ ، ابراهيم حركات : مرجع سابق جـ ٢ ص ٦٣ ، محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع ، ص ٦٣ ، نوال عبدالعزيز : مرجع سابق ، ص ٢٨ ، محمد شقران : مظاهر الثقافة ص ٤٠ .

(٢) الونشريسي : المعيار جـ ص ٧٥

(٣) الونشريسي : المصدر السابق والجزء ، ص ٥ . عمر بنميرة : قضايا المياه بالمغرب الوسيط من خلال أدب التوازل ، ندوة التاريخ وأدب التوازل دراسات تاريخية ، الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، تنسيق محمد المنصور ، محمد المغراوي ، ط ١ ، ١٩٩٥ ، ص ٨٢ .

(٤) السلاوي: الاستقصا جـ ٤ ، ص ٣٤

(٥) السلاوي: الاستقصا جـ ٣ ، ص ٩٨ ، نوال عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٢٥٠ .

Goitein S.D; Letters of medieval Jewish traders, Princeton University, press, 1975, p.184

(٦) ابن تغريدي بردي : النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ١٣٣

قام السلطان أبى يعقوب بن عبد الحق باتخاذ خليفة بن حيون بن رقاصة اليهودي حاجبا له^(١) والذي ازداد نفوذا وقوة فحاول بعض الوزراء والفقهاء التقرب إليه ، فقام الوزير عبد الله بن أبى مدين بالإيقاع بينهم وبين السلطان الذي أمر بقتلهم ولم ينجو منهم سوى خليفة الأصغر .^(٢)

وقد أمر السلطان أبو الربيع بتعيين خليفة إبراهيم حاجبا له حيث كان يخطط للانتقام من عبد الله بن أبى مدين بسبب ما قام به ضد عائلته .^(٣) وبالفعل غضب السلطان أبو الربيع من أبى مدين وأمر بقتله ولكن سرعان ما ظهرت برأه الوزير أبى مدين فأمر السلطان بقتل اليهودي خليفة بن رقاصة .^(٤) كما عين السلطان عبد الحق المريني الوزيرين اليهوديين هارون وشاويل فصارت أمور الدولة في أيدي الوزير هارون الذي قام بظلم المسلمين ، حيث تمتع بسلطة كبيرة فكان له الأمر والنهي في فاس ، مما أدى إلى أشعل الثورة ضد الوزير والسلطان عبد الحق المريني فكانت هذه الثورة هي التي قضت عليهم .^(٥) وكانت هذه الثورة من تدبير الفقيه عبد العزيز بن موسى الورياغلي بسبب قيام اليهودي هارون بجمع مغارم كبيرة من أهل مدينة فاس.^(٦)

(١) ابن خلدون : مصدر سابق جـ٧، ص ٢٣٢ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية ص ٣٩ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٣ ، ص ٨١ .

(٢) ابن خلدون : مصدر سابق جـ٧، ص ٢٣٢ ، ابن الأحمر : بيوتات فاس ، ص ٥٨ - ٥٩ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٣ ، ص ٨١ . إبراهيم حركات : المغرب ج ٢ ، ص ٣٢ ، نوال عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٢٤٠ .

(٣) ابن الأحمر : روضة التشرين ص ٣٢ ، بيوتات فاس ص ٥٨ ، السلاوى : نفس المصدر والجزء ص ١٠٠ ، إبراهيم حركات : مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق جـ٧، ص ٢٨٤ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية ص ٤٢ ، السلاوى : الاستقصا ج ٣ ، ص ١٠٠ ، ابن القاضي : جذوة ج ٢ ، ص ٤٣٦ ، احمد رضوان البارودي : بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع عشر الهجري ، ندوة اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ١٩٩٧ ، ص ٢٥٣ ، نوال عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٢٤٠ .

(٥) السلاوى : الاستقصا ج ٤ ، ص ٩٨ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٦ ، مارمول : مصدر سابق ج ٢ ، ص ١٩٩ ، إبراهيم حركات : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

Maya Shatz Miller: op.cit.p.297

(٦) عبد الياسط : مصدر سابق ، ص ٨٧ . النبوغ المغربي ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

عمل اليهود على إفشاء المكائد واشعال الفتنة في فاس حيث قامت جازية احد اليهود بالادعاء انه اغتصبها قهرا في داره مما اثار مشاعر المسلمين. فلم علم بذلك يوسف يعقوب أمر بطرده ولكف عنهم وعدم التعرض لهم . (١)

قام الحسين اليهودي بأعمال لصالح الطائفة اليهودية في عهد عبد الحق المريني فقام بشراء حوانيت القيسارية بفاس لصالح اليهود المهاجرين وأدعى انه مفوض من قبل السلطان لبيع الحوانيت لحاجته إلى الأموال . (٢)

كانت سلطة الوزراء المستبدين بالسلطين الضعاف أثره في تدهور الحياة الاقتصادية والسياسية في فاس ، حيث أنهم كانوا يعينون القضاة حسب أهوائهم مما أدى لتدهور المدينة.

٣- الحروب الخارجية

كان للحروب الخارجية التي خاضتها السلطة المرينية لتوسيع دولتهم اثر كبير للفتن والثورات التي قامت ضدهم ، حيث تركت الدولة فراغ سياسي اثناء هذه الحروب مما اتاح فرصة لقيام الثورات والفتن .

ومن أهم هذه الحروب التي كان لها اثر قوى في الدولة المرينية هي حروبهم ضد بنى عبد الواد فكانوا في صراع دائم مع بنى مرين . (٣)

فقد قام السلطان أبو يوسف يعقوب بفرض حصار على تلمسان بعد هزيمته ليغمراسن بن ايسلى والحق بهم اضرار بالغة وتم تدمير مدينة وجدة (٤) وبولاية يوسف بن يعقوب قام بحصار تلمسان لمدة سبع سنوات . (٥) تدوّن فيها بنو عبد الواد مرارة الحصار وقهر

(١) ابن أبي زرع : الذخيرة ص ١٦١ ، نوال عبد العزيز: مرجع سابق ، ص ٢٤٧،

Maya Shatz Müller: op ,cit,p.297

(٢) ابن مرزوق :مصدر سابق ص ٣٧٨، ابن خلدون : مصدر سابق ج١، ص ٤٤٥، السلاوى : الاستقصا

ج٤، ص ٩٨ ، نوال عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٢٥٠.

(٣) القلقشندي: قلائد الجمان ، ص ١٧٧ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية الأولى ، الجزائر ، ١٩٨٠، ج١ ، ص ٨٥ . الحريري: مرجع سابق، ص ٢١٦.

(٤) ابن أبي زرع : الذخيرة ص ١٢٩ ، السلاوى: الاستقصا ج٣، ص ٣٢ ، مارمول : مصدر سابق ج٢، ص ٢٩٣.

(٥) عيسى الحريري: مرجع سابق ، ص ٢١٦ .

ومصائب القتل بين الطرفين. ^(١) وبتولي السلطان أبي الحسن المريني الحكم عمل على استعادة جميع الاراضي الموحدية ووضعها تحت سيطرته ^(٢) فاستولى على مدينة وجدة وتتس ومليانه ووهرات وقام بحصار تلمسان ثلاث سنوات ودخلها عام ٧٣٧هـ/١٣٣٦م ^(٣) فقام بنو عبد الواد بتوجيه ضربات للجيوش المرينية وهزيمتهم مما جعل المغرب الأقصى يثور ضد السلطان أبي الحسن المريني. ^(٤)

وبجانب حروبهم ضد بني عبد الواد نجد حروب بني مرين ضد الحفصيين ، وقد كانوا في بداية الأمر يدعون للمرينيين بالخلافة وسرعان ما تغير الأمر حيث أراد المرينيون السيطرة على الدولة الحفصية وجعلها تابعة لهم . ^(٥)

وكان لحركة التوسع والجهاد المرينية في الأندلس اثر كبير في الثورات الداخلية في مدينة فاس حيث كان لخروج السلطان أبي يوسف للجهاد بمشاركة قبائل المغرب ، قد اوجد نوعا من الفراغ السياسي في مدينة فاس مما شجع ذلك على الثورات والتي من أهمها ثورة الوزير طلحة بن محلى البطوئي إمام السلطان ابي يوسف بن عبد الحق عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م. ^(٦)

كانت العلاقة بين المرينيين وبني الأحمر ^(٧) يشوبها الحذر والترقب ويرجع ذلك لشك

(١) البلوى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٥٠ ، عيسى الحريزي: مرجع سابق ، ص ٢١٩ .

(٢) السلاوى: الاستقصا جـ ٣ ، ص ١٠٤ ، محمد المنوني: رقات ص ١٥ .

(٣) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٢٣ ، ابن الأحمر : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تحقيق هاني سلامة مكتبة الثقافة الدينية للنشر ، ط ١ ، المغرب ، ٢٠٠١ ، ص ٣٠ .

(٤) السلاوى : الاستقصا جـ ٣ ، ص ١٣٣ ، إبراهيم حركات : مرجع سابق جـ ٢ ، ص ٤٠ .

(٥) بوزياني الدراجني : نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٩٣ م ، ص ٤٣ . محمد القبلي: مرجع سابق، ص ٨٢ .

(٦) ابن أبي زرع: الأنيس ص ٣٢١ ، المازوري: مصدر سابق ، ص ٧٧ ، السلاوى: مصدر سابق، جـ ٣ ، ص ٤٣ ، سامية مسعد: الجهاد الاسلامي في الأندلس ودور المجاهدين فيه من علماء ومتصوفة ، مكتبة الزهراء كمبيو سنتر ، القاهرة ٢٠٠٢ م ، ص ١٢٢ ، محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، جـ ٧ ، ص ٩٧ .

(٧) بنو الأحمر: يرتفع نسبهم إلى سعد بن عباد سيد الخزرج صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسموا بالأحمر نسبة إلى جدهم عقيل بن نصر الذي لقب بالأحمر ، كما أنهم اتخذوا اللون الأحمر شعارا لهم في قصورهم الحمراء وأعلامهم . للمزيد انظر ، المقرئ : نفح الطيب ، ص ٥ ، ص ٩٤ ، المازوري: مصدر سابق ، ص ٩٤ .

سلاطين بني الأحمر في نوايا سلاطين بني مرين ، وتطلعاتهم للسيطرة على بلاد الأندلس .^(١)

فأثارت الحملات التي قام بها المرينيون بالأندلس عداء بني الأحمر فتعاون ابن الأحمر مع اعداء السلطان أبي يعقوب ، وعملوا على اغراء عامل مائقة بالثورة ضد السلطان المريني.^(٢) وكان لانشغال السلطان أبو يوسف بالجهاد أثره في قيام الثورات ضده بالمغرب والأندلس ، فاستولى ابن الأحمر على مدينة سبتة .^(٣)

وكان للهزيمة التي تعرض لها الجيش المريني في معركة طريف * اثر كبير في المجتمع المغربي الذي قام بثورات ضد السلطان أبي الحسن المريني ، وذلك لاستشهاد عدد كبير من المسلمين فقرر السلطان سرعة العودة الى مدينة فاس لانتهاء واخماد هذه الثورات^(٤)

فقام السلطان أبي الحسن المريني بالخروج للسيطرة على إفريقية ، فقامت الثورة ضده واستطاعت أن تلحق بالسلطان هزيمة فادحة قرب القيروان عام (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) .^(٥) فأثار ذلك غضب القبائل بالمغرب الأقصى فاشتعلت الثورة وأطاحت بالسلطان المريني.

(١) محمد الحريري : تاريخ المغرب ، ص ٢٢٧.

(٢) ابن أبي زرع : الأنيص ص ٣٢٩ ، عيسى الحريري: مرجع سابق ، ص ٨٩.

(٣) ابن أبي زرع : مصدر سابق ص ٣٧٨-٣٨١ ، السلاوي: الاستقصا جـ ٣ ، ص ٦٩ ، ابن السراج: الحلال السندسية في الأخبار التونسية ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ١٢٨٧هـ ، جـ ٤ ، ص ١٠١٧ ، سامية مسعد : للجهاد الاسلامي ، ص ١١٧ .

* موقعة طريف : كان سلطان بني الأحمر أرسل للسلطان أبو الحسن المريني لمساعدته ضد القشتاليين بقيادة الفونسو الحادي عشر ، فجهز السلطان المريني جيشا وكان على رأسه ابنه الأمير أبي مالك ، عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م وانتهت الموقعة بهزيمة جيش المسلمين وقتل الأمير أبي مالك والنساء والأطفال ، وعلى رأسهم ابنة سلطان الحفصيين الأميرة فاطمة زوجة أبي الحسن المريني ، للمزيد انظر المقرئ : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٥ ، ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ٤ ، ص ٣٢٢ ، نفاضة الجراب جـ ١ ، ص ٤٤ ، المسند الصحيح، مصدر سابق ، ص ٢٢٥ ، ابن رضوان : الشهب اللامعة في السياسة النافعة ، تحقيق على سامي النشار ، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب ، ص ١٢ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ جـ ٢ ، ص ٤١ ، عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي ، مج ٧ ، ص ٧٢ ، ٨٣ .

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ٤ ، ص ٣٢٢ ، البلوي: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، تحقيق الحسن السائح ، مطبعة فضالة المحمدية ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٢ ، جوليان : جـ ٢ ، ص ٢٣٠ .

(٥) ابن الأحمر : نثير فوائد الجمان ، ص ٣٠ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٣ ، الزركشي: تاريخ الدولتين ص ٨٤ ، محمد العروس المطوي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ص ٣٩٣ ، عبد الحميد حاجيات : مرجع سابق ، ص ٢٤ .

لقد أثرت الثورات والحروب على المناطق الزراعية بفاس حيث تدمرت الزراعة بها وتحولت إلى ميادين للثوار فلم تستطع الدولة المرينية السيطرة عليها بسبب ضعف السلاطين.^(١)

ارتفعت الأسعار بأسواق مدينة فاس حيث هلك الدواب والبهائم والغنم والإبل وتعرضت قطعان الماشية للسلب والنهب^(٢) وكان لتدهور الزراعة أثر كبير في تدهور العديد من الصناعات اللازمة للأسواق التي اعتمدت في صناعتها على المواد الزراعية كزيت الزيتون وتدهورت الحياة الاجتماعية للصناع .^(٣) ومع غياب دور المحتسب تدهور الوضع الاجتماعي للعاملين بأسواق مدينة فاس.^(٤)

وقد كان لتدهور الزراعة والصناعة أكبر الأثر في تدهور التجارة ، فقام الثوار بالقرصنة على القوافل التجارية فتعرض التجار للأخطار والخسائر المالية الفادحة فآدى ذلك إلى انهيار التجارة سواء الداخلية أو الخارجية بمدينة فاس^(٥) وتسبب هذا الانقطاع في التجارة الخارجية بين فاس ومدن المغرب في تدهور التجارة الداخلية.^(٦) ونتيجة للثورات القائمة ضد السلطة الحاكمة تدهورت التجارة وازدادت الرسوم الجمركية بسبب الغلاء في الأسعار بسبب الثورات^(٧) وقلت الموارد الرئيسية لدولة بني مرين حيث كانت تعتمد على الضرائب فهي أهم مورد لبيت المال وللسلطة الحاكمة ، فتدهورت وضعيت التجارة في مدينة فاس بسبب كثرة الضرائب والمكوس المفروضة عليهم.^(٨)

(١) ابن الخطيب : نفاضة الجراب جـ٣، ص ٤ ، الزركشي: تاريخ الدولتين ، ص ١٣٧ .

(٢) محمد المتونى : ورقات ، ص ٥٥٨ ، محمد حسن : المدينة والبادية جـ٢ ، ص ٦٤ .

Lopez Robert s: Medieval trade in the Mediterranean World, Oxford University Press, London, 1955.p.52 .

(٣) السلاوي: الاستقصا جـ٤، ص ٩٦ .

(٤) الوثنريسي: المعيار جـ٧، ص ١٦٣ ، إبراهيم حركات : النشاط الاقتصادي ، ص ٢٣٩ .

(٥) مارمول : مصدر سابق جـ٢، ص ٣٨ ، مصطفى أبو ضيف : مرجع سابق ، ص ٢٢٦ ، محمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى والأندلس في عهد دولة بني مرين (٦١٥ - ٨٩١هـ/١٢١٣-١٤٦٥م) مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م ، ص ٣٢٣ .

(٦) محمد إسماعيل: مرجع سابق، ص ٣٢٤ .

(٧) محمد إسماعيل: مرجع سابق، ص ٣٢٤ .

(٨) الوثنريسي : المعيار جـ٦ ، ص ١٥٩ ،

وبجانب ذلك اثر الوضع الاقتصادي على التجار فقاموا بحفظ أموالهم خوفا من ضياعها. في ظل سيطرة اليهود على التجارة بأسواق مدينة فاس. وقيام اليهود بالغش في السلع وإسناد المناصب إلى أعوانهم تدمر الاقتصاد بأسواق فاس.^(١)

تمتع اليهود في نهاية الدولة المرينية بامتيازات اقتصادية حيث رفع عنهم الضرائب.^(٢)

وفرضت الضرائب على التجار والصناع داخل أسواق مدينة فاس^(٣) فكان سلاطين بنو مرين يقرضون ضريبة غير شرعية لسد حاجة الدولة من الأموال أثناء الحروب الخارجية.^(٤)

وكان لتعسف الجباة قام عدد كبير من الناس بالامتناع عن دفع الضرائب، فاستباح الجباة أموال الرعايا وكثر ظلمهم بالعاملين فاستولوا على أموالهم وقام بضربهم للسيطرة على هذه الأموال.^(٥)

وانتشرت العديد من الظواهر لم تكن موجودة في عهد السلاطين الأقوياء ومنها بيع الخمر فوجد بفاس أماكن لصناعتها وأصبح شرب الخمر والحشيش ظاهرة عادية بفاس لعدم وجود رقابة عليها .^(٦)

وانتشرت الفنادق المشبوهة بفاس لممارسة البغايا وتفاقت المارقة في مدينة فاس وانتشرت حوادث السرقة بالإكراه ، وقطع الطرق والهجوم على المجاشر وسرقتها ونهب أموال التجار والمسافرين .^(٧)

(١) محمد إسماعيل: مرجع سابق، ص ٣٢٥.

(٢) ابن الخطيب: نفاضة الجراب جـ ٢، ص ٢٣٢ .

Goitein S.D; Jews and Arabs ,op , p.184

(٣) عمر محمد الباروني : العلاقات التجارية بين المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط ، مجلة البحوث التاريخية ، ليبيا ، العدد ٢ ، ١٩٨٦ ، ص ٣٢٦ .

(٤) فرانسيسكو بيدال كاسترو : رواع أندلسية إسلامية ، ترجمة صبري محمد زيدان ، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٤ ، ص ١٩٩ .

(٥) محمد المنوني: ورقات ، ص ١٢٣ ، عبد الأحد السبتي ، حليلة فرحات : المدينة في العصر الوسيط ، قضايا ووثائق من تاريخ المغرب الاسلامي ، المركز الثقافي العربي ببيروت ١٩٩٤ م ، ص ١٢٤ .

(٦) مارمول: مصدر سابق ، ج ٢ ص ٢٣١ ، سامية مسعد : الحرب والطبيعة ، ص ٤٧ .

(٧) الوزان : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ، الوتشرسي : للمعيار ج ٢ ، ص ٤٠٢ ، ٥٢٨ - ٥٢٩ .

كل هذا اثر على أسواق مدينة فاس بجانب الغش في المكييل والموازين والعملات المستخدمة بالأسواق ، فالثورات لعبت دور كبير في انهيار أسواق مدينة فاس أثناء حكم سلاطين بني مرين الضعفاء .

ثانيا : محن الكوارث الطبيعية

كما كان للكوارث والمجاعات والأوبئة اثر كبير على مدينة فاس وأسواقها حيث أثرت على السلع والعاملين فيها .

وكانت بداية تلك الكوارث عندما سيطر بنو مرين على مدينة فاس في عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م ففي هذا العام شب حريق هائل امتد إلى أسواق هذه المدينة فحدث انهيار في أسواق مدينة فاس، واحترقت أسواق باب السلسلة بأسرها إلى حمام الرحبة .^(١)

وإذا كان الحريق قد دمر جزءا كبيرا من أسواق هذه المدينة وبالتالي اثر على حركة البيع والشراء في هذه الأسواق ، وامتد تأثير هذا الحريق على سكان مدينة فاس بارتفاع الأسعار داخل هذه الأسواق ، ولم يقف حكام الدولة المرينية مكتوفي الأيدي أمام تدرى أوضاع أسواق هذه المدينة بعد هذا الحريق فقد بذلوا الجهود بإعادة تعمير ما دمره هذا الحريق ، وخاصة إعادة بناء الأسواق التي دمرها هذا الحريق.^(٢)

١- محن القحط والجراد والسيول

واجهت مدينة فاس العديد من المجاعات فعلى سبيل المثال وقعت مجاعة شديدة عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م^(٣) حيث تسببت هذه المجاعة بنقص للسلع الضرورية بالأسواق كالزيت . فيذكر لنا ابن أبي زرع ذلك: "وجاعت أيام المجاعة وعدم الزيت وكانت تشعل في ليلة سبع وعشرين خاصة الى ان ولى القاضى الحيونى فأمر ان لا تشعل منها الا كأس واحد ليلة سبعة

(١) ابن أبي زرع : الأئيس ، ص ٢٦٢ .

(٢) سميرة مزكلدي: المجاعات والأوبئة ، ص ١٢٣ .

(٣) أبو عبد الله بن تيجلات : ائمة العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين ، تحقيق محمد رابطة الدين ، رسالة دبلوم الدراسات العليا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ١٩٨٦م ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ، البيضاء : الكوارث ص ٣٢، ٣١ .

وعشرين ولا غيرها وقال انا لانتعبد النار " . (١) وبحدوث هذه المجاعة قام الوالي أبو عمران الدغوشي بمساعدة أهل فاس . (٢)

ثم حدثت مجاعة أخرى أيام السلطان يعقوب عبد الحق عام ٦٧٧هـ / ١٢٧٨ م تسبب فيها الجراد الذي غزا المدينة واضر هذا الجراد بأسواق الحبوب والخضر والفاكهة . (٣)

وبعد عامين من هذه المجاعة اعترضت مدينة فاس مجاعة جديدة عام ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م بسبب غزو الجراد الذي قضى على جميع الزروع ولم يترك منها شيئاً . (٤)

وأدت هذه المجاعة إلى ارتفاع الأسعار فوصل سعر القمح إلى عشرة دراهم للصاع ، أى تضاعف سعره عشر مرات . (٥) ونعمت مدينة فاس بعد هذه المجاعة بالازدهار وانخفاض الاسعار .

وبحلول عام ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م داهم المدينة قحط شديد بسبب الجفاف فلم ير الناس قطرة ماء . (٦)

وارتفعت الأسعار بهذا القحط وبيعت صحيفة القمح بأربعة دنانير ذهبية . (٧) وقد خلفت هذه المجاعة مضاعفات سلبية على اسواق مدينة فاس تمثلت في ارتفاع الأسعار وانخفاض مستوى المعيشة للعاملين فيها واستمرت موجة القحط إلى حدود عام ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م ومع القحط تعرضت المدينة لهجوم الجراد حتى سمي هذا العام بعام الجراد وبعدها اتبسطت أحوال الناس . (٨)

(١) ابن تيجلات : مصدر سابق ، ص ٢٠٩ ، ابن عيثون للشرائط : مصدر سابق ، ص ٢٧٤ .

(٢) ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ٦٧ .

(٣) السلاوي : الاستقصا ج ٣ ، ص ٨٩ .

(٤) ابن أبي زرع : الأنيس ص ٤٠٥ ، السلاوي : الاستقصا ج ٣ ، ص ٨٩ .

(٥) ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ٣٠٢ ، سامية مسعد : الحرب والطبيعة ، ص ٢٢ .

(٦) فالقمح قبل المجاعة عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، يساوي سبعة دراهم للصحفة وفي المجاعة أصبح يساوي عشرة دراهم للصاع فالصحفة تساوي ستون صاعا .

ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ٣٤٠ ، السلاوي : نفس المصدر والجزء ص ٨٩ .

(٧) الكتاني : سلوة الأنفاس ج ٣ ، ص ١٤٦ .

(٨) الملزوري : مصدر سابق ، ص ١٣٩ ، الكتاني : مصدر سابق ج ٣ ، ص ١٤٦ ، اللياض : مرجع سابق ، ص ٦٨ .

كما تعرضت مدينة فاس لهبوب الرياح الشرقية عام ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م ، وقد أدت إلى حدوث مشاكل بأسواق مدينة فاس حيث أثرت في الزروع مما تسبب في نقص السلع بالأسواق وبالتالي ارتفاع الأسعار . (١)

كما أصاب مدينة فاس مجاعة جديدة مع بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي بسبب انتشار الجراد عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م فقلت الاقوات وغلت الاسعار واستمر ذلك الى عام ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م فزانت اعمال السلب والنهب للطعام والاموال فقام السلطان أبو ثابت عامر المريني (٧٠٦-٧٠٨ هـ / ١٣٠٦-١٣٠٨م) بتوفير اعداد كبيرة من الحراس للمتاجر والمخازن بأسواق فاس . (٢)

ومع تولى السلطان أبي الربيع الحكم أصاب مدينة فاس مجاعة جديدة بسبب الرياح الشرقية عام ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م والتي استمرت اربعة أشهر (٣)

ارتفعت خلالها الأسعار بمدينة فاس إلا أن أحوال الناس كانت مرتفعة خلال فترة حكم السلطان أبي الربيع ، وقد غلت الاملاك فبيعت الدار في ايامه بالف دينار ذهبي واتخذ الناس في ايامه الدواب والكساء والحلى وتأنقوا بالزليج والرخام والنقوش . (٤)

كما أصاب مدينة فاس في عام ٧١١هـ / ١٣١١م جفاف أدى إلى فحط شديد مما ساعد على ارتفاع الأسعار بمدينة فاس (٥) وقد تسبب الجفاف في ندرة المياه اللازمة للزراعة وبعض السلع الغذائية فلم تقي الأسواق بالسلع اللازمة لاحتياجات السكان (٦)

فقام السلطان أبو سعيد عثمان بإقامة صلاة الاستقصاء (٧) كما داهمت مدينة فاس عام ٧٢٢هـ / ١٣٢٣م رياح شديدة هدمت خلالها الدور وقطعت الأشجار وغلت الأسعار ومنعت الأسفار . (٨)

(١) ابن أبي زرع : الأنيس ، ص٤٠٨ ، السلاوي : الاستقصاء ج٣ ، ص ٨٩ . ويؤكد السلاوي وقوعها عام ٦٨٦هـ بينما يؤكد ابن أبي زرع حدوثها في عام ٦٨٧هـ .

(٢) البياض : مرجع سابق ، ص ٨٤ .

(٣) السلاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٤) ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ٤٠١ ، محمد الطويل : مرجع سابق ، ص ١٩٣ .

(٥) ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ٣٩٨ .

(٦) ابن أبي زرع : نفس المصدر والصفحة ، السلاوي : الاستقصاء ج٣ ، ص ١٧٩ .

(٧) الونتشريسي : المعيار ج٨ ، ص ١٦٥ .

(٨) ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ٤٠١ ، السلاوي : المصدر والجزء والصفحة

كما أصاب المدينة في عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣ م بعض الكوارث الطبيعية منها سقوط الأمطار والتلوج على مدينة فاس وارتفعت الأسعار فبيع البياض (الفحم) والحطب بدرهمين للرطل.

ومنعت الأمطار الصناع من القيام بأعمالهم .^(١) فكان هذا العام تمهيدا للمجاعة التي وقعت في عام ٧٢٤هـ/١٣٢٤م ، فيقول ابن أبي زرع عن هذه المجاعة : " أصابت فاس بظلمة شديدة ورياح هائلة وإعصار عظيم وأعقب ذلك برد عظيم كبير الجرم ، فأصاب مدينة فاس سيول عظيمة وجاء وادى سد زواغ سيل عظيم فهلك فيه بشر كثير وهلك الزيتون والشجر".^(٢) وقد قضت الحرائق التي حدثت بأسواق مدينة فاس على اموال التجار فأحترق سوق العطارين الكبير^(٣) ودور الطراز بفاس الجديد والتي تضم ورش صناعة النسيج وضخام المناول والواح الرسوم وحيال الشموع^(٤) ويوضح لنا ابن الخطيب: أن هذا الحريق ضم ثلاث مبان مريضة وهي قصر أبي فير ودار الصنعة ودار الديباج بمدينة فاس .^(٥) فالتهمت هذه الحرائق الأسواق والحوانيت والمواد الخام والسلع ، مما أدى إلى انهيار الاقتصاد بمدينة فاس ، وسبب خسائر فادحة للتجار وارتفعت الاسعار بالاسواق .^(٦)

وقد استمرت المجاعة لمدة ثلاث سنوات فازدادت الأسعار، وتمادى الغلاء في مدينة فاس فوصل فيها صحيفة القمح إلى تسعين دينارا ومد القمح خمسة عشر درهم والدقيق أربعة أواق بدرهم ، واللحم خمس أواق بدرهم والزيت أوقيتان بدرهم والعسل والسمن أوقية ونصف بدرهم ، وعمت الخضر بأسرها .^(٧) وللتصدي لارتفاع الأسعار أمر السلطان أبو سعيد ببيع مد القمح بأربعة دراهم وأمر بالصنقات.^(٨)

(١) ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ٤٠١ .

(٢) ابن أبي زرع : نفس المصدر ص ٤١٣ ، السلاوي: المصدر والجزء والصفحة .

(٣) ابن أبي زرع : نفس المصدر ص ٤٤٤ .

(٤) محمد المنوني : ورقات ، ص ٥٦ ، البياض : مرجع سابق ص ٧٢-٧٣ .

(٥) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ج ٣ ، ص ٥٥-٥٦ .

(٦) البياض: مرجع سابق، ص ٧٣ .

(٧) ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ٤٠١ ، السلاوي: الاستقصا ج ٣ ، ص ١٧٩ ، ابن القاضي : لقط القرائد ،

ص ١٨١ .

(٨) سامية مسعد: مرجع سابق، ص ٢٤ .

كما دمرت أجزاء كبيرة من مدينة فاس في عام ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م بالسييل الشديد الذي أصاب المدينة والذي اثر على أسواق مدينة فاس .^(١) فهدم السور وحمل الشباك وخرب الجنان وقلع الشجر وهدمت القناطر والديار وهدم جزء من جزاء ابن برقوقة ودور الرصيف، وسوق الصباغين وسوق الرصيف وهدمت القنطرة الكبرى التي على سوق باب السلسلة وهدم سوق الرميطة وهدم من الديار ألف دار ومئة ، ومن المساجد خمسة ومن الارحاء ثمانية بيوت ومن الاقران اثنين ومن الحوانيت اربعة وتسعون حانوتا.^(٢)

وقعت مجاعة عظيمة في عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م فعم الخراب مدينة فاس وكانت في عهد ابي العباس وقد وصفت هذه المجاعة بالمجاعة الكبرى والمجاعة العظيمة.^(٣) وقد شملت هذه المجاعة مصر والمغرب الأقصى والوسط والادنى وأوربا.^(٤) فأطلقت عليه ميورقة عام الجوع .^(٥) ووصلت المجاعة إلى الشام فشملت ثلاث قارات (آسيا وأفريقيا وأوربا) وتشير احدى الدراسات بأن آليات المجاعة لم تنحصر في اسباب محلية أو إقليمية وإنما تتدرج في إطار التقلبات .^(٦)

فالمناخ كان أفاقا القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وله دور فعال في حدوث الكوارث التي شهدها هذا القرن ، فهذه المجاعة تعود بالأساس إلى انحراف في أحوال الطقس وقد أكد البرنامج الاوروبي لدراسة ديناميكية المناخ أن التقلبات المناخية التي نشهدها أوروبا وأفريقيا الشمالية وحوض البحر المتوسط من حين لآخر ، لها ارتباط قوى ومباشر مع ديناميكية الدورة الهوائية الأطلنطية في النصف الشمالي في إطار ما يسمى بذبذبة المحيط الاطلسي الشمالي .^(٧)

وقد أدت هذه المجاعة لظهور قطاع الطرق التجارية و إلى عدم الأمن وارتفاع الأسعار والخسائر البشرية والاقتصادية .^(٨)

(١) السلاوي: مصدر سابق جـ ٤ ، ص ١٦٥ .

(٢) ابن أبي زرع: الأتياس، ص ٤١٣-٤١٤، السلاوي: الاستقصا جـ ٢ ، ص ١٨٠ ، ابن المؤقت : مجموعة اليواقيت ، ص ٤٨ .

(٣) ابن قنفذ: انس الفقير ص ١٠٥ ، الوتشريسى : المعيار جـ ٥ ، ص ٩٨ .

(٤) محمد حسن : المدينة والبادية جـ ٢ ، ص ٦٦٦ ، سميرة مزكلى : مرجع سابق ، ص ١٦٤ .

^٥Dufourcq : op ,cit ,p . 196 .

(٦) سميرة مزكلى: المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

(٧) سميرة مزكلى: المرجع السابق ، ص ١٦٤-١٦٥ .

(٨) السلاوي: الاستقصا جـ ٤ ، ص ٨٤ ، الوتشريسى: المعيار جـ ٨ ، ص ٤٣٤-٤٣٥ .

٢- محن الأوبئة والأمراض

لم يمض وقت طويل على المجاعة التي حدثت عام ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م حتى داهم مدينة فاس مجاعة جديدة بسبب الوباء الذي أصابها ومدن المغرب الأقصى ككل عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م ، فهلك بسبب هذا الوباء خلق كثير .^(١) ولم يكن هذا الوباء بفاس والمغرب فقط وإنما وصل افريقية والمشرق العربي فحطت بلاد القدس والساحل ومدن الشام واشتد الأمر بمصر .^(٢)

وكان للأوبئة والمجاعات أثرها على الحياة الاجتماعية للعاملين بالأسواق حيث انها خلفت أعدادا كبيرة من الضحايا ، فالوباء العظيم قضى على عدد كبير من الناس الاقليلا ، فكان ينفن في الحفرة الواحدة لمائة من الناس^(٣) ويحملون من الموتى أربعة وثلاثة واثنين في نعش واحد ، فالكوارث كانت شديدة اودت بحياة عدد كبير من الناس ولاشك ان الضعفاء والفقراء كانوا اكثر ضحايا هذه المجاعات.^(٤) وقد تعرض المغرب الأقصى والأندلس وافريقية ومصر إلى وباء الطاعون عام ٧٤٧هـ - ١٣٤٧م وهو ما سمي بالطاعون الأسود وسرعان ما انتشر في العالم كله.^(٥)

فقد كان بدايته في الصين وتسرب منها عبر الطريق التجاري لبحر قزوين وصولا إلى موانئ البحر المتوسط .^(٦)

وامتد هذا الوباء لمدة تقترب من الأربع سنوات^(٧) فيعتبر الطاعون الأسود الذي اجتاحت المعمور أكثر الطواعين انتشارا وأشدّها حيث وصفته المصادر العربية بالفتاء الكبير

(١) ابن أبي زرع : الأئيس ، ص ٣٨٤ ، ابن خلدون : مصدر سابق ، ج٧ ، ص ٢١٩ .

(٢) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٠٩ ، السلاوي : مصدر سابق ج٣ ، ص ٩١ .

(٣) ابن أبي زرع : نفس المصدر ص ٢٧٧ ، السلاوي نفس المصدر والجزء ، ص ٤ .

(٤) ابن أبي زرع : نفس المصدر ص ٢٧٧ ، السلاوي نفس المصدر والجزء ، ص ٤ .

(٥) المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر محمد مصطفى زيادة ، ج٢ ، القسم الثالث ، ص ٧٧٣ ، حسام مختار العبادي: وباء الطاعون في بلاد المشرق قبل منتصف القرن الرابع عشر الميلادي ، الثامن الهجري ، جامعة الإسكندرية ، ص ٢٦٠ .

(٦) محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية ، ج١ ، ١٩٩٩ ، ص ٦٠٥ .

(٧) ابن حجر العسقلاني: بذي الماعون في مقتل الطاعون ، مخطوط دار الكتب المصرية ، رقم ١٢٩٨ ميكروفيلم ، ورقة ٦٨ .

والطاعون الأعظم ^(١) والطاعون الجارف ^(٢) والوباء العام . ^(٣) فطوي هذا الوباء كثير من محاسن العمران، وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر حيث هلك عدد كبير. ^(٤) فمات عدد كبير من المزارعين فأنهارت الزراعة وقلت الاقوات واشتد الغلاء بالاسواق ^(٥) وهلك الزرع والضرع وحتى اسماك البحر . ^(٦)

وقد وصف لنا ابن الرندي هذا الوباء فيقول : " فحصد الطاعون الاسود عدد كبير من الاطفال والفقراء فكان يتخطفهم واحد واحدا وجماعة جماعة ، ولم يعد فرق بينهم وبين القلوط والكلاب وقد يصبح بعضهم في ازقة المدينة بمنزلة جيفة من الجيف. ^(٧)

كان الطبيب أثناء الطاعون الأسود يصف القمح كدواء للمريض . ^(٨) وقد تأثرت مدينة فاس بهذا الوباء لمدة عامين من نهايته بالمدينة ^(٩) وأصبح صاع الحنطة بعشرة درهم وأكثر والباكور أربعين بدرهم أو أكثر . ^(١٠) فهذا الوباء كان له اثر كبير في هزيمة أبي الحسن المريني قرب القيروان وعزله عن بقية دولته ، واستغلال الأمير أبي عنان هذه الفرصة واستغل بالحكم. ^(١١)

(١) محمد الأمين البزاز: الطاعون الأسود بالمغرب في القرن ١٤م ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، العدد ١٦ ، ١٩٩١ ص ١٠٩ .

(٢) ابن قنفذ : الوفيات ، ص ٣٥٢ ، احمد بابا : مصدر سابق ، م ٢ ، ص ٥٩ .

(٣) عبد الباسط خليل : نيل الأمل ، ص ١٧٧ .

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ٣ ، ص ١٨٤-١٨٥ ، ابن خلدون: مصدر سابق جـ ٧ ، ص ٣٣٢ ، ابن قنفذ : شرف الطالب ، ص ٨١ ، مجهول : بلغة الأمانة ومقصد اللبيب من أستاذ وطبيب ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٨٤ ، ص ٢٦ ، محمد البزاز : الطاعون الأسود بالمغرب في القرن ١٤م ، ص ١١٣ ، حسام مختار : مرجع سابق ، ص ٢٦٣ .

(٥) ابن الخطيب : نفاضة الجراب جـ ٢ ، ص ١٣ ، سامية مسعد : مرجع سابق ، ص ٢٨ ، محمد البزاز : مرجع سابق ، ص ١١٦ .

(٦) المقرئزي : السلوك ، ص ٧٧٣ ، سامية مسعد : مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٧) ابن الرندي: مصدر سابق ، ص ٢٣٠-٢٣١ .

(٨) ابن الرندي: مصدر سابق ، ص ١٧٦ .

(٩) ابن القاضي: درة الحجال جـ ٣ ، ص ٢٩٢ .

(١٠) ابن الرندي: المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(١١) محمد البزاز: مرجع سابق ، ص ١١٩ .

وقد هلك في هذا الوباء عدد كبير من العلماء والتجار والصناع والزراع ومنهم الشيخ أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن علي محمد الحضرمي السبتي ^(١) ويحيى بن محمد الفهرى. ^(٢) فعمل ذلك على انهيار مدينة فاس ديمغرافيا ففقدت مدينة فاس في اليوم الواحد أربعة ألف شخص ^(٣) وهذا العدد مبالغ فيه ولكن بالنظر إلى ما كان بمصر فكانت مصر تفقد كل يوم مابين عشرة وعشرين ألف ضحية . ^(٤)

وقد أصاب هذا الوباء الصغار الذين لم يبلغوا الحلم ^(٥) والضعفاء حتى ان البعض نعته بالوباء البروليتارى . ^(٦)

وقد تضرر من هذا الوباء عدد كبير من الحرفيين، الذين لم يكونوا قادرين على مقاومة الغلاء. فيذكر في ذلك ابن الرندى نموذجا لوضع الحرفيين فيقول : " وذكرتم فيه حالكم من قلة الراتب وعدم انصافكم فيه ، وانكم رجعتم تخطون في دار الصنعة ثياب اولئك الناس ، وافقتم على ذلك الراتب لاجل كونكم الايام والليالى ولا تذقون فيها طعاما . ^(٧) وعانوا من فساد الاسبله على يد أعراب البادية وكان النهب والبغى فى طرق المسافرين . ^(٨) فطرق التجارة والسفر أصبحت مملوءة بالخوف والجوع. ^(٩) وقضى هذا الطاعون على المساحات المزروعة فوجد الرجل ميتا خلف محراثه ، واخر مات وبيده مايبدره فى الارض فنقلصت المساحات المزروعة. ^(١٠) وأصاب الوباء الثروة الحيوانية وحيثان البحر وطيور السماء ووحش البر . ^(١١)

(١) ابن قنفذ: الوفيات ص ٣٥٢-٣٥٤ ، ابن مرزوق: مصدر سابق ص ٢٦١ ، المقرئ: أزهار الرياض ، ص ٣٥٢ .

(٢) ابن القاضى: جذوة الاقتباس ج٢ ، ص ٥٣٩ . QABILi (m); op , cit , p.143 .

(٣) محمد حسن: المدينة والبادية، ج٢ ، ص ٦٠٦ .

(٤) المقرئ: السلوك ، ج٢ ، ص ٧٧٢ ، ابن حجر : بذل الماعون ، ورقة ٣٨ .

(٥) ابن الرندى: مصدر سابق ، ص ١٤٧ ..

(٦) سميرة مزكلى: مرجع سابق ص ١٧٠ .

(٧) ابن الرندى: مصدر سابق ص ٢٥٢ .

(٨) محمد المنونى : ورقات ص ٤١٨ .

(٩) ابن قنفذ: انس الفقير ، ص ١٩٥ .

(١٠) ابن تغردى: النجوم ج١٠ ص ١٩٨ .

(١١) ابن تغردى: مصدر سابق ، ج١٠ ص ١٩٥ .

واثر هذا الوباء على عدد الصناع والعمال فعمل ذلك على تخريب دور الصناعة، وتضررت التجارة ايضا نظرا لقلة السلع الزراعية والحيوانية وقلة من ينقلها او يشتريها ، واندثرت القناطر والطرق المساعدة على نقل السلع ^(١) حيث درست السبل والمعالم فتسبب ذلك في تعطيل الأسواق . ^(٢) فسوق شلة بفاس بعد الوباء لا تكاد أن تسمع فيه اذن من كثرة الصباح والضجيج وأصبح بمنزلة احد أسواق الغبار الضعيفة التي تكون في البداية . ^(٣) فالإقتصاد بمدينة فاس كان مهزوزا غير قادر على تحمل اية هزة ومما أن أصابها الوباء انهارت الأسواق معه ^(٤) فهو قد ساهم في تكريس الرقود الإقتصادي بمدينة فاس . ^(٥)

ويعد هذا الوباء هو البداية الحقيقية لانهايار الدولة المرينية ، حيث انه أدى إلى اضطرابات وعدم استقرار سياسي بالإضافة إلى خسائر اقتصادية كثيرة في القطاعات الاقتصادية لوفاة الزراع والحرفيين والعاملين في الأسواق . ^(٦) وكسدت أسواق العلم لتناقص العمران وانقطاع العلم والتعليم ، حيث توفي عدد كبير من العلماء في هذا الوباء منهم أبو عبد الله بن رضوان وأبو العباس بن احمد بن شعيب ويحيى بن مليل . ^(٧)

مع الجفاف الذي أصاب مدينة فاس وأدى إلى غلاء الأسعار ، وتقشى وباء الطاعون مرة أخرى بعد مرور خمسة عشر عام على الطاعون الكبير عام ٧٦٣هـ / ١٣٦٤م ، انهارت أسواق فاس ^(٨) وذلك في عهد السلطان أبي زيان المريني، وقد وصف هذا الطاعون بأنه لا تبصر ميتا يخرج وكميت الى جنازة يسرج . ^(٩) ويذكر ابن الرندي تضاعف الأسعار

(١) سميرة مزكلى: مرجع سابق ص ١٧٩ .

(٢) ابن خلدون: المقامة، ص ٣٣ .

(٣) ابن الرندي : مصدر سابق ، ص ١٧٦ .

(٤) محمد عابد الجابري: العصبية والدولة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢ ، ص ٤٢١ .

(٥) محمد البزاز: مرجع سابق ، ص ١٢١ .

(٦) محمد البزاز: مرجع سابق ، ص ١٢١ .

(٧) ابن مرزوق: مصدر سابق ، ص ٣٧٦ ، ابن خلدون: مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٣٩٥ ، ابن القاضي:

جنوة الاقتباس ج ٢ ، ص ٥٣٨ .

(٨) ابن الخطيب : الإحاطة ج ٣ ص ٩٠ ، نفاضة الجراب ج ٣ ، ص ٦١ ، البياض : مرجع سابق ، ص

٣٥ .

(٩) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ج ٣ ، ص ٩٠ .

بأسواق مدينة فاس ، حيث تضاعف ثمن الحنطة عما كان من قبل فأرتفع من عشرة دراهم الى خمسة عشر درهما للصاع. (١)

واشتد البلاء بأهل مدينة فاس مع بداية عام ٨١٥ هـ / ١٤١٥ م بسبب الوباء الذي ضربها ، حيث قُلت أعداد كبيرة لا يمكن حصرها . (٢)

وداهم الوباء المدينة في سنوات ٨١٦ هـ / ٨١٨ هـ فكان خراب فاس بسببه وبسبب القُتُن وتلاشت نواحيها ، وصارت الدور لا أنيس بها (٣) وتدهورت الزراعة التي أثرت على الصناعة والتجارة القائمة عليها . (٤)

وقد صاحب هذا الوباء سيول ورياح وأعاصير أثرت بدورها على الزراعة التي تدهورت (٥) وهلك عدد كبير من الناس وبلغ عدد الضحايا من اربعمائة الى خمسمائة في بضعة أيام. (٦)

فالرياح الغربية الشديدة التي حطمت الزروع في فاس اقتلعت الاشجار وعطلت حركة التجارة. (٧)

وأصاب مدينة فاس وباء جديد بحلول عام ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م ، وأطلق عليه وباء عزونة وقد توفي فيه عدد كبير من السكان (٨) منهم قاضي المدينة البيضاء ونائب مدينة فاس القديمة احمد بن العجل الوززوالى . (٩)

(١) ابن الرندي: مصدر سابق ، ص ١٧٦ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : أبناء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، تحقيق الفنى السيد عبد الله بن احمد محمد العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٦ ، مج ٢ ، ص ٥٢١ ، عبد الياسط خليل : مصدر سابق ، ص ٢٤٧ .

(٣) ابن القاضي : لقط الفرائد ص ٢٣٨ ، المقرئزي: السلوك ج ٤ ، ص ٣٥١ ، ابن إياس: بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥ .

(٤) ابن حجر العسقلاني: أبناء الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٥) السلاوى: الاستقصا ج ٤ ، ص ١٠١ ، الحريري: مرجع سابق ، ص ١٨٢ ، سامية مسعد : مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(٦) البياض : مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(٧) ابن أبي زرع : الأئيس ، ص ٤٠٨-٤١٢ ، السلاوى: الاستقصا ج ٣ ، ص ٨٩ .

(٨) ابن القاضي : لقط الفرائد ، ص ٢٥٤ .

(٩) احمد بابا : مصدر سابق ، مج ١ ، ص ١٢٦-١٢٧ .

لقد أدت هذه المجاعات والأوبئة الى ظهور الاحتكار بالأسواق ، حيث قام بعض التجار باحتكار السلع الضرورية للسكان والتي يتزايد عليها الطلب .^(١) فأدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار في الأسواق وعدم قدرة السكان على شراء السلع كما حدث سلب ونهب لمواردها^(٢) فذهب بيت المال من قسبة مدينة فاس وسرق منه اثنا عشر ألف دينار وثلاثمائة قلادة^(٣) وكثرت أعمال القرصنة بالطرق الصحراوية فتسبب ذلك في الكساد الاقتصادي وانعدام الأمن^(٤) وترك الفلاحين أراضيهم فارقت الأسعار^(٥) ومن ثم تدهورت الصناعة بسبب غش اليهود لصناعة الحلي والعملات التي أصبحت مخلوطة بالنحاس والتي كثرت بأسواق مدينة فاس وخصوصاً في عهد عبد الحق آخر ملوك بني مرين بمدينة فاس .^(٦)

ونتيجة للمجاعات والأوبئة والكوارث الطبيعية المتعددة تدهورت الأوضاع الاقتصادية وتضخمت اعداد المتسولين واللصوص وانتشر أهل البغاء في مدينة فاس.^(٧) وزادت مظاهر الفساد فانتشرت ظاهرة الرشوة والتعدي على أموال الغير.^(٨) وانتشرت عادات السحر والشعوذة وقصد الناس هؤلاء السحرة والمشعوذين لاعتقادهم في قدرتهم على السيطرة على الكوارث الطبيعية.^(٩)

لقد خلفت الحروب الناتجة عن الاضطرابات الداخلية المتعددة والتحرشات المتزايدة آلاف القتلى والجرحى ، كما تركت المجاعات والأوبئة التي عرفتها البلاد في فترة الحكم المريني أعدادا كثيرة من الموتى وكان لذلك أثره الكبير في انهيار أسواق مدينة فاس^(١٠)

(١) الونشريسي: المعيار جـ ٦ ، ص ٥٤ ، عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي ، ص ٢٩٤ .

(٢) البياض : مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(٣) ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ٤٣٢ .

(٤) ابن رشد: فتاوى، ص ١٢٨٢، البياض: مرجع سابق ، ص ٩٥ .

(٥) إبراهيم القادري: الإسلام السري في المغرب العربي ، سينا للنشر ، ط ١ ، القاهرة ١٩٩٥ ، ٢١٤ ، محمد حسن: المدينة والبادية جـ ١ ، ص ٦١ .

(٦) الونشريسي : المعيار جـ ٦ ، ص ٧٥ .

عبد السلام بن سودة : حول أسماء الحرف ، ص ١١٧ . mas latrie; op,cit.p.217

(٧) سامية مسعد: مرجع سابق، ص ٤٣

(٨) الونشريسي : المعيار جـ ٨ ، ص ٣٥١ ، سامية مسعد: مرجع سابق ، ص ٤٦، ٤٧ .

(٩) البياض: مرجع سابق، ص ١٣٦، ١٣٩ .

(١٠) محمد مزين : الموت في مغرب القرن العاشر من خلال كتاب الجواهر للزياتي ، ضمن ندوة التاريخ وأدب النوازل دراسات تاريخية مهداة للقيّد محمد زنيير ، ص ١٠١ .

ومن ثم تدهورت الأمور بمدينة فاس بعد سيطرة اليهود على أمورها مما اضطر شيوخ المدينة ورؤساءها إلى اغتيال السلطان عبد الحق ومبايعة الشريف ابا عبدالله محمد بن علي الإدريسي الجوطي ^(١) نقيب الأشراف بفاس في رمضان ٨٦٩هـ/ ١٤٦٥م. ^(٢) والذي خلال حكمه تزايد ضرر عرب الشاوية الذين زحفوا إلى مدينة فاس وسلبوا أهلها أموالهم ومشيتهم . ^(٣)

واستغل بنو وطاس* ذلك وقاموا بخلع أبا عبد الله عام ٨٦٩هـ/ ١٤٦٥م وبذلك انتهت دولة بني عبد الحق على أيدي الوطاسيين ، حيث أعلن محمد الشيخ بن أبي زكريا نفسه سلطانا على المغرب معلنا قيام الدولة الوطاسية عام ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م . ^(٤)

انهارت مدينة فاس بسبب الكوارث والمجاعات والأوبئة التي مرت بها إلى جانب الصراعات السياسية على الحكم ، كل ذلك عجل بسقوط الدولة المرينية بعد أن دامت فترة حكمها في المغرب الأقصى إلى قرنيين وثلاثة وأربعين عاما ، عاشت خلالها مدينة فاس أهم عصورها التاريخية والحضارية.

(١) الجوطي : نسبة إلى جوطه وهي قرية على نهر سبو فنزلها جدهم يحيى بن محمد بن يحيى العدامين القاسم بن إدريس : للمزيد انظر : السلاوي : الاستقصا ج٢ ، ص ١٥٨ ، مصطفى ضيف : مرجع سابق ، ص ١٩٣ .

(٢) مصطفى ضيف: مرجع سابق، ص ١٩٢-١٩٣ .

(٣) مصطفى ضيف: مرجع سابق، ١٩٣.

* بنو وطاس : ينتمون إلى بني مرين فهم أبناء عمومة واحدة وينتسبون إلى فرع آخر من الأسرة المرينية غير فرع بني عبد الحق المريني . للمزيد انظر السلاوي : الاستقصا ، ج٤ ، ص ١١٨ .

(٤) احمد مختار العبادي: دراسات ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

الخاتمة

وقد تمخضت دراسة أسواق مدينة فاس في العصر المريني عن العديد من النتائج منها ارتفاع مكانة هذه المدينة لأهميتها خلال عصر بني مرين حيث أصبحت حاضرتهم ، وألحقت بها ضواحي على وادي الجواهر وهي المدينة البيضاء أو فاس الجديدة ، ومدينة حمص وربض النصارى .

كما أكدت الدراسة على أنه كان للمقومات الطبيعية والبشرية لمدينة فاس كان لها دور كبير في النشاط الاقتصادي لأسواق هذه المدينة، فالبيئة الجغرافية والزراعية ساعدت على توفير السلع التجارية من منتجات زراعية . ولدعم النشاط الزراعي اهتم سلاطين بني مرين بالعديد من المشروعات المائية فقاموا ببناء السدود لتنظيم مياه الري والتحكم فيها مما أدى لزيادة الرقعة الزراعية بمدينة فاس ، وعملوا على تمهيد الطرق وتعميرها وبناء الخيام لإمداد المسافرين بما يحتاجون إليه من المؤن .

بينت الدراسة أنه لوفرة وتنوع المزروعات والفواكه بمدينة فاس أثر كبير في نشاط أسواقها مما ساعد في تخصيص كل سوق بنوع معين من هذه المنتجات .

أظهرت الدراسة كان لحرفة الرعي بمدينة فاس دور كبير في توفير كميات كبيرة من جلود الحيوانات والتي استخدمها عدد من سكان مدينة فاس في دباغة الجلود ، مما ساعد على وفرة المصنوعات الجلدية والتي كان عليها أقبال كبير بأسواق مدينة فاس .

كما أبرزت الدراسة وجود أنواع عديدة من الأسواق ، كالسوقة والتربيعة والرحبة وأسواق كبيرة تسمى بالقيسارية .

كما أوضحت الدراسة الدور الذي لعبته العناصر السكانية الوافدة لمدينة فاس ، حيث أدخلوا العديد من المخصصات الزراعية كالزيتون والتوت ، إلى جانب أنواع جديدة من الصناعات كصناعة العطور والأسلحة ، مما أدى لتعدد السلع الموجودة بأسواق فاس فساعد ذلك على رواجها .

وقد بينت الدراسة أيضا أن الاستقرار السياسي لمدينة فاس الذي تحقق بفضل جهود حكام الدولة المرينية قد أدى إلى فرض الأمن وزيادة العمران وإنشاء المساجد والمدارس

والخزانات الخاصة للكتب ، فبلغت مدينة فاس من العمارة والرفاهية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب الأقصى في العصر المريني وقد أحدث هذا الأمر رواجاً اقتصادياً في الأسواق .

كما أظهرت الدراسة أن النهضة التعليمية بمدينة فاس ساعدت على توافد الطلاب والعلماء مما أدى إلى كثرة السكان المقيمين بفاس وأعان ذلك في رواج السلع التجارية لكثرة الطلب عليها . كما كان للوضع السياسي الذي أقامه الحكام المرينيون في مدينة فاس ، أكبر الأثر في استقرار واستتباب الأمن وأدى هذا إلى ازدهار الأسواق ورواجها .

وأوضحت الدراسة أيضاً أن ازدهار أسواق فاس يرجع إلى تطور الصناعة وازدهار العديد من الصناعات منها صناعة النسيج وصناعة ماء الورد وصناعة زيت الزيتون ، وصناعة دبغ الجلود وصناعة الفخار والصناعات الزجاجية والمعدنية .

وقد أبرزت للدراسة أن موقع مدينة فاس في ملتقى الطرق التجارية كان له دور هام في ربطها بالمدن التجارية المغربية والأندلسية والنصرانية ، وساعد على ذلك قيام سلاطين بني مرين بعقد العديد من الاتفاقيات بين مدينة فاس وبين هذه المدن مما ساعد على نمو أسواق فاس وقياسريتها حيث انتقلت السلع التجارية من هذه المدن إلى مدينة فاس وبالتالي انتقلت السلع الفاسية إلى سائر المدن الأخرى .

أظهرت الدراسة أن المعاهدات المبرمة مع الاطراف النصرانية كجنوة والبندقية ومارسليا ساعدت على نمو أسواق فاس وقياسريتها .

أثبتت الدراسة أن مدينة فاس أصبحت جزءاً من مجال التجارة الأندلسية ، فقد وجدت الصلات الاقتصادية بين أسواق مدن الأندلس وأسواق مدينة فاس .

أكدت الدراسة اهتمام سلاطين بني مرين بأسواق مدينة فاس وعملوا على الحد من الاحتكار والغش بالسلع التجارية ، وذلك بتعيين المحتسب ومعاونيه للحد من احتكار التجار بالأسواق مما ساعد على توفير السلع للسكان .

أوضحت للدراسة الدور الهام الذي لعبته مدينة فاس في التجارة عبر الصحراء الكبرى مع مدن السودان الغربي ، بحكم أنها كانت قاعدة وحاضرة للمغرب الأقصى في العصر المريني ، وقد أعان هذا الأمر في مد أسواق مدينة فاس بسلع أسواق السودان الغربي .

وقد أبرزت الدراسة دور اليهود في التجارة خاصة مع السودان الغربي فكان لهم بمدينة فاس أسواق ومصانع ومكانة تجارية في العهد المريني ، وكان لهم حي خاص بهم بمدينة فاس يسمى حي الملاح .

كما تبين من هذه الدراسة أن النقود كانت من أهم مظاهر النشاط التجاري في أسواق مدينة فاس حيث أنها كانت تشكل موردا رئيسيا للدولة . وقد حظيت هذه النقود باهتمام ملوك بني مرين فعملوا على تنظيمها وإدارتها ، والتأكد من سلامتها من خلال جودتها وثبات عيارها. وقد بذل سلاطين الدولة المرينية جهودا كبيرة للحفاظ على العملة وسلامتها فقاموا بإجراء إصلاحات كبيرة للحفاظ على وزن العملات ، ومحاربة عمليات الغش للنقود ، وذلك يمثل مؤشرا قويا لاهتمام الدولة المرينية باقتصادها .

كما أوضحت الدراسة قيام حكام الدولة المرينية بتسهيل عمليات البيع والشراء بسك عملات صغيرة من الربع دينار والتلث ، وقد ساعد ذلك على الرواج الاقتصادي بأسواق فاس . كما ظهر الدينار الجديد الذي كان وزنه يساوي دينارين عاديين.

وأبرزت الدراسة أيضا اهتمام سلاطين الدولة المرينية بالموازين والمكاييل ، من الصاع والمد والقنطار والرطل والأوقية ، وقد تم تعديل المد النبوي حتى يكون مرجعا في تحقيق الصاع والوسق ، وقد اختلف المد الفاسي من حاكم إلى آخر داخل الدولة المرينية من حيث السعة والشكل والمقدار .

كما أكدت الدراسة تباين الأسعار بأسواق مدينة فاس وعدم ثباتها ، فقد أثرت المجاعات والأوبئة والأمراض والاضطرابات السياسية في الأسعار ، ومع استقرار الأحوال الداخلية استقرت الأسعار ، وكانت هناك جهود للدولة المرينية للحد من ارتفاع الأسعار والتخفيف عن كاهل الرعية.

أوضحت الدراسة انتشار الأسواق بمدينة فاس وخاصة حول المساجد وسميت أبواب هذه المساجد بأسماء هذه الأسواق ، وكانت مدينة فاس تضم أعدادا كبيرة من هذه الأسواق ، وتختص كل صناعة بسوق خاص بها .

أكدت الدراسة اهتمام سلاطين بنو مرين بإقامة الفنادق لأهميتها في خدمة التجار والغرباء الذين أثروا الحركة التجارية بمدينة فاس ، فادى ذلك إلى ازدهار أسواقها .

أوضحت الدراسة انتشار القبالات وكان العمل بها يشمل شتى الحرف والتجارات وقام بعض سلاطين بني مرين بحل قبالة الضمان محل جميع انواع الضرائب المفروضة بأسواق مدينة فاس .

وقد تمخضت الدراسة عن إبراز العناصر السكانية للعاملين في أسواق فاس من الأندلسيين والعرب والبربر والسودانيين ، والأتراك وأهل الذمة ، كما شملت الدراسة الحياة الاجتماعية للعاملين داخل الأسواق ومستوى معيشتهم من مأكّل وملبس .

كان للثورات دور كبير في ضعف النشاط الاقتصادي والتجاري ، فقلبت الموارد وضعت الدولة اقتصاديا ، مما أدى كل ذلك إلى انهيار الدولة المرينية .

وأبرزت الدراسة أيضا تأثير المحن والكوارث والصراع على الحكم على أسواق فاس وعلى مستوى معيشة العاملين بهذه الأسواق ، وأثر ضعف بعض سلاطين بني مرين على الحياة الاقتصادية بأسواق مدينة فاس ، ودور اليهود في انهيار التجارة بأسواق هذه المدينة من خلال سيطرتهم على اقتصادها وغشهم للعديد من الصناعات مثل صناعة الحلي والعملات.

أظهرت الدراسة الدور الذي لعبته الثورات في انتشار الرزيلة والفساد الاخلاقي والغش داخل مدينة فاس في ظل غياب دور المحتسب في الأسواق حيث تم إسناد هذه الوظيفة لمن لا يستحقها.

وهكذا أبرزت الدراسة أحوال أسواق مدينة فاس في العصر المريني والدور الذي لعبه سلاطين هذه الدولة لاستمرار الحركة التجارية داخل مدينة فاس وأسواقها.

جدول توضيحي للملاحق

١- الخرائط

شكل (١)	١- خريطة مدينة فاس
شكل (٢)	٢- خريطة أسواق فاس
شكل (٣)	٣- خريطة موقع فاس وتخطيط المدينة
شكل (٤)	٤- خريطة فاس ملتقى الطرق التجارية
شكل (٥)	٥- خريطة الطرق التجارية الداخلية إلى بلاد السودان الغربي
شكل (٦)	٦- خريطة الطرق التجارية بين فاس ومدن المغرب الأقصى
شكل (٧)	٧- خريطة طرق التجارة بين مدينة فاس ومدن المغرب الأقصى
شكل (٨)	٨- خريطة الطرق التجارية بين فاس والمدن الإيطالية

٢- صور توضيحية

شكل (٩)	١- مدرسة العطارين
شكل (١٠)	٢- مدرسة الصبريج
شكل (١١)	٣- صحن المدرسة البوعنانية
شكل (١٢)	٤- أشكال لبعض السلع التي تباع بأسواق مدينة فاس
شكل (١٣)	٥- أشكال للنقود المرينية

٣- الوثائق

وثائق التاج الارغوني

١- وثائق للقبالة

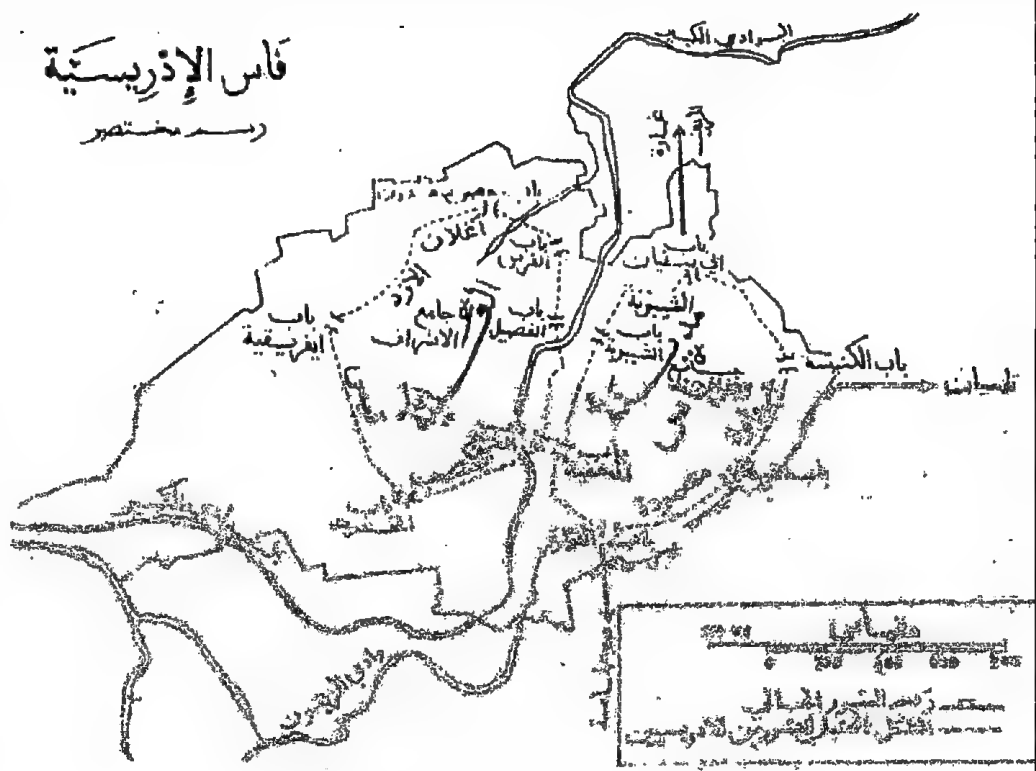
٢- تعداد ابن أبي زرع لدور مدينة فاس في عهد الخليفة الناصر الموحدى .

٤- الجداول

١- جدول لأسعار السلع بأسواق مدينة فاس.

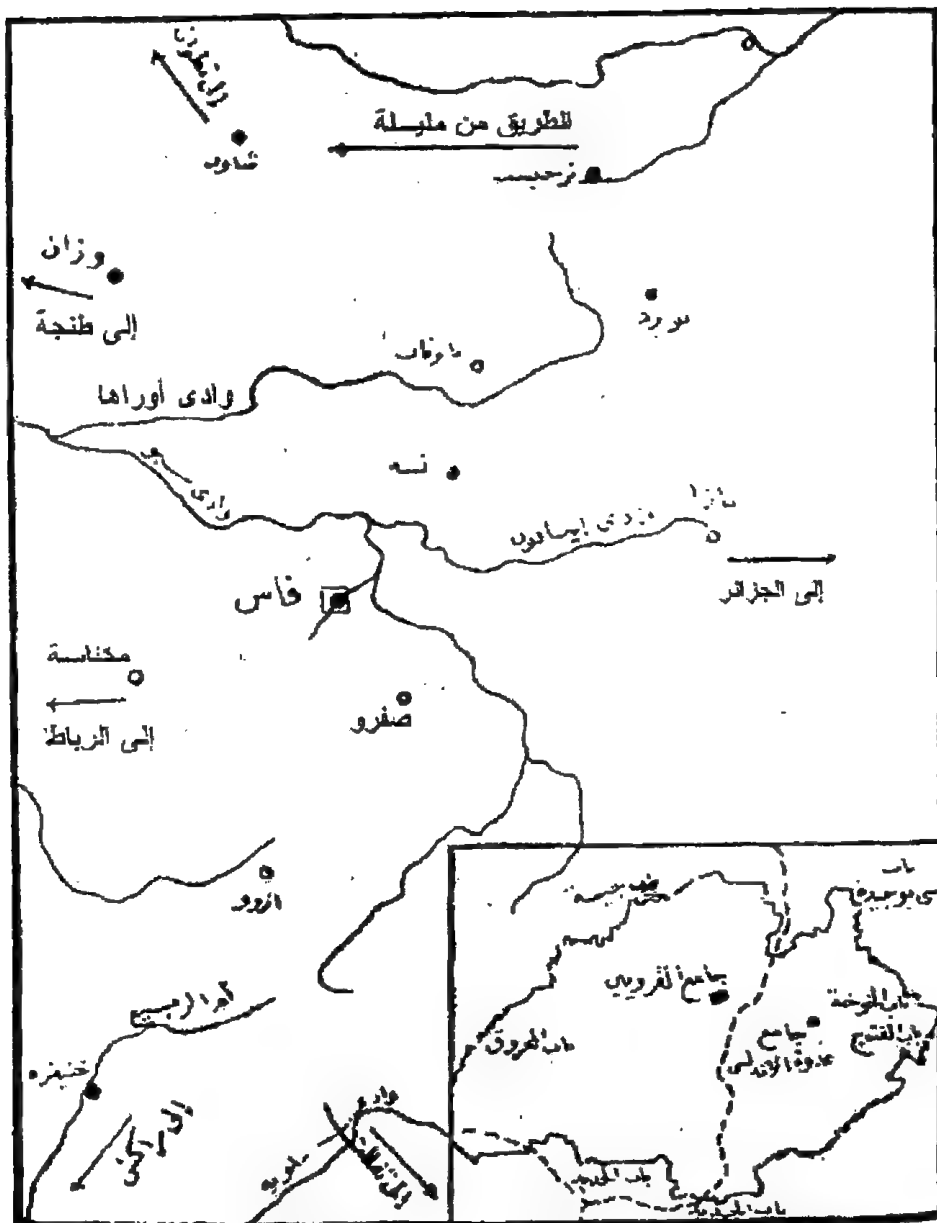
٢- جدول للأوبة والمجاعات التي أثرت على أسواق مدينة فاس .

فاس الإذريسية رسم مختصر



المصدر: ليفي بروفينال .. تأسيس مدينة فاس ص ١٨٥

شكل رقم (١)

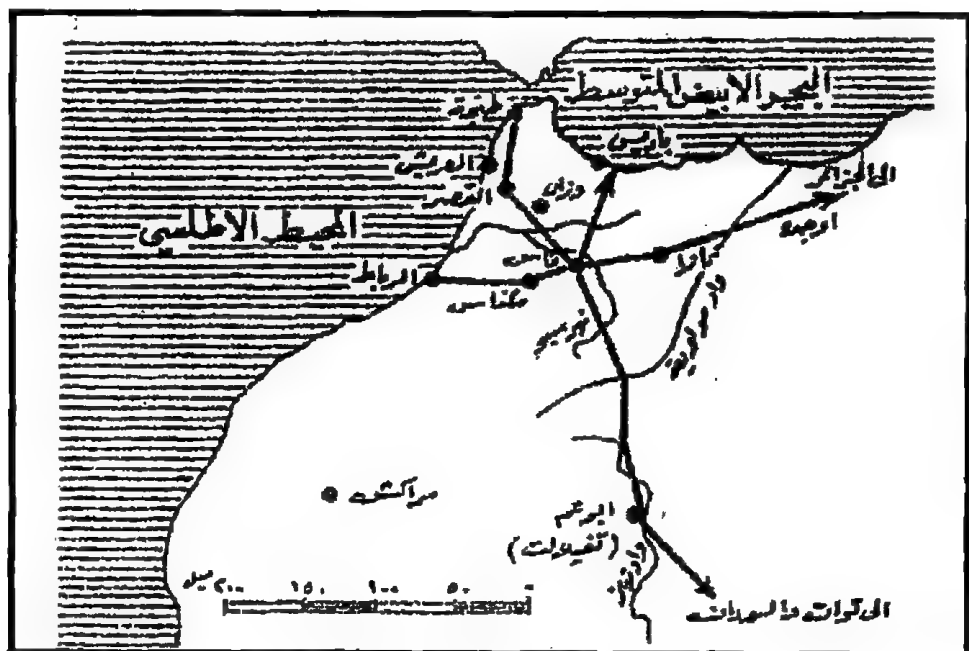


موقع فاس وتخطيط المدينة

شكل رقم (٣)

المصدر: ماجدة كريمي .. العلاقات التجارية بين المغرب والسودان في العصر

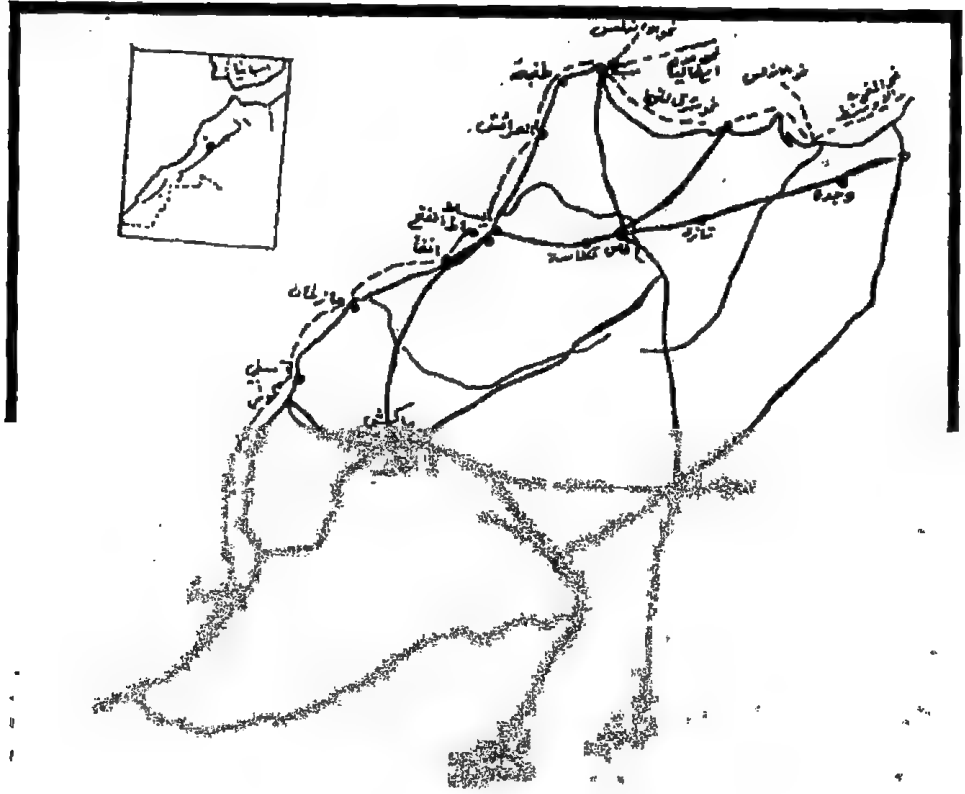
المريفي ص ١٧٨.



فاس ملتقى الطرق التجارية

روجیه-لوطورنو: فاس فی عصر بنی مرین ص—۱۶

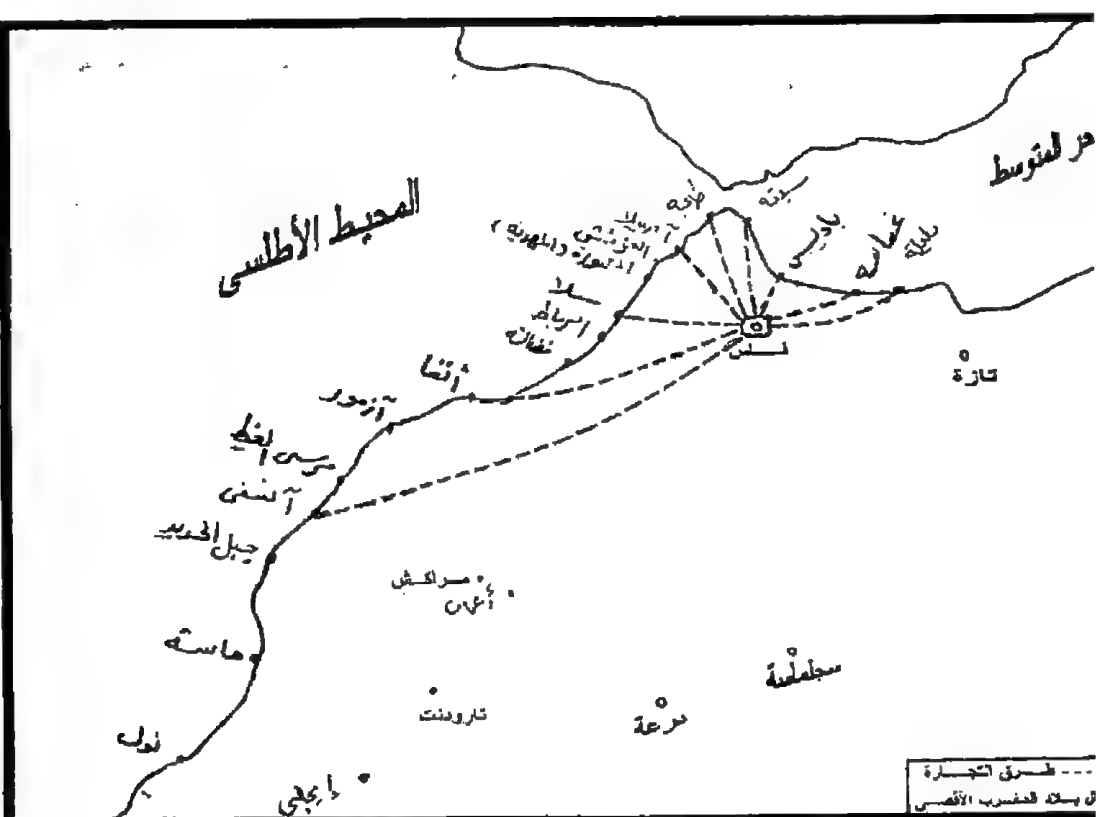
شكل رقم (٤)



الطرق التجارية بين مدينة فاس ومدن المغرب الأقصى

المصدر: ناصح محمد جواتب من الحياة الاقتصادية ، ص ٥٧٤

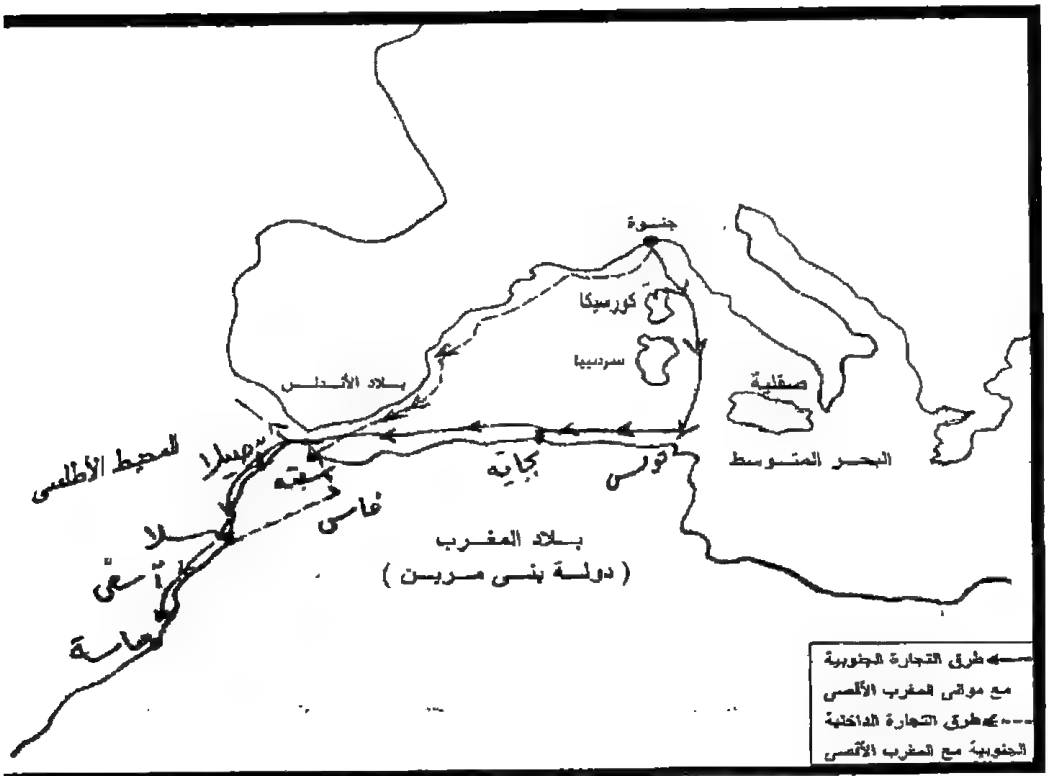
شكل رقم (٦)



طرق التجارة بين مدينة فاس ومدن المغرب الأقصى

عمل الباحثة من خلال المصادر

شكل رقم (٧)



الطرق التجارية بين فاس والمدن الإيطالية

عمل الباحثة

شكل رقم (٨)



مدرسة العطارين

84%D8% eg%http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B7%D9

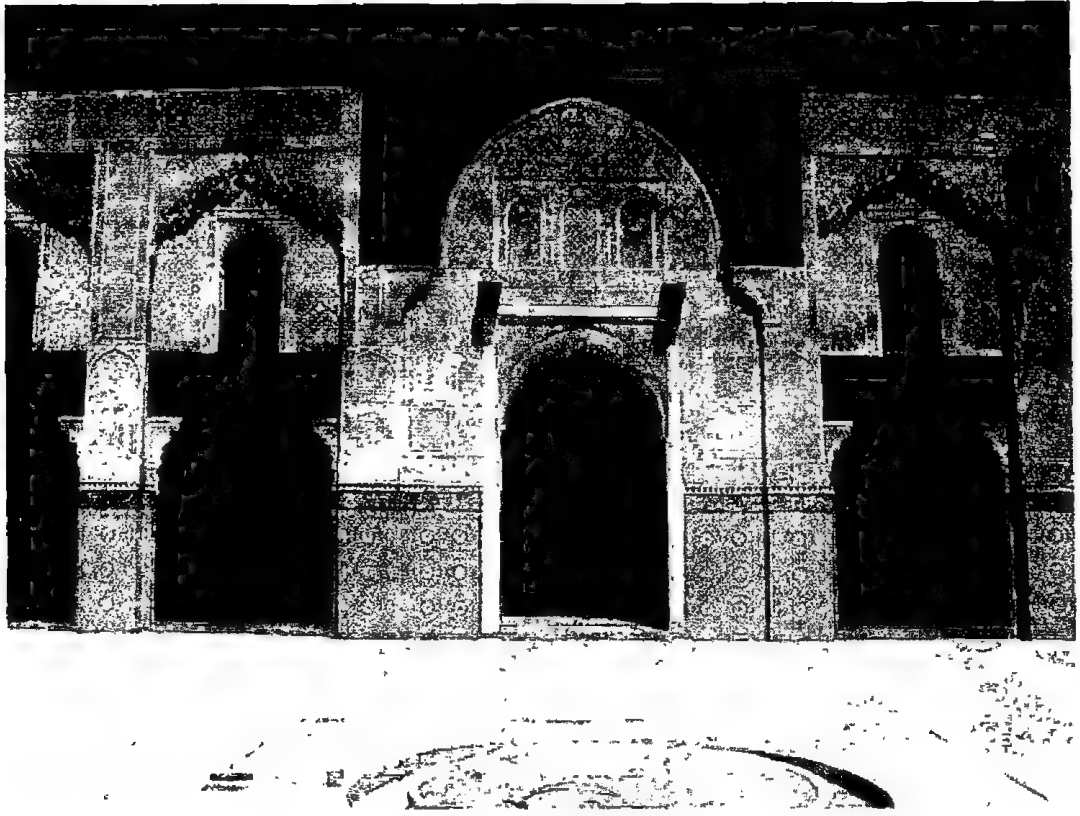
الشكل رقم (٩)



مدرسة صهريج

المصدر: حسين مراد : الأوقاف مصدراً لدراسة مجتمع فاس في العصر
المريني ص ٩٢

الشكل رقم (١٠)

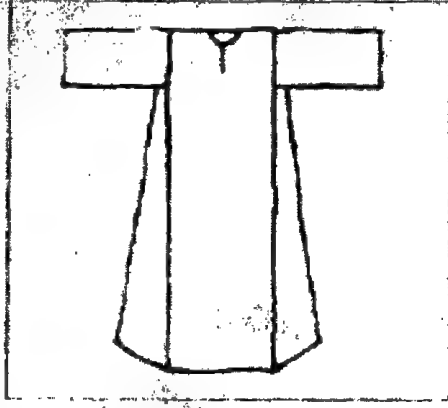


صحن المدرسة البوعنانية

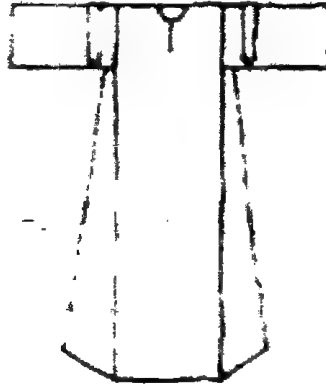
<http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B7%D9%84%D8%.eg>

الشكل رقم (١١)

أشكال لبعض السلع التي تباع بأسواق مدينة فاس



رسم لثوب من أنسجة مغربية

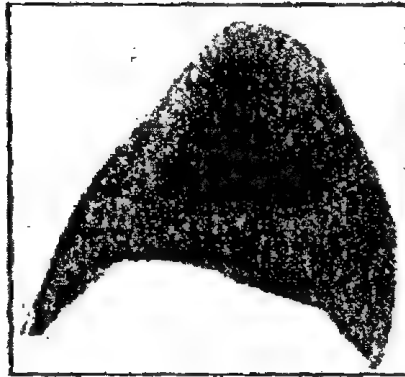


المصدر: محمد مقر اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر
السعدي ص ١٦٢.

شكل رقم (١٢)

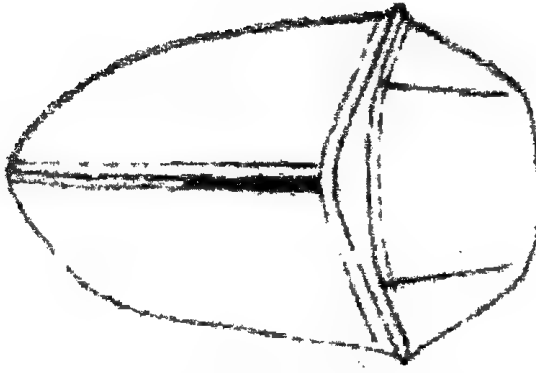


قنصوة مستديرة غير مستدقة في الأعلى



قنصوة مستدقة في الأعلى

المصدر: محمد مقر اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر
السعدي ص ١٨٢.



شكل البلغة الشائع إستعمالها في الأسواق

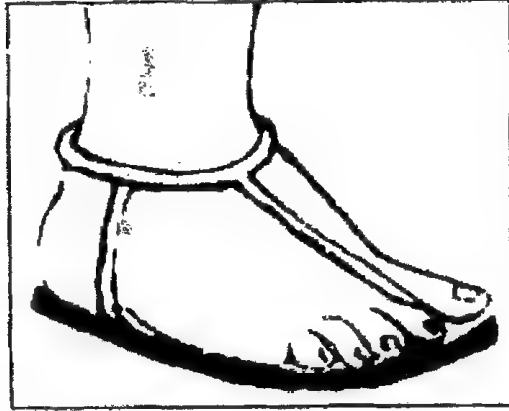


نعل مصنوع من القنب والحبال

المصدر: محمد مقر اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر
السعدي ص ١٨٥.



نعال من الخلفاء يصل طولها 290 ملليمتر وعرضها إلى 100 ملليمتر



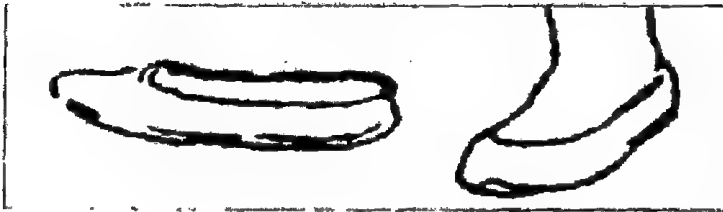
شكل تقريبي للنعل

المصدر: محمد مقر اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر
المعدي ص ١٨٤.



قباقب يستخدم في أيام الأمطار

المصدر: محمد مقر اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر
السعدي ص ١٨٧.



رسم تخطيطي لملابس

المصدر: محمد مقر اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر
السعدي ص ١٨٨.

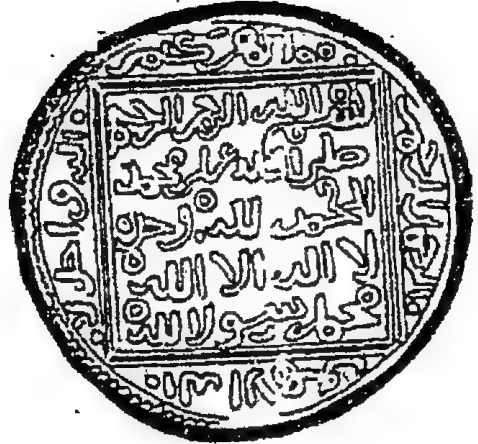
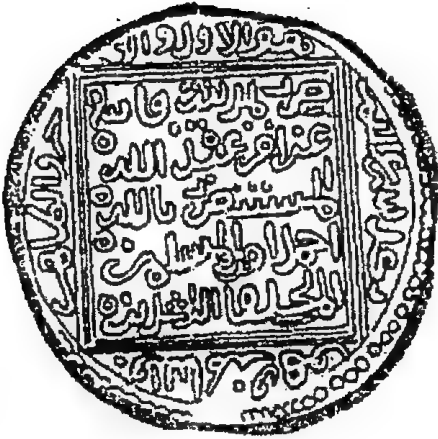


المصدر: محمد مقر اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر
السعدي ص ١٨٩.



أنواع من الخف تستخدم للرجال

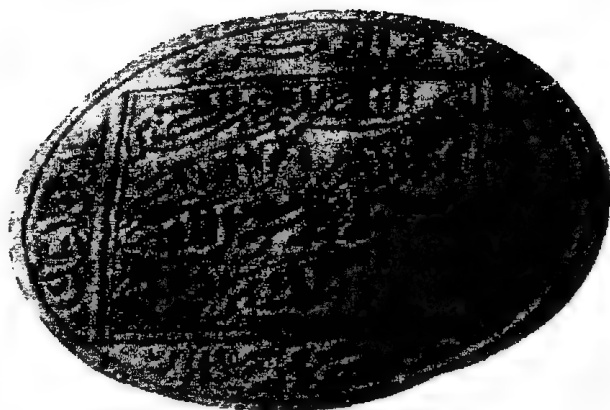
المصدر: محمد مقر اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر
السعدي ص ١٩٠.



دينار السلطان المريني أبي العباس أحمد (المتحف البريطاني)
 فرج الله أحمد يوسف الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية ص ٤٣٦
 شكل رقم (١٣)



دينار ذهبي أيام أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف
 حوليات المتحف الوطني للأثار بالجزائر العدد ٥ السنة ١٩٩٦ ص ٢٨

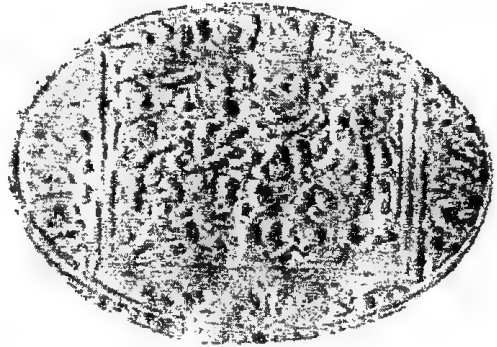


دينار ذهبي أيام أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف
المتحف الوطني للآثار بالجزائر العدد ٥ السنة ١٩٩٦ م ص ٢٦

الوجه:
الأوتار
آمنت بالله / .. / .. / المتوكل
المركز
بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على محمد وآله
والحمد لله وحده
لا إله إلا الله
محمد رسول الله



الظهر:
الأوتار
هو الأول والآخر / والظاهر
والباطن / وهو بكل شيء عليم
المركز
عن أمر عبد
الله فارس أمير
المؤمنين المتوكل
على رب العالمين



الوزن: ٤,٦ جرام

القطر: ٣١ مم.

المادة: ذهب

المسكوكات العربية الإسلامية بالمتاحف الجزائرية

الجزء الثاني ص ١٨٦

الوجه:

الأوتار

هو الأول والآخر / والظاهر

والباطن / وهو بكل / شيء عليم

المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

الأمر كله لله



الظهر:

الأوتار

وإلهكم إله واحد / لا إله / إلا هو /

الرحمن الرحيم

المركز:

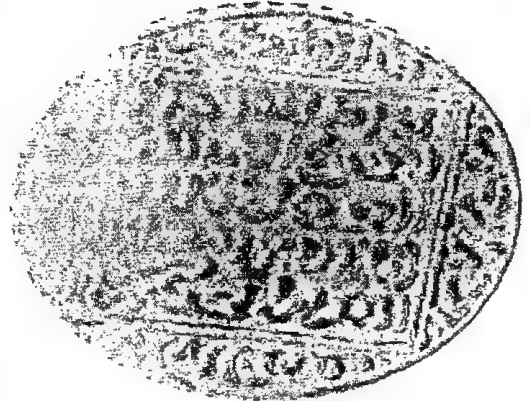
المالك لله وحده

لا قوة إلا بالله

العظمة لله

وما النصر إلا من عند الله

العزیز الحكيم



الوزن: ٤,٦ جرام.

القطر: ٣١ مم.

المادة: الذهب

هذه الوثيقة توضح المشاكل التجارية في البحر كالقرصنة والتضامن بين السلطان المريني وسلطان أرغون لمواجهتها.

(من عبد الله فارس أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ، ابن أمير المسلمين أبي الحسن ابن أمير المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل الله رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق أعلى الله تعالى أمره وأعز نصره إلى السلطان الكبير في قومه المعظم في ملته ، صاحب أرغون وصل الله تعالى رشده وسني في موالاه هذا المقام العلى أمله وقصده سلام يراجع سلامك أما بعد حمد لله تعالى والصلاة التامة على سيدنا ومولانا محمد المصطفى والرضي عن اله وصحبه أعلام الإسلام وإيمة دين الرشد والهدى والدعاء ، لهذا الأمر العلى المؤيد الكريم الفارسي المتوكل بالناصر الأعز والفتح الاسنى فانا كتبناه إليك من حضرتنا العلية بفاس حرسها الله تعالى ، وصنع الله جميل وفضله سبحانه بكل خير كفيل والحمد لله كثيرا والى هذا فانه وصل كتابك ووقفنا عليه ، وعلمنا ما لديه ذكرتان أهل ميورقة شكوا لك بقضية الشبطين وذكرت عما يلزمك من النظر في مصالح رعاياك واعلم وفقك الله انه كما يلزمك النظر في مصالح رعاياك فذلك يلزمنا نحن أن نظر في صلاح رعايانا بأحسن النظر ، وقد كثرت الشكايات بمقامنا الكريم اسماء الله تعالى من الأولاد والأيتام والنساء بقضية ناسهم المذين ببلادكم أسرى وأما ما ذكرت من انه يجب على من تسبب في أفساد الصلح العقاب ، فالصلح ثابت باق على عقده وصحيح عهده ولو كان العقاب يجب على من افسد الصلح لعاقبت خدامك الذين اخذوا الشياطين بمقربة من جبل الفتح حرسها الله تعالى وتجارك الذين تعدوا على اخذ القرقورة وأما ما ذكرت أن التجار يتوجهون على حكم الأمان في أنفسهم وأموالهم فذلك صحيح واعلم أن الخطيب ما تعرض للشيطي المذكور إلا بعد أن أشهر التجار الذين كانوا به السلاح واطهروا القتال وقد وصلنا بذلك عقد مشهود وما حبس الشيطي المذكور إلا لم تحققنا من انه للتجار الذين اخذوا لنا القرقورة وقد كان أخرنا جيل بمرط أن التجار

المذكورين اخذوا القرقورة المذكورة وانه ليس له عليهم حكم وهذا هو الذي كان سبب حبس الشيطي المذكور وان أنكر التجار أنهم خذوا القرقورة المذكورة فجبل برط المذكور كان اخبر عنهم بذلك وإلا فلم يبق إلا أن جيل برط هذا هو الظاهر ان أنكر التجار أخذها واعلم أن جميع ما كان بالشيطي المذكور هو محفوظ باق عندنا فأمر تجارك برد جميع ما كان في القرقورة ونصرف عليهم جميع ما كان بالشيطي المذكور واعلم أن العهد الذي بيننا باق على صحيح عقده ورسومه وكذلك التجار في حكم الأمان والاطمئنان لا يعرضهم احد ولا يتوصل إليهم بمكروه فاعلم ذلك والله المرشد .

كتب في الثامن والعشرين لرجب عام اثنين وخمسين وسبعماية .

وكتب في التاريخ .

هذه الوثيقة توضح التعاون بين السلطان عبد الله فارس المريني وبين

صاحب أرجون لحماية التجار .

(هذا كتاب عهد أبرمت بيد التوفيق معاقده وأحكمت على أوضح الطريق
قواعده وصدقت في بسط الهدنة والآمال شواهد أمر بعقده وإحكامه والتزام
شروطه وأحكامه عبد الله فارس أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين من ابن
أمير المسلمين أبي الحسن ابن أمير المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين المجاهد
في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، عقد الله أسباب السعادة
بإيراده وإصداره وحرس على مر الزمان باهر أنواره مع السلطان الكبير في أهل
ملته المعظم في أشياعه وحلته دون بطره صاحب أرغون ويلنسية وميورقة
وسردانية أرشده الله تعالى وسدده على المهادنة والأمان ، والصالح الشامل لجميع
ما تحت حكمهما من الرعية والبلدان ، فيتردد جميع من أراد السفر من بلاد كل
واحد من السلطانين المذكورين في البر والبحر على حكم التامين والعافية ولا
يعترض منهم مقيم ولا مسافر ولا يطلب متردد منهم ولا تاجر بشيء من
المطالب والتكاليف إلا الواجب لبیت المال ثمة الله تعالى صلحا ثابت الرس مستر
الحكم لمدة من أربعة عشر شهرا من شهر تاريخه وعليهما في ذلك عهد الله تعالى
وميثاقه في تنميم هذا لصلح المذكور لا مدة من غير إخلال بشيء من قواعده ولا
نقص لا حكمه ومعاقدة وكتب أعلى الله تعالى أمره واعز نصره خط يده الكريمة
أعلاما بصحة هذا العقد المبارك وتقررا لحكمه في الخامس والعشرين لشهر
رمضان المعظم الذي من عام احد وخمسين وسبعماية عرف الله تعالى ببركته
وبمنه وأجمل بمنه ختمه لا رب غيره.)

وكتب في التاريخ المؤرخ أعلاه.

وهذه الوثيقة توضح لنا النسبة التي كانت تحصل من التجار المسلمين أو النصارى أثناء عبور بلاد المغرب للتجارة.

(عن أبي عبد الله سليمان أمير المسلمين ، ابن الأمير عامر ، ابن أمير المسلمين أبي يعقوب ، ابن أمير المسلمين أبي يوسف ، بن عبد الحق ، أسده الله ونصره ووالى يمنه وظفره، وننطلق به.. ثقة الملك الأجل الأضخم المكرم دون جاقم ملك أرغون يسره الله للرشاد ، وهده الخير المستفاد ، على اخذ الثلث الذي كان أمرنا له به "" والنصارى والقطلانيين"" من مراسي بلادنا مهدها الله سبته وغيرها إطلاقا تاما، أصلا عاما، ولا سبيل متقف له في ذلك بوجه ولا على حال "" فيه بالتيسير التام والاهتبال، فقد أمرنا له في ذلك بإباحة "" لما بينا وبينه من العهد المشكور، والود المأثور، معتنى به في ذلك الاعتناء التام ، معاملا بالبر والإكرام ، وموفى له فيه ما يحب من اللحظ والاهتمام ، عماعندنا من الخطير من الاختباء فليعمل...

وكتب في العاشر لشهر ربيع الأول المبارك وسبعمائة..... يتولى اخذ الثلث المذكور من كل ... من المسلمين والنصارى والقطلانيين واليهود وسوا كما....(ه) ن (م) يورقة أو غيرها من بلاده المذكورة) وكتب التاريخ .

قبالة معاصر الزيتون بالزيت

تقبل فلان بن فلان بن فلان جميع معصرة زيت الماء أو اليد التي بقرية كذا من إقليم كذا من عمل موضع كذا وحدودها كذا بمنافعها ومرافقه وقصاريها وأحواضها وبركاتها وحقوقها كلها للداخلية فيها والخارجة عنها قبالة صحيحة عرفا قدرها ومبلغها بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار لعام أوله كذا أو لكذا وكذا عاما أولها كذا بكذا وكذا ربعا من زيت الكارمت اخضر صاف نقي عذب طيب غاية الطيب زيت الزيتون اللجين أو من زيت البلد الأخضر الطري الطيب الغاية في الطيب أو من الزيت المطبوخ الصافي الطيب الغاية في الطيب يؤدي المتقبل جميعها إلى المقبل فلان في أول شهر كذا أو عند انقضاء المدة المذكورة أو يؤدي أول كل شهر منها كذا وكذا وكذا كما يذكر في تنجيم الذهب والفضة ثم نقول: ونزل فيها قائمة الآلة طاحنة وتبنى (٨٤ب) على ما تقدم وتجوز قبالة المعاصر بالزيت الموصوف إلى اجل (١).

١- المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٧، ط ١، ص ٤٥٨-٤٥٩.

إحصاء ابن أبي زرع لدور مدينة فاس

أحصيت للديار بمدينة فاس في أيام الناصر الموحدي ، فكانت تسعة وثمانين ألف دار ومئتي دار وستا وثلاثين دارا ، وتسعة عشر ألف مصرية واحدا وأربعين مصرية، ومن الفنادق المعدة للتجار والمسافرين والغرباء أربعمائة فندق وسبعة وستين فندقا .

والحوانيت كانت تسعة آلاف حانوت واثنين وثمانين حانوتا ، وقيساريتان ، إحداهما بعمود القرويين، والثانية بعمود الأندلس على وادي مصمودة .

والترابيع والأطرزة المعدة لصناعة الحياكة فكانت ثلاثة آلاف موضع وأربعة وستين موضعا.

ومن الديار المعدة لعمل الصابون سبع وأربعون دارا ، ومن ديار الصباغ مئة دار وست عشرة دارا ، وكان بها اثنتا عشرة دارا لسك النحاس ، وكان بها من الكوش المعدة لعمل الجير وطفه مئة كوشة وخميس وثلاثون كوشة .

وكان بها من الأفران في جهاتها وأزقتها ألف فرن ومئة وسبعون فرنا ، وكان بها أحد عشر موضعا لعمل الزجاج ويخارجها من الديار المعدة لعمل الفخار مئة دارا وثمان وثمانون دارا.

نماذج لأسعار السلع بأسواق مدينة فاس

السنة	السلع	الوزن	السعر	المصدر
١٢٥٦هـ/	الدقيق	الربيع	١ درهم	ابن أبي زرع: الأنيس، ص ٣٠٢
١٢٥٧م	القمح	الصحفة	٦ دراهم	مصدر سابق، ص ٣٠٢.
	الشعير	الصحفة	٣ دراهم	ابن أبي زرع: الذخيرة، ص ٩٥.
	العسل	٣ أرتال	١ درهم	ابن أبي زرع: الأنيس، ص ٣٠٢
	الزيت	٤٠ أوقية	١ درهم	مصدر سابق، ص ٣٠٢.
	الثمر	٨ أرتال	١ درهم	مصدر سابق، ص ٣٠٢.
	اللوز	صاع	١ درهم	مصدر سابق، ص ٣٠٢.
	الزبيب	الربيع	درهم ونصف	الذخيرة، ص ٩٥.
	الشابل	فرد	قيراط	الأنيس: ص ٣٠٢.
	الملح	حمل	١٠ دراهم	مصدر سابق، ص ٣٠٢.
	لحم البقر	أوقية	١ درهم	مصدر سابق، ص ٣٠٢.
	لحم الضأن	٧٠ أوقية	١ درهم	مصدر سابق، ص ٣٠٢.
	الكيش	_____	٦ دراهم	مصدر سابق، ص ٣٠٢.
	الخبزة	الواحدة	درهم	القادلي: التفوف، ص ١٨١.
١٢٧٩هـ/	القمح	الصاع	١٠ دراهم	ابن أبي زرع: الأنيس ص ٤٠٥.
١٢٨٠- ١٢٨١م				
١٢٨٣هـ/	القمح	الصحفة	٥,٧ درهم	الكتاني: سلوة الأنفاس ج ٣، ص ١٤٦.
١٢٨٣- ١٢٨٤م				
١٢٩٣هـ/	القمح	المد	١ درهم	ابن أبي زرع: الأنيس، ص ١٤٦.
١٢٩٤- ١٢٩٥م	الدقيق	٦ أواق	١ درهم	ابن أبي زرع: الأنيس ص ٤٠٥.
١٢٩٤هـ/	القمح	الصحفة	٢٠ درهما	ابن أبي زرع: الأنيس ص ٣٨٤.
١٢٩٥- ١٢٩٦م	الشعير	الصحفة	٨ دراهم	ابن أبي زرع: الأنيس ص ٣٨٤.
١٢٩٦هـ/	القمح	الصحفة	٩٠ دينار	ابن أبي زرع: الأنيس ص ٤٠١.

١٣٢٤-	القمح	المد	١٥ درهم	ابن أبي زرع: الأنيس ص٤٠١.
١٣٢٥م	الشعير	الصحفة	٨ دراهم	ابن أبي زرع: الأنيس ص٤٠١.
	الدقيق	٤ أواق	١٥ درهم	ابن أبي زرع: الأنيس ص٤٠١.
	اللحم	٥ أواق	١ درهم	ابن أبي زرع: الأنيس ص٤٠١.
	الزيت	٢ أوقية	١ درهم	ابن أبي زرع: الأنيس ص٤٠١.
	السمن	أوقية ونصف	١ درهم	ابن أبي زرع: الأنيس ص٤٠١.
	العسل	٢ أوقية	١ درهم	ابن أبي زرع: الأنيس ص٤٠١.
	الزرع باعه السلطان عثمان	المد	٤ دراهم	ابن أبي زرع: الأنيس ص٤٠١.
	المريني أما التجار	المد	١٥ درهم	ابن أبي زرع: الأنيس ص٤٠١.
٧٣٨هـ/	القمح	وسق	٤٠ درهم	العمرى: مسائل الأبيصار، ص١٢٦.
١٣٣٨م	اللحم	رطل	١ درهم	العمرى: مصدر سابق، ص١٢٦.
	طائر النجاج	رطل	٣ دراهم	العمرى: مصدر سابق، ص١٢٦.
	قصب السكر	حمل	٣ دراهم	العمرى: مصدر سابق، ص١٢٨.
بعد الطاعون الأسود	الحنطة الباكور	الصاع ٤٠ واحدة	١٠ دراهم ١ درهم	ابن عباد: الرسائل، ص٢٣١. ابن عباد: مصدر سابق، ص١٧٦.
٧٥٨هـ/	اللحم	٨ أواق	١ درهم	ابن بطوطة: مصدر سابق، ص٦٥٨.
١٣٥٩م				
٧٦٣هـ/	الحنطة	الصاع	١٥ درهم	ابن عباد: مصدر سابق، ص١٧٦.
١٣٦٢-				
١٣٦٣م				
٧٦٥هـ/	الباكور	٢٠ واحدة	٣ دراهم	ابن عباد: مصدر سابق، ص١٧٦.
١٣٦٦م				

الأوبئة والمجاعات في العصر المريني التي أثرت على الأسواق الفاسية

السنة	النوع	المصدر
١٢٤٦هـ/١٢٤٨م	حريق أسواق فاس	ابن أبي زرع : الأنيس ص٢٦٢
١٢٧٣هـ/١٢٧٤م	مجاعة	ابن تيجلات : اتمد العينين ص٢٠٩
١٢٧٧هـ/١٢٧٨م	مجاعة - جراد	السلامي: الاستقصا ج٣ ص٨٩
١٢٧٩هـ/١٢٨٠م	مجاعة - جراد	ابن أبي زرع : الأنيس ص٤٠٥
١٢٨٣هـ/١٢٨٤م	قحط	ابن أبي زرع الأنيس ص٣٤٠، الاستقصا: ج٣ ص٨٩
١٢٨٤هـ/١٢٨٥م	جراد	الملزوري : أرجوزة، ص١٣٩، الكتاني: سلوة الأنفاس ج٣ ص١٤٦
١٢٨٨هـ/١٢٨٩م	رياح	ابن أبي زرع الأنيس: ص٤٠٨، السلامي: الاستقصا ج٣ ص٨٩
١٢٩٣هـ/١٢٩٤م	مجاعة	ابن أبي زرع الأنيس ص٣٨٤، ابن خلدون ج٧ ص٢١٩
١٣٠٦هـ/١٣٠٧م	وباء	البياض: الكوارث الطبيعية ص٨٤
١٣٠٨هـ/١٣٠٩م	مجاعة - رياح	السلامي: الاستقصا ج٣ ص٨٩
١٣١١هـ/١٣١٢م	جفاف	ابن أبي زرع الأنيس ص٣٩٨
١٣٢٣هـ/١٣٢٤م	رياح	ابن أبي زرع الأنيس ص٤٠١، السلامي: الاستقصا ج٣ ص١٧٩
١٣٢٣هـ/١٣٢٤م	امطار وتلوج	ابن أبي زرع الأنيس ص٤٠١
١٣٢٥هـ/١٣٢٦م	مجاعة- سيل عظيم- حرائق بأسواق فاس	ابن أبي زرع الأنيس ص٤١٣، السلامي: الاستقصا ج٣ ص١٧٩، ابن الخطيب : نفاضة الجراب ج٣ ص٥٥
٧٤٧هـ/١٣٤٧م	الطاعون الأسود	المقريري: السلوك، ج٢ ص٧٧٣، ابن حجر العسقلاني: بذل الماعون، ورقة ٦٨
١٣٦٤هـ/١٣٦٥م	الطاعون	ابن الخطيب: الإحاطة ج٣، ص٩٠
١٣٧٤هـ/١٣٧٥م	المجاعة الكبرى	ابن قنفذ: انس الفقير، ص١٠٥
٨١٥هـ/١٤١٥م	وباء	ابن حجر العسقلاني: أبناء الغمر ج٢، ص٥٢١
٨١٦هـ/١٤١٦م	وباء	ابن القاضي: لقط الفرائد، ص٢٣٨، المقريري: السلوك، ج٤، ص٣٥١
٨١٨هـ/١٤١٨م	وباء- سيول - رياح	ابن القاضي : لقط الفرائد

ص ٢٣٨، ابن أبياس : بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٥، السلاوى: الاستقصا، ج ٤، ص ١٠١.		
ابن القاضي: لقط الفراند، ص ٢٥٤.	وباء عزونة	١٤٥٢/هـ ٨٥٦م

المصادر

أولاً: الوثائق المنشورة

وتشمل المراسلات بين سلاطين بني مرين والتاج الارغوني

"Los Documentos Arabs Dipsomaniacs Del Archivo De Lacorona De Aragon Maximilian, A. Alarcon Y Santon, and Ramon Carcia De, Linareseds. Madria Imprenta de Estanislao Maesre, 1940".

ثانياً: مصادر مخطوطة:

- ابن حجر العسقلاني : (شهاب الدين بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢/١٤٤٩م).
- ١- بذل الماعون في مقتل الطاعون، مخطوطة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ميكروفيلم رقم ١٢٩٨.
- ٢- مجهول: رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس، مخطوطة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٩٧٣٢ ح ، ميكروفيلم ١٠٩٨٨ . وقد قام بنسخ هذا المخطوط عبد السلام الغرابلي الجيلاني ، القاهرة .
- ٣- مجهول: خطط مدينة فاس ، مخطوطة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، رقم ٦١ بلدان، وميكروفيلم رقم ٢٩٩٨٩.
- ٤- محمد الشطيبي المغربي : الجمان في أخبار الزمان ، مخطوطة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تاريخ ميكروفيلم رقم ١٤١٦.

(ثالثاً) المصادر العربية المطبوعة :

ابن الأبار: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٨م).

١- الحلة السراء، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

٢- التكملة لكتاب الصلة ، مطبعة الخانجي ، مصر والمنشي بغداد ، ١٩٥٦م.

ابن أبي زرع : (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي ت بعد عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)

٣- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة الرباط ، سنة ١٩٧٢م.

٤-الذخيرة المسنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة،الرباط١٩٧٢م.

ابن الأثير:(عز الدين أبي الحسن علي بن عبد الواحد ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) .

٥- الكامل في التاريخ ، راجعه محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٧م.

احمد بابا التنبكتي : (احمد بابا بن عمر اقيت التنبكتي ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م).

٦- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١
١٤٢٣هـ / ٢٠٠٤م.

ابن الأحمر: (أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م).

٧- روضة النسرين في دولة بني مرين ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٦٢م.

٨- بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ١٩٧٢م .

٩- نثير الجمان في نظم فحول الزمان ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧م .

١٠- تاريخ الدولة الزيانية بلمسان ، تحقيق هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية للنشر ، المغرب ،

ط ١، ٢٠٠١ م .

١١- النفحة النسرينية واللحة المرينية ، حققه عدنان محمد آل طعمه، دار سعد الدين ، عين الكرش، دمشق ١٩٩٢م.

الادريسي : (أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).

١٢- وصف أفريقيا الشمالية ، ضمن نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، منشورات المعهد الجامعي الشرقي ، إيطاليا، دت.

١٣- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٨٠م.

الاشبيلي: (أبو زكريا يحيى بن محمد احمد العوام عاش بالقرن السادس الهجري).

١٤- كتاب التفسير في صناعة التفسير ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد ، المجلدان السابع والثامن ، ١٩٥٩- ١٩٦٠م.

الاصطخري: (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)

١٥- المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحميني ، مراجعة محمد شفيق غربال ، دار العلم ، القاهرة ١٩٦١م.

ابن إياس: (محمد احمد الحنفي المصري ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) . -

١٦- بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.

البادسي : (عبد الحق بن إسماعيل البادسي كان حيا عام ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م).

١٧- المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط١ ، ١٩٨٢م.

البرزلى: (احمد بن محمد البلوى القرواني ت ٨٤٤هـ / ١٤٣٩م).

١٨- جامع مسائل الأحكام لما نزل بالقضايا للفتيين والحكام ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م.

ابن بسام: (أبو الحسن الششتري ت ٥٤٢هـ / ١١٤٦م).

١٩- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، حققه حسام الدين السامرائي ، المعارف ، بغداد ١٩٦٨م.

ابن بصال: (أبو عبد الله للطلطللى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي).

٢٠- كتاب الفلاحة ، نشر خوسى ماريه مياس بيكروسا ومحمد عزيزان ، تطوان ١٩٥٥م.

ابن بطوطة: (شمس الدين اللواتي الطنجى ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

٢١- تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان،

مراجعة مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.

البكري: (أبو عبيد عبد الله بن محمد البكري ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م).

٢٢- المسالك والممالك ، تحقيق أنديان فان ليوفن وأندي فيريا ، الدار العربية للكتب ،

تونس ، ١٩٩٢م.

البلوى: (خالد بن عيسى البلوى، كان حيا في القرن ٨ الهجرى).

٢٣- تاج المفرق في تحليله علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، مطبعة فضالة المحمدية،

المغرب(د.ت).

البيزق: (أبو بكر على الصنهاجى ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م).

٢٤- أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس، سنة

١٩٢٨م.

٢٥- البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٢٣ م .

ابن تغردى بردى: (أبو المحاسن جمال الدين يوسف، ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٩م).

٢٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣م.

التميمي: (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسى ت ٦٠٣-٦٠٤هـ).

- ٢٧- المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد ، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد المالك السعدي ، تطوان، ٢٠٠٢ م .
- ابن جبير: (أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكتاني ت ٦١٤هـ / ١٢٢٢م).
- ٢٨- رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت)
- الجريسفي: (عمر بن عثمان العباسي، من أهل القرن ١٢هـ / ١٢م).
- ٢٩- رسالة في الحسبة والمحاسب ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥م.
- الجزناتي: (أبو الحسن علي ت ٧٦٦هـ / ١٣٧٤م).
- ٣٠- جني زهرة الأسى في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية الرباط، المطبعة الملكية ، ١٩٩١ م .
- ابن الحاج: (إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم كان على قيد الحياة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)
- ٣١- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة من قسنطينة والزاب ، دراسة محمد بن شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط١ ، ١٩٩٠م .
- ابن حجر العسقلاني: (شهاب الدين العسقلاني ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م).
- ٣٢- أنباء الغمر بابناء العمر في التاريخ، تحقيق الغنى السيد عبد الله بن أحمد العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن حزم: (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م).
- ٣٣- جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط٤، د.ت.
- أبو الحسن الحكيم: (علي بن يوسف الحكيم ، ت في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)
- ٣٤- الدوحة المثبتة في ضوابط دار المسكة، حققه وذيله حسين مؤنس، دار محبي الشروق، القاهرة ط٢، ١٩٨٦م.

الحميري: (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ت ١٣١٠هـ/ ١٧١٠م)

٣٥- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥م.

ابن حوقل: (أبو القاسم بن حوقل النصيبى ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

٣٦- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، د.ت.

ابن الخطيب : (لسان الدين محمد بن احمد السلماني ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م).

٣٧- الإحاطة في أخبار غرناطة ، حققه محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٧٣م.

٣٨- كناسة الدكان بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في

القرن الثامن الهجري ، تحقيق محمد كمال شبانه ، مراجعة حسن محمود ، دار الكتاب العربي

للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د- ت) .

٣٩- اللوحة البدرية في الدولة النصرية ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.

٤٠- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في المغرب والأندلس ، تحقيق احمد مختار العبادي ،

جامعة الإسكندرية، ١٩٨٣م.

٤١- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانه، صندوق إحياء

التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات (د.ت) .

٤٢- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، تحقيق احمد مختار العبادي ، عبد العزيز الاهواني ،

دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت.

ابن خلدون: (عبد الرحمن محمد الخضرى المغربي ت عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)

٤٣- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى

السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩م .

٤٤- المقدمة، تحقيق حامد احمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة ، الطبعة الأولى،

١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ابن الأخوة: (محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م).

٤٥- معالم القرية في أحكام الحسبة ، تحقيق محمد شعبان وصديق المطيعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ م.

الدمشقي: (أبو الفضل جعفر بن علي ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)

٤٦- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق ميكائيل بن يحيى ، ألمانيا، ١٩٢٣م.
النكالي: (محمد بن علي)

٤٧- الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز ، تحقيق مصطفى بو شعراء نشر
الخزانة العلمية المسيحية بسلا، المغرب ١٩٨٦ م .

الذهبي: (شمس الدين المصري بن عثمان ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)

٤٨- تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر، ضمن كتاب
الكرملى.: النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ١٩٣٩م.

ابن رحال: (أبو علي الحسن بن رحال المعداني ت ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م)

٤٩- كشف القناع عن تضمين الصناع، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الدار التونسية للنشر،
تونس، ١٩٨٦م.

ابن رزين التجيبي: (أبو الحسن بن أبي القاسم عاصر بداية عصر بني مرين).

٥٠- فضالة الخوان في طبقات الطعام والألوان ، تحقيق محمد بن شقرون ، دار الغرب
الاسلامى ، بيروت ، ١٩٨٤م.

ابن رضوان: (أبي القاسم بن رضوان المالقي ت ٧٨٣هـ / ١٣٨١م).

٥١- الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء،
المغرب، (د.ت)

الزركشى: (أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ت ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م)

٥٢- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق وتعليق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس، ط٢، ١٩٦٦ م .

الزهري: (أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الزهري، ت أواسط القرن ١٢/هـ) (م)

٥٣- كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

ابن الزيات: (أبى يعقوب يوسف بن عبد الرحمن التادلى ت ١١٧٠هـ / ١٢٢٠م).

٥٤- التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ط١ ١٩٨٤م.

ابن السراج: (الوزير محمد بن محمد الاندلسى ت ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م).

٥٥- الحلل السندسية في الأخبار التونسية، مطبعة الدولة التونسية، تونس ١٩٧٠م.

السعدي: (عبد الرحمن بن عامر السعدي كان يعيش بعد ١٠٦٥هـ / ١٤٩٦م)

٥٦- تاريخ السودان ، نشر هوداس وينوا ، باريس ١٩٨١م.

ابن سعيد: (أبو الحسن على بن سعيد المغربي ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)

٥٧- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

٥٨- كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة، بيروت ١٩٧٠م.

٥٩- كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢م.

ابن الشماخ: (أبو عبد الله محمد بن احمد بن الشماخ)

٦٠- الأدلة البنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق الطاهر بن محمد المعمورى ، الدار العربية للكتاب ،تونس، ١٩٨٤م.

الشيرازي: (عبد الرحمن بن نصر الشيرازي ت ٥٥٩هـ / ١١٩٣ م)

٦١- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشر السيد الباز العرينى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٤٦ م - ١٣٦٥ هـ .

ابن صاحب الصلاة: (عبد الملك بن محمد الباجى ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨م).

٦٢- تاريخ المن بالإمامة علي المستضعفين، تحقيق عبد الهادي النازي، دار الأندلس للطباعة، بيروت، ١٩٦٤م.

الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)

٦٣- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف القاهرة، ١٩٧٩م.

ابن عباد الرندى: (محمد بن إبراهيم بن يحيى ت ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م).

٦٤- الرسائل الكبرى، طبعت بتصحيح احمد البوعزاوى ، طبعة حجرية ، فاس ، ١٣٢٠هـ.

أبو العباس السبتي: (احمد العزفى السبتي ت ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م)

٦٥- إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، دراسة محمد الشريف، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة ١٩٩٩ م.

ابن عبد الحق البغدادي: (صفي الدين عبد المؤمن، ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م).

٦٦- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٥م.

ابن عبد الرؤوف: (احمد عبد الله من أهل القرن السادس الهجري).

٦٧- رسالة في الحسبة والمحتسب ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة، سنة ١٩٥٥م.

أبو عبد الله بن تيجلات :

٦٨- ائمة العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين ، تحقيق محمد رابطة الدين ، رسالة دبلوم الدراسات العليا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس، الرباط ١٩٨٦م.

عبد العزيز الملزوزى (أبو فارس بن عبد العزيز ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)

- ٦٩- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ، الرباط ، المطبعة الملكية ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م .
- ابن عبد الملك المراكشي : (أبو عبد الله محمد، ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م).
- ٧٠- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، ١٩٨٤م.
- العبدري: (أبو عبد الله محمد بن محمد كان على قيد الحياة ٦٨٩هـ/ ١٢٨٩م)
- ٧٦- رحلة العبدري ، المسماة الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسي ، دار توبقال للنشر ، الرباط ١٩٦٨م .
- ابن عبدون:(محمد بن احمد التجيبي كان حيا في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي).
- ٧١- رسالة في الحسبة والمحتسب ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة، سنة ١٩٥٥م.
- ابن عذارى المراكشي:(أبو العباس احمد كان على قيد الحياة سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م).
- ٦٩- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، جى كولان وليفى بروفنسال الدار العربية للكتاب ، بيروت ١٩٨٣م.
- العذري:(احمد بن عمر العذري ، المعروف بابن الدلائى ت ٤٧٨هـ/ ١٠٧٨م)
- ٧٠- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والممالك ، المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد ، ١٩٦٥م.
- العمرى : (ابن فضل الله العمرى ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)
- ٧١- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، عصام مصطفى هزايمة، يوسف احمد بني ياسين ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات المتحدة ، ٢٠٠١م .
- ابن عيشون الشراط: (أبو عبد الله بن عيشون الشراط ت ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م).
- ٧٢- الروض العطر بأخبار الصالحين من أهل فاس ، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، ط ١ سنة ١٩٩٧م.

عبد الواحد المراكشي (عبد الواحد بن علي ، ت ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م)

٧٣- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، ١٩٩٤م.

٧٤- وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

٧٥- الإعلام بمن حل مراكش واغامت من الأعلام ، المطبعة الملكية الرباط، ١٩٧٤م.

٧٦-ابن العوام :كتاب الفلاحة ، نشر خوسيه انطونيو ، مدريد ، ١٨٠٢م.

ابن غازي : (أبو عبد الله محمد بن غازي ت ٩١٩هـ / ١٥١٣م).

٧٧- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٦٤م.

أبو الفداء: (عماد الدين إسماعيل نور الدين على ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).

٧٨- تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت، د.ت.

٧٩- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة ط١٩٦٢، ١م.

الفشتالي: (أبو فارس عبد العزيز محمد بن إبراهيم ت ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م)

٨٠- مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا ، تحقيق عبد الله كنون ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة المهدية الرباط ، ١٩٦٤ .

ابن الفقيه : (أبو بكر احمد بن إبراهيم ت في القرن الثالث الهجري).

٨١- مختصر كتاب البلدان، طبع مدينة ليدن ابريل، ١٣٠٢هـ.

ابن القاضي : (احمد بن محمد المكناسي الفاسي ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م).

٨٢- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٣م.

٨٣- درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٧١م.

٨٤- لقط الفراند من لفاظة حقق الفوائد ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات ، تحقيق محمد حجي ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ، ١٩٧٦م .

القرويني: (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)

٨٥- أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت، د.ت.

ابن القطان: (أبو محمد حسن بن على بن محمد بن عبد الملك الكتاني)

٨٦- نظم الجمان في ترتيب ما سلف من أخبار الزمان ،دراسة وتقديم محمود على مكي ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، ١٩٩٠م.

ابن قنفذ: (أبى العباس احمد بن الخطيب القسنطينى ت ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م).

٨٧- انس الفقير وعز الحقيير ، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسى ،ادلف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمى الرباط ، ١٩٦٥م.

٨٨- الوفيات، تحقيق عادل نويهض ، المكتبة البتباوى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٩٧١م.

القلقشندي: (أبو العباس احمد بن على ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م)

٨٩- صبح الاعشي في صناعة الانشا ، قصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .

٩٠- قلاند الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، حققه إبراهيم الايبارى ، دار الكتاب المصري القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

الكتاني: (محمد بن جعفر بن إدريس الحسيني)

٩١- سلوه الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس ،دار الثقافة ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م.

مارمول كرفحال: (توفى في منتصف القرن الحادي عشر الهجري)

٩٢- إفريقيا ، ترجمة محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة الرباط ، ١٤٠٨-١٤٠٩هـ/١٩٨٨ - ١٩٨٩م.

محيى الدين بن عبدالظاهر : (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)

٩٣- تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، راجعه محمد على النجار ، دار الثقافة والارشاد القومى ، القاهرة ، سنة ١٩٦١م .

ابن مرزوق : (محمد بن احمد بن محمد التلمسانى ت ٥٧٨١هـ / ١٣٧٩ م) .

٩٤- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريما خيوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.

ابن منظور: (أبو الفضل بن مكرم الافريقى المصرى ت ٧١١هـ/١٣١١م).

٩٥- لسان العرب المحيط ، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت) .

ابن المؤقت: (محمد بن محمد بن عبد الله المبارك المراكشي)

٩٦- مجموعة الواقيات العصرية ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

محمد بن عبد الكبير : (بن هاشم الكتاني) .

٩٧- تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهرة الأس في بيوتات فاس ، تحقيق على بن المنتصر الكتاني ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ٢٠٠٢م .

محمود كعت: (محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكر منى التنبكتى الوعكرى)

٩٨- تاريخ الفتاش ، نشر هوداس ، ودولافوس ، باريس ، ١٩١٣م.

مجهول: (كان حيا في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)

٩٩- الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ، نشر وتعليق سعد زغلول ، الإسكندرية ، ١٩٥٨م.

مجهول: (انتهى من تأليف الكتاب سنة ٨٢٠هـ / ١٤١٧ م)

١٠٠- كتاب الطيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين ، تحقيق اويثى ميراندا، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد التاسع والعاشر ، ١٩٦١- ١٩٦٢ م .

مجهول: (انلسى من أهل القرن الثامن الهجري)

١٠١- الحلل الموشية في نكر الأخبار المراكشية ، حققه سهيل زكار ، وعبد القادر زمامه، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٧٩م.

مجهول: (عاصر الدولة المرينية، من أهل القرن الثامن الهجري)

١٠٢- بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٨٤م.

مجهول:

١٠٣- نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى - طبع برطرنند - شالون ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م .

المسعودي:

١٠٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٦٤م.

المقري: (احمد بن المقري التلمساني ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١ م)

١٠٥- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.

١٠٦- أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٣٩ م .

المقريزي: (تقي الدين أبو العباس احمد بن على المقريزي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢ م)

١٠٧- السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٥٦م.

الناصري: (أبو العباس احمد بن خالد ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧ م)

١٠٨- الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق محمد الناصري ، جعفر الناصري ، الدار البيضاء ١٩٥٤م.

النويرى (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)

١٠٩- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق الباز العريني ، مراجعة عبد العزيز الاهواني ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٩٠م.

ابن الوردي: (أبو حفص زيد الدين بن عمر الكندي ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)

١١٠- تنمة المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٠م.

١١١- عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب تحقيق وتعليق أنور محمد زنتاني(٦٩١ هـ - ٨٦١هـ / ١٢٩١- ١٤٥٧ م).

الوزان : (الحسن بن محمد الزيات ت ٩٦٠هـ / ١٥٥٢ م)

١١٢- وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م.

الونشريسي: (أبو العباس احمد بن يحيى ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨ م)

١١٨- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيّة والأندلس والمغرب ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المغربية ، الرباط ١٩٨١م.

ياقوت الحموي: (شهاب الدين الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

١١٩- معجم البلدان دار صادر بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

يحيى بن عمر: (يحيى بن عمر الاندلسي ، ت ٢٨٩هـ / ٩٠١ م)

- ١٢٠- أحكام السوق ، تحقيق محمود مكى ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ،
مريد،المجلد الرابع ، العدد ١-٢ سنة ١٩٥٦م/١٣٧٥هـ.
- يحيى بن خلدون:(أبو زكريا يحيى بن خلدون ت ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥ م)
- ١٢١- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات ،
المكتبة الوطنية الأولى ، الجزائر ، ١٩٨٠م.
- اليقوبى: (أحمد بن جعفر اليقوبى ، ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧ م)
- ١٢٢- كتاب البلدان، بغداد ١٨٩١ م.

المراجع العربية والمعربة :

- احمد عبد اللطيف حنفي (دكتور).

١- المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي (٢١).

٥٦٧هـ / ٦٤٢-١١٧١م) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٥م.

- إبراهيم الجابر

٢- المسكوكات الإسلامية، متحف قطر الوطني، ١٩٠٥م.

إبراهيم حركات (دكتور).

٣- المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، دار الرشاد، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م.

- إبراهيم القادري بوتشيش (دكتور).

٤- مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة

والنشر، بيروت ١٩٩٧م.

٥- الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة ، ط١، ١٩٩٥م.

-احمد رضوان البارودي (دكتور).

٦- بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع عشر

الهجري، نواة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ١٩٩٧م.

-احمد الشرياصي

٧- المعجم الاقتصادي الاسلامي ، دار الجيل ، بغداد ، ١٩٨١م.

- احمد الشكري (دكتور).

٨- مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، ١٩٩٧م.

- احمد مختار العبادي (دكتور).

٩- في تاريخ المغرب والأندلس ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ٢٠٠٥م

- احمد صبحي منصور

١٠- الحسبة دراسة اصولية تاريخية، مركز المحروسة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

- ارشبالد لويس

١١- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

- أمين الطيبي (دكتور).

١٢- النشاط الاقتصادي العلمي بمدينة سبتة المغربية القرن الثامن الهجري - الرابع عشر

الميلادي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، الدار العربية للكتاب ، تونس، ١٩٩٧م.

١٣- جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي من خلال رسائل جنيزة القاهرة دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، الدار

العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٩٧م .

- اوليفيا ريمي كونستبل

١٤- التجارة والتجار في الأندلس ، تعريب فيصل عبد الله ، مكتبة العبيكان، د.ت .

ايفان هريك

١٥- تفكك وحدة المغرب السياسية ، إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر،

تاريخ إفريقيا العلم ، اليونسكو ، المجلد الرابع، ط ٢ ، ١٩٨٨ م.

- برنشفيك

١٦- تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥م، نقله حمادي الساحلي،

دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨م.

- بوزياني الدراجي

١٧- نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٩٣م.

- بوفيل

١٨- تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، نقله للعربية أبو لقمة وآخرون ، بنگازي ، ط٢ ، ١٩٨٨ م.

- جمال احمد طه (دكتور).

١٩- دور ميناء الإسكندرية وموانئ دول المغرب الإسلامي في ربط العلاقات المصرية المغربية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، جامعة جنوب الوادي، د.ب .

- جورج مارسيه

٢٠- بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ، راجعه مصطفى أبو ضيف احمد ، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٩٩ م.

- جوليان

٢١- تاريخ أفريقيا الشمالية (تونس - الجزائر - المغرب الأقصى من الفتح إلى سنة ١٨٣٠ م) ترجمة حمد مزالي ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ١٩٨٧ م.

- حسام مختار العبادي (دكتور).

٢٢- وباء الطاعون في بلاد المشرق قبل منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، الثامن الهجري، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧ م.

- حسن إبراهيم حسن (دكتور).

٢٣- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٩٩١، ١٣ م.

- حسن أحمد محمود (دكتور).

٢٤- قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي القاهرة ، ١٩٩٦ م.

- حسن حافظي علوي (دكتور).

٢٥- النشاط التجاري بسجلماسة وعلاقته بمجالها القروي ، جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين الشق الدار البيضاء ، القسم الثاني ، أعمال ندوة التجارة وعلاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م.

- حسن حسنى عبد الوهاب

٢٦- خلاصة تاريخ تونس ، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠١ م.

حسنا طرابلسي

٢٧- الزبانيون في تلمسان والحفصيون في تونس ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م.

- حسين مراد (دكتور).

٢٨- الأوقاف مصدرا لدراسة مجتمع فاس في العصر المريني، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

- حسين مؤنس (دكتور).

٢٩- معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد ، ط٧، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م .

- رافت النبراوى (دكتور).

٣٠- النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠٠م.

- رفعت موسى محمد (دكتور).

٣١- الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى،

١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م.

- روجيه لوطورنو

- ٣٢- فاس في عصر بني مرين ترجمة نقولا زيادة ، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٦٧ م .
- ٣٣- فاس قبل الحماية ، ترجمة محمد حجي وآخرون ، منشورات دار الغرب الاسلامي بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
- ٣٤- حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، ترجمة أمين الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٨٢ م.
- ريكاردو كوردوبادى دى لالاف
- ٣٥- الصناعات المتوسطة في القرن الرابع عشر، ترجمة إسحاق عبيد ، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ م .
- رينهارت دوزى
- ٣٦- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧١ م.
- زاهر رياض (دكتور).
- ٣٧- الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- سامية مسعد (دكتور).
- ٣٨- الحرب والطبيعة في المغرب الأقصى عصر بني مرين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ م .
- ٣٩- الجهاد الاسلامي في الأندلس ودور المجاهدين فيه من علماء ومتصوفة مكتبة الزهراء ، القاهرة ٢٠٠٢ م.
- ٤٠- أهمية كتب النوازل في كتابة التاريخ الاقتصادي لبلاد المغرب الاسلامي ، الونشريسي نموذجاً ، ضمن ندوة التاريخ والقانون للتحقيقات المعرفية والاهتمامات المشتركة سلسة ندوات ٢٢ : الجزء الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مكناس ، سنة ٢٠٠٩ م .

- سحر عبد العزيز سالم (دكتور).

٤١- ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي ، ندوة الأندلس ، المدرس والتاريخ ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

- سعد زغلول عبد الحميد (دكتور).

٤٢- تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) دار المعارف، الإسكندرية ١٩٩١م.

- السيد عبد العزيز سالم (دكتور).

٤٣- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

- شوقي عبد القوى حبيب (دكتور).

٤٤- التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧ م / ٦٤٨-٩٢٢هـ) المجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠١٠م.

- صالح بن قرية (دكتور).

٤٥ المسكوكات المغربية من الفتح إلى سقوط دولة بني حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٦م.

٤٦- انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحي في القرون الوسطى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الهلال للطباعة والنشر ، الرباط ط ١ ، ١٩٩٥ م.

- صبحي عبد المنعم

٤٧- الحسبة في الإسلام بين النظرية والتطبيق، دراسة مقارنة، دار الصالحين، الفيوم، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م.

- طاهر راغب حسين (دكتور).

٤٨- تاريخ نقود دول المغرب من ٤٤١ إلى ٩٨٢هـ دراسة في التاريخ والحضارة، كلية دار علوم ، جامعة القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٤م - ١٤١٥هـ.

- عادل سعيد بشتاوى

٤٩- الأندلسيون المواركة ، إهداءات المستشار رابع لطفي جمعة ، القاهرة ٢٠٠١م.

عثمان عثمان إسماعيل

٥٠- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ، عصر الدولة المرينية والوطاسية ، مطبعة المعارف الجديدة ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩٣م .

- عبد الأحد السبتي ، حليلة فرحات

٥١- المدينة في العصر الوسيط ، قضايا ووثائق من تاريخ المغرب الاسلامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٩٤م.

- عبد الحميد حاجيات

٥٢- أبو حمو موسى الزياتي حياته وأثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤م.

- عبد الرحمن الفاسي (دكتور).

٥٣- خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٤م.

- عبد الرحمن بشير (دكتور).

٥٤- اليهود في المغرب العربي (٢٢-٤٦٢ هـ / ٦٤٢-١٠٧٠ م)، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١م.

- عبد الرحمن زكي (دكتور).

٥٥- بناء القاهرة في ألف عام ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، المكتبة الثقافية ، القاهرة، د.ت.

- عبد الرحمن فهمي محمد

٥٦- موسوعة النقود العربية وعلم النميات فجر السكة العربية ، دار الكتب ، ط ١ ، ١٩٦٥م.

- عبد العزيز محمود لعرج

٥٧- مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، دراسة تاريخه في عمرانها وفنونها ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة، (د.ت)

- عبد الله كنون

٥٨- النبوغ المغربي في الأدب العربي ، المطبعة المهدية ، تطوان ، المغرب الطبعة الثانية، د.ت .

- عبد المحسن طه رمضان (دكتور).

٥٩- موضوعات في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى نهاية عصر الإمارة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٠-٢٠٠١ م .

- عبد المنعم ماجد

٦٠- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط ٥ ، سنة ١٩٨٦م.

- عبد العزيز العلوي (دكتور).

٦١- فاس والتجارة الصحراوية قبل الحملة السعيدية على امبرطورية سنغاي ، ندوة فاس وأفريقيا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، فاس ١٩٩٣م.

-عبد الوهاب الديبشي

٦٢- توزيع المرافق الاقتصادية بفاس المرينية ، جامعة الحسن الثاني ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين الشق الدار البيضاء ، القسم الثاني ، أعمال ندوة التجارة وعلاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

- عبد الهادي التازي (دكتور).

٦٣- جامع القرويين ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.

- عبد الوهاب بن منصور

٦٤- قبانل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٦٨ م.

- عثمان برايمأ بارى

٦٥- جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقى ، دار الأمين للطباعة والنشر ، القاهرة ،

ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

- عز الدين عمر موسى (دكتور).

٦٦- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار المغرب

الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣ م .

- عقيفي محمود (دكتور).

٦٧- الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٢م.

- على الصلابى

٦٨- إعلام أهل العلم والدين بأحوال الموحدين ، مكتبة الأيمان ، المنصورة ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .

- عمر بنميرة (دكتور).

٦٩- قضايا المياه بالمغرب الوسيط من خلال أدب النوازل ، ندوة التاريخ وأدب النوازل دراسات

تاريخية ، الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، تنسيق محمد المنصور ، محمد المغراوي ،

ط١، ١٩٩٥ م .

- ف. هايد

٧٠- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ترجمة أحمد رضا محمد ، الهيئة

المصرية للكتاب، ١٩٩٤م.

- فالتر هنتس

٧١- المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى ، ترجمة كامل العسلي ،

منشورات الجامعة الأردنية، عمان ، ١٩٧٠م.

- فرانسيسكو بيدال كاسترو

٧٢- روائع أندلسية إسلامية ، ترجمة صبري محمد زيدان ، كلية اللغات والترجمة ، جامعة الأزهر ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٤م .

فرج الله يوسف

٧٣- الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية دراسة مقارنة ، مركز فيصل للبحوث الإسلامية، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

- الفريد بل

٧٤- الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار ليبيا للنشر ١٩٦٩م .

- فيج جى دى

٧٥- تاريخ غرب إفريقيا ، ترجمة وتعليق السيد يوسف نصر ، دار المعارف ط ١ ، ١٩٨٢ .

- فيرجيليو مارتينيز اينامورادو

٧٦- المعرفة والقوة والمدارس في زمن ابن خلدون ، ترجمة محمد عبد الغنى ، المعهد الاقليمي لتنشئة البالغين ، مالقة.(د.ت).

- فيليوسولا

٧٧- البحر المتوسط المركز الحيوي للقرن الرابع عشر ، ترجمة إسحاق عبيد ، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م .

- كارمن تريلوسان خوسية

٧٨- الزراعة والطعام في القرن الرابع ، ترجمة إسحاق عبيد، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م .

- كمال السيد ابو مصطفى (دكتور).

٧٩- جوانب في الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل
وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ١٩٩٦م .

- كولان .ج.س

٨٠- الأندلس ، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب
المصري ، سنة ١٩٨٠م.

- لخضر درياس

٨١- ثلاثة نقود غير منشورة ، حوليات المتحف الوطني للآثار ، العدد السابع ، سنة ١٤١٩هـ
١٩٩٨م/.

- ليفي بروفنسال

٨٢- حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، منشورات مكتبة الحياة، دب.

٨٣- أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة القاهرة ، المطبعة
الأميرية، ١٩٥١م .

- ماريا خيلو مينا لوببيندي باروس

٨٤- الهجرات ونزوح السكان ، ترجمة محمد عبد الغني ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط
في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م .

- ماي كول

٨٥- الروايات التاريخية عن تأسيس سجل ماسة وغانة ، ترجمة محمد الحمداوي، بيروت
١٩٧٤م .

- محمد أبو الأجفان

٨٦- الوقف على المسجد في المغرب والأندلس وأثره في التنمية والتوزيع، تونس، دب.

- محمد احمد أبو الفضل (دكتور).

٨٧- تاريخ المرية الأندلسية في العصر الاسلامى دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٦م.

- محمد إسماعيل

٨٨- ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى والأندلس في عهد دولة بني مرين (٦١٥-٨٩١هـ/١٢١٣-١٤٦٥م) مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

- محمد الحبيب ابن الخوجة

٨٩- يهود المغرب العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٣م.

- محمد حجاج الطويل (دكتور).

٩٠- التجارة الداخلية وأثرها على ضعف الدولة الموحدية ، أعمال ندوة التجارة وعلاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ، كلية الآداب ، الدار البيضاء ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م.

- محمد رابطة الدين

٩١- قيسارية مراكش الموحدية ، أعمال ندوة التجارة وعلاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ، كلية الآداب ، الدار البيضاء ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م.

- محمد زروق (دكتور).

٩٢- دراسات في تاريخ المغرب ، دار افريقيا الشرق للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١م.

- محمد العروس المطوي

٩٣- السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامى ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، ١٩٨٦م.

- محمد عابد أنجباري

٩٤- العصبية والدولة، دار الطليعة، بيروت، ط ٣ ، ١٩٨٢م.

- محمد عمارة

٩٥- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، الطبعة الأولى

١٩٩٣م- ١٤١٣هـ.

- محمد عيسى الحريري (دكتور).

٩٦- تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس في العصر المريني ، دار القلم الكويت، الطبعة الثانية

١٩٨٧م.

- محمد الغربي (دكتور).

٩٧- بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، نشأته وأثاره ، إشراف نقولا زيادة، مؤسسة

الفليح للطباعة والنشر ، الكويت، دت.

- محمد فتحة (دكتور).

٩٨- أبحاث في تاريخ المغرب الإسلامي من القرن السادس إلي القرن التاسع الهجري بعنوان

النوازل الفقهية والمجتمع، جامع الحسن الثاني، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب،

١٩٩٩م.

- محمد المغراوي

٩٩- الموحدون وأزمات المجتمع ، مطبعة جذور للنشر ، الرباط ، ط ١ ، ٢٠٠٦م.

- محمد الأمين محمد

١٠٠- المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، (دت).

- محمد المنوني (دكتور).

١٠١- أبحاث مختارة، صناعة الأسلحة النارية بالمغرب، منشورات وزارة الشؤون الثقافية،

مطبعة دار المناهل، فبراير ٢٠٠٠م.

١٠٢- ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

١٠٣- خطة الحسبة في المغرب، أبحاث مختارة، منشورات وزارة الشؤون الثقافية.
- محمد مزين (دكتور).

١٠٤- فاس وبانيتها، سلسلة رسائل وأطروحات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعته محمد الخامس، الرباط، رقم ١٢، ١٩٨٦م.

١٠٥- الموت في المغرب القرن العاشر من خلال كتاب الجواهر للزياتي، ضمن ندوة التاريخ والقانون التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة سلسلة ندوات ٢٢، الجزء الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، سنة ٢٠٠٩م.
- مصطفى ضيف

١٠٦- اثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبنو مرين (٥٢٤- ٨٧٦هـ / ١١٣٠-١٤٧٢م) دار النشر المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
- مصطفى نشاط (دكتور).

١٠٧- إطلالات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة ٢٠٠٣م.

١٠٨- الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، ضمن كتاب الغرب الاسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، تنسيق محمد حمام، رقم ٤٨، ط١، سنة ١٩٩٥م.

١٠٩- جوانب من المسكوت عنه في الكتابة التاريخية المرينية نموذج الذخيرة السنية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، العدد السابع ١٩٩٠م.

- ١١٠- ملاحظات حول المعاهدات التجارية المغربية في العصر المريني الأول ، كلية الآداب ،
الدار البيضاء ، ١٩٨٩ م / ١٤٠٩ هـ.
- ١١١- النقشبندی : الدينار الاسلامی فی المتحف العراقي ، مطبعة الرابطة ، بغداد
١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.
- نقولا زيادة (دكتور).
- ١١٢- الحسبة والمحتسب في الإسلام، المطبعة الكاثوليكية، الجامعة الأمريكية، بيروت،
١٩٦٣م.
- ١١٣- أفريقيات، دراسات في المغرب العربي والسودان العربي نشر رياض الريس ، الطبعة
الأولى، ١٩٩١م.
- الهادي المبروك الدالي
- ١١٤- التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، الدار المصرية
البنانية، ١٩٩٩م.
- هوبكنز
- ١١٥- النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار
المصرية للكتاب ليبيا وتونس ، ١٩٨٠م .
- يونيسكو
- ١١٦- فاس ، منشورات وزارة الأنباء والسياحة ، الرباط ، المغرب ، اليونسكو ،
١٩٥٨م/ ١٣٧٧هـ.

1-Bel (A):

La Religion Muslmane en-Berberie, Paris, 1938.

2-Brignon (J):

Histoire du maroc, casa blanca, 1974.

3-Burckhardt:

Fez City of Islam, Translated from German by William Stoddart, the Islamic texts society Cambridge 1992 .

4- Corcos Davis:

Jews of morocco under the marinade, The Jewish Review, IV .55, 1964
-1965 .

5- Djibril Tamsir Niane:

Le Soudan Occidental Au temps des grands Empires, XI^e-XVI^e si^ecle.
Paris, 1965 .

6-Dozy,R:

Supplement .Oxford dictionnaires Arabes 2 Tomes Leiden- Paris,
1927.

7-Dufourq (Ch):

L'es Pange catalane et Le Maghrib aux x III et xiv siecles, paris, 1966.

8 -G.Morcais;

L'architecture manen d' occident, paris1954.

9- Goitein S.D

Jews and Arabs, New York, 1955.

10-Goitein S.D;

Letters of medieval Jewish traders, Princeton University, press, 1975.

11-Hazard (Henri.w);

The numismatic History of Late Medieval North Africa, the American society, New York 1952 .

12-lavoix (Heny):

Catalogue des monnaies musulmanes de la bibliotheque Nationale, cabinet des medailles vol.II, Paris, 1891.

13- Lopez Robert S:

Medieval trade in the Mediterranean World, Oxford University Press, London, 1959

14-Millas (J.M):

Valli Crosa,"elcultivo Del Algodon en la Espana arabe, Bolet in de la real Academia de la historia1956.

15-M.L.Demas Latrie:

Trats de Paix et de Commerce, Les relations des chetiens les Arabs de L'Afrique SePtentrionale, Paris, 1866.

16- Martin (j):

etautres G'eogra phiedu maroc, Paris 1967.

17- Marius(C):

Miscellanca Orientalia, variorum Reprints, London, 1973.

18-Mauny,(R):

TabLeauge'ograPhiquedeL'OuestaFricai,d,apre`sLesSources`ecrites,laTraditioneL`arch`eologie,Dkar,ifan ,1961.

19-Maya shatzmiller:´

un Facteur Ethnique Social medievale le Role de court is ansJuifs les merinides.

20-Qabili (M):

sosi`et`e, pouvoir et religion au Maroc `ala findu moyenage Paris, 1986.

21-Rosin beiger:

Les vieiLLes exploitations minieres ler paotie, No17.

الدوريات العربية

- إبراهيم حركات

١- سياسة المغرب الخارجية في عهد بني مرين، دعوة الحق، العدد السابع، السنة السابعة،
ابريل ١٩٦٤م/ ذو الحجة ١٣٨٣هـ.

٢- الحياة الاقتصادية في العصر المريني ، مجلة كلية الآداب ،جامعة محمد الخامس ، الرباط
١٩٧٨م.

- إبراهيم بسوقي أباطة

٣- النظام الضريبي المغربي بين الماضي والحاضر، مجلة المناهل - الرباط - المغرب، العدد ٢
السنة الثانية ١٩٧٥م/ ١٣٩٥ هـ.

- احمد الطوخي

٤- القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس ، مجلة كلية الآداب جامعة
الإسكندرية ، العدد ٢٨ سنة ١٩٨١م.

- احمد مختار العبادي

٥- التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ،
المجلد السابع والعشرون ، مدريد ، سنة ١٩٩٥م.

- السيد عبد العزيز سالم (دكتور)؛

٦- بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية،
العدد ١-٢ المجلد الخامس، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧م.

- أمين توفيق الطيبي

٧- الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الايجابي في السودان الغربي في القرون الوسطى ، مجلة
البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، ١٩٨٠م.

- حسن حافظي علوي

٨- التبادل التجاري بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في العصر الوسيط ، مجلة المناهل ، العدد ٣٣، الرباط ، ١٩٨٥ .

- حسين مؤنس

٩- وصف جديد لقرطبة الإسلامية ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الثالث عشر ، ١٩٦٥-١٩٦٦ م.

- حسين مراد

١٠- القاضي عياض (دراسة في النشأة والتكوين العلمي) مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، العدد ٢٦ ، سنة ٢٠٠٤م.

١١- فلاحو فاس في عصر الموحدين (٥٤٠-٦٤٦هـ/١١٤٦-١٤٤٦م) مجلة وقائع تاريخية ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، عدد يوليو ٢٠٠٥ م.

- رشيد السلامي

١٢- قراءة في النقود المرينية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، العدد ٢٣ ، الرباط ١٩٩٩م.

- رضوان بن شقرون

١٣- من مظاهر العقيدة والسلوك عند المغاربة في العصر المريني، مجلة المناهل ، العدد ٣٤ ، السنة ١٣ ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦م.

- روم لاندو

١٤- جامعة القرويين بفاس ، تعريب محمد الخطيب ، دعوة الحق ، السنة الثانية ، العدد الأول، سنة ١٩٥٨م/١٣٧٨هـ .

- رينية ماهية

١٥- رسالة القرويين ، دعوة الحق السنة الرابعة ، العدد الأول ، ١٩٦١م.

صالح فياض أبو دياك

١٦- النظام المالي عند الحفصيين ، مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد ٢١ - ٢٢ ، السنة السابعة ،
اشبيلية للنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٨٦ م.

صلاح أحمد عيد خليفة

١٧- القبالات في المغرب والأندلس ق ٣ - ٦ هـ / ٦-١٢ م وأصولها التشريعية وتداعيتها
التاريخية . مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثامن ، المجلد الأول ، مارس ٢٠٠٠ م .

- عبد الحق الميرني

١٨- مظاهر الحضارة البربرية، مجلة دعوة الحق، العدد ٨، السنة ٨، الرباط ١٩٦٥ م.

- عبد السلام بن سودة

١٩- حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس ، مجلة دعوة الحق ، العدد ١ ، ٢ ، السنة ١٤
الرباط ، يناير ١٩٧١ م.

- عبد العزيز العلوي

٢٠- صناعة النسيج في المغرب الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس ، عدد
خاص، ١٩٨٦ م .

٢١- علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية في المغرب الميرني ، كلية الآداب والعلوم
الإنسانية، جامعة الحسن الثاني ، عين الشق - الدار البيضاء ١٩٨٩ .
- عبد القادر زمامه

٢٢- معالم وأعلام من فاس القديمة ، مجلة البحث العلمي ، العدد الثالث عشر ، السنة
الخامسة، يناير ١٩٦٨ م.

- عبد الله العمراني

٢٣- فاس وجامعتها ، مجلة البحث العلمي ، كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس العدد ١١-١٢
سنة ١٩٦٧ م.

- عمر محمد الباروني

٢٤- العلاقات التجارية بين المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط ، مجلة البحوث التاريخية ،

العدد ٢ ، لبيبا ١٩٨٦ م.

- قاسم الزهيري

٢٥- الممالك الإسلامية القديمة في أفريقيا مملكة مالي ، مجلة دعوة الحق ، العدد الثامن والتاسع ،

السنة الخامسة ، ١٩٦٢م.

- لخضر نرياس ، وآخرون

٢٦- كنز مزيان الذهبي ، حوليات المتحف الوطني للآثار ، العدد الرابع ، الجزائر ١٤١٤هـ

/١٩٩٤م.

٢٧- جامع المسكوكات العربية الإسلامية بالمتاحف الجزائرية ، متاحف الغرب

الجزائري، ٢٠٠٠م .

- ليفي بروفنسال

٢٨- تأسيس مدينة فاس ، تعريب سعيد النجار، واحمد اليابوري ، مجلة البحث العلمي ، كلية

الآداب جامعة محمد الخامس، العدد ٣١، أكتوبر ١٩٨٠ م

- ليوبولدو توريس بلياس

٢٩- الأبنية الأسبانية الإسلامية ، تعريب علية إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري

للدراسات الإسلامية ، مدريد العدد الأول ، السنة الأولى ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

- ماجدة كرمي

٣٠- العلاقات التجارية بين المغرب وأسودان على عهد المرينين دعوة الحق العدد ٢٦٩، إبريل

نأيو ١٩٨٨م.

- محمد الفاسي

٣١- الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البيئة ، الرباط ، العدد ٣، ١٩٦٢م.

- محمد عبد العزيز الدباغ

٣٢- بنو مرين من خلال رحلة ابن بطوطة ، دعوة الحق ، العدد السابع ، السنة الخامسة ، ١٩٦٢م.

- محمد عيسى الحريري

٣٣- الوطاسيون ودورهم السياسي في المغرب الأقصى ، حوليات كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، العدد الثامن ١٩٧٧-١٩٧٨ ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٨٠م.

- محمد المنوني

٣٤- الوراقة المغربية ، مجلة البحث العلمي ، العدد ١٦ ، السنة السابعة سنة ١٩٣٠.

٣٥- علاقات الغرب بالشرق أيام السلطان أبي الحسن المريني ، مجلة الأبحاث المغربية والأندلسية ، العدد الأول ، تطوان ، سنة ١٩٥٦م.

٣٦- علاقات المغرب بالشرق في العصر المريني الأول ، دعوة الحق ، العدد ٥ ، السنة ٨ ، مارس ١٩٦٥م.

٣٧- نظم الدولة المرينية ، مجلة البحث العلمي ، كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس الرباط ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، مايو / أغسطس ، ١٩٦٤م.

٣٨- وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني ، مقتبس من مالك الأبحار في ممالك الأمصار ، لابن فضل الله العمري ، مجلة البحث العلمي ، كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس ، الرباط العدد الأول ، السنة الأولى ، يناير ابريل ١٩٩٤ م.

- محمد الأمين البزاز

٣٩- الطاعون الأسود بالمغرب في القرن ١٤ م ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، العدد ١٦ ، ١٩٩١م.

1- Author (s) :

The

Jewish quarter of fez (1438 – 1912) . The journal of the society of
Archite ctural Historians, vol. 60, No 3 (Sep, 201)

2- Bel (Alfred):

les inscriptions' arabas de Fes, in journal Asiatique 10, March 1917.

3-Millas (J.M):

Vallcrosa, "Elcultivo Del Algodon en la Espana arabe, Bolet in de la real
Academia de la historia 139, 1956.

4-Paul Pascon:

Description des mudd ets A' Maghreb lns, Hesperis. Tamuda 1975.

5- Vanberchem (m):

Titers califiens d. occidentin journal Asiatique2: serie, t.1x, Paris, 1907.

الرسائل الجامعية:

أمل ربيع إسماعيل :

١- الأندلسيون في المغرب الأقصى في عصر بني مرين (٦٦٨- ٨٦٩ هـ / ١٢٦٩ - ١٤٦٥ م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .

بان على محمد البياتي:

٢- النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (٣-٥ هـ / ٩-١١ م) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٤ م.

سميرة المزكادي :

٣- المجاعات والأوبئة بالمغرب الوسيط ، ٥٣٤ - ٧٧٦ هـ / ١١٣٣ - ١٣٧٥ م، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهازار - فاس ١٤٢٤-١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م.

صالح بعيزيق :

٤- بجاية في العهد الحفصي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة تونس ، ١٩٩٥ م .

عاشور أبو شامة :

٥- علاقة الدولة الحفصية مع بلاد المغرب والأندلس ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٩١ م .

ماجدة كريمي:

٦- العلاقات التجارية بين المغرب والسودان في العصر المريني ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، شعبة التاريخ ، الرباط ١٩٨٧ - ١٩٨٨ م .

محمد إسماعيل:

٧- الوزارة في أفريقية في عهد الدولة الحفصية (٦٢٦- ٩٨٢هـ / ١٢٢٧- ١٥٧٤ م) رسالة
دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ٢٠٠٩م.

محمد الطويل:

٨- القلاحة المغربية في العصر الوسيط ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم
الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط ١٩٨٧- ١٩٨٨م.

محمود إدريس على بك :

٩- طرابلس الغرب منذ الهجرة الهلالية إلى بداية العهد العثماني ، رسالة ماجستير غير منشورة،
جامعة إسكندرية ١٩٩٨م.

ناصر محمد:

١٠- جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب في العصر الوسيط ق ٦هـ - ١٢م
نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ،
الرباط ١٩٨٨م .

نجلاء مصباح:

١١- مدن مصر الصناعية والتجارية في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية
الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦م.

نوال عبد العزيز :

١٢- علاقات المغرب الأقصى الخارجية في عهد بني وطاس ٨٦٩-٩٦٢هـ / ١٤٦٥-
١٥٥٤م ، رسالة دكتوراه غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ،
١٩٩١م .

فهرس الموضوعات

المقدمة: ١٤ - ١

التمهيد:

- ١- أحوال أسواق مدينة فاس في فترة الانتقال من الموحدين إلى المرينيين ١٥- ٢٢
- ٢- نشأة دولة بني مرين ٢٢- ٢٩
- ٣- تأسيس فاس الجديد ٣٠- ٣٢

الفصل الأول :

- المقومات الطبيعية والبشرية لازدهار أسواق فاس ٣٢- ٧٠
- أولاً: المقومات الطبيعية ٣٣- ٤٨
- ١- البيئة الجغرافية ٤٠- ٤٣
 - ٢- البيئة الزراعية ٤٣- ٤٥
 - ٣- الرعي والغابات ٤٥- ٤٧
 - ٤- وفرة المواد الخام ٤٧- ٤٨
- ثانياً: المقومات البشرية ٤٨- ٧٠

- ١- الوضعية السياسية للمدينة ٤٨- ٥٣
- ٢- النمو السكاني (الديموجرافى) ٥٣- ٥٨
- ٣- ازدهار النشاط الحرفي والصناعي ٥٨- ٦٢
- ٤- المنشآت التجارية ٦٢- ٦٦
- ٥- الطرق والمواصلات ٦٦- ٧٠

الفصل الثانى :

- أسواق فاس ونشاطها الداخلي ٧١- ١٠٠
- ١- الأسواق أنواعها وتنظيمها ٧٣- ٧٨
 - ٢- مواقع الأسواق ٧٨- ٨٢
 - ٣- إدارة الأسواق ٨٢- ٨٧
 - ٤- العاملون في الأسواق ٨٧- ٩٥
 - ٥- السلع التجارية ٩٥- ١٠٠

الفصل الثالث:

- علاقة أسواق فاس بالأسواق الخارجية----- ١٣٢-١٠١
- ١- أسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأقصى----- ١٠٩-١٠٣
- ٢- أسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأوسط----- ١١٠-١٠٩
- ٣- أسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأدنى----- ١١٢-١١١
- ٤- أسواق فاس وأسواق مدن مصر والحجاز----- ١١٦-١١٣
- ٥- أسواق فاس وأسواق مدن الأندلس والمدن النصرانية----- ١٢٣-١١٦
- ٦- أسواق فاس وأسواق مدن السودان الغربي----- ١٣٢-١٢٤

الفصل الرابع:

- المعاملات المالية والتجارية في أسواق فاس----- ١٦٧-١٣٣
- ١- المقايضة----- ١٣٦-١٣٥
- ٢- النقود----- ١٤٨-١٣٦
- ٣- الصكوك والحوالات----- ١٥١-١٤٨
- ٤- الموازين والمكاييل والموازين والمقاييس----- ١٥٨-١٥١
- ٥- الأسعار----- ١٦١-١٥٨
- ٦- الاحتكار----- ١٦٣-١٦١
- ٧- الضرائب والمكوس----- ١٦٧-١٦٣

الفصل الخامس :

- الحياة الاجتماعية للعاملين في الأسواق----- ٢١١-١٦٨
- ١- العناصر السكانية للعاملين في الأسواق----- ١٨٤-١٦٩
- ٢- الوضع الاجتماعي للعاملين في الأسواق----- ١٨٩-١٨٤
- ٣- اثر المحن والكوارث على العاملين في الأسواق----- ٢١١-١٨٩
- أولا : محن الفتن والاضطرابات السياسية----- ٢٠٠-١٩٠
- ١- حصار مدينة فاس----- ١٩١-١٩٠
- ٢- الثورات الداخلية----- ١٩٥-١٩١
- ٣- الحروب الخارجية----- ٢٠٠-١٩٥
- ثانيا: محن الكوارث الطبيعية----- ٢١١-٢٠٠
- ١- محن القحط والسيول والجراد----- ٢٠٤-٢٠٠
- ٢- محن المجاعات والأوبئة----- ٢١١-٢٠٥

أشواق فارس في العصر المكي

(646-669 هـ / 1248-1465 م)

تأليف

أرھالة عبد الرزاق

الناشر
مكتبة التراث العربي

